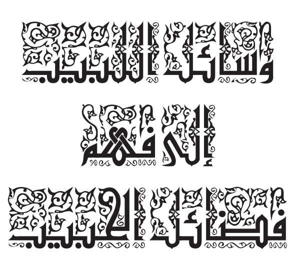

وسائل اللبيب
إلى فهم
فضائل الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

وسائل اللبيب

إلى فهم

فضائل الحبيب

للعالم الفاضل والورع الكامل الشيخ

أبو بكر بن معاوية العيمكي الداغستاني الشافعي

رحمه الله تعالى

(١١٢٣ - ١٢٠٥ هـ)

اعْتَنَى بِهِ

مراد الله بن محمد الخباري الداغستاني

دار الرسالة

الطبعة الثانية

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

داغستان – محاچ قلعة

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

الإهداء

إليك يا حبيبي . . . يا سيّدي . . . يا رسُول الله

صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين

رجاء شفاعتك يوم الحساب

ومن جنابك الشريف

إلى

آل بيتك الطيبين الطاهرين

وصحابتك الأكرمين، وتابعيهم إلى يوم الدّين

وإلى

المرشد الشيخ الشهيد سعيد أفندي

ومفتي دائرة الداغستان الشيخ أحمد حاج أفندي

ثم

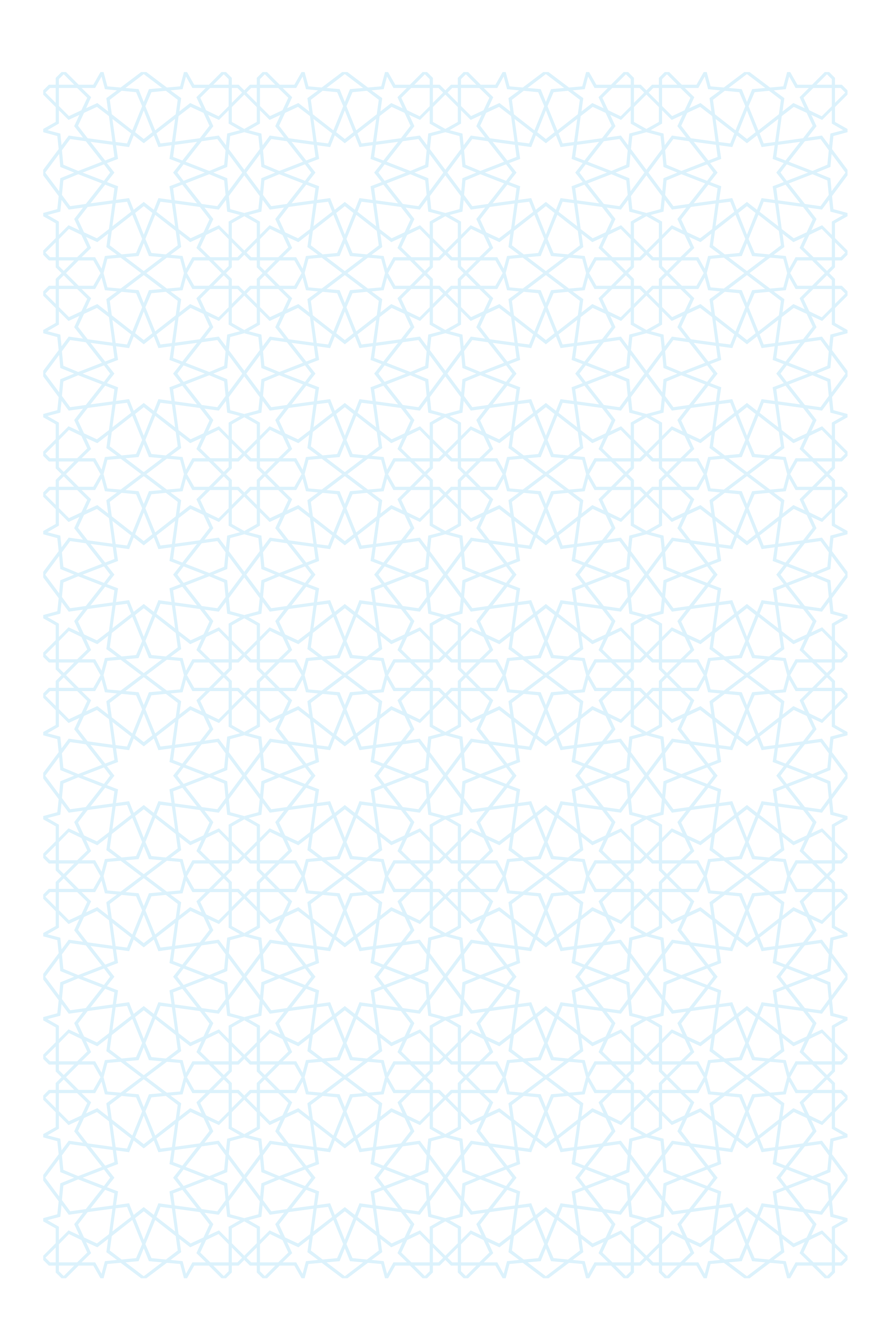
إلى كلّ باحثٍ عن الحبّ الحقيقي

عسى أن يتعرّض بقراءته لنفحةٍ من نفحاته

تكون سببًا لهدايته بدخوله في دائرة المحبين والمحبوبين

آمين

والحمد لله رب العالمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي قال الله عنه :﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فهذا الشرح القيِّم « وسائل اللبيب في شرح فضائل الحبيب » للعالم الفاضل الشيخ أبي بكر ابن معاوية العيمكي وضعه على متن العالم محمد بن صنفور الدغجي ، منذ فرغ من تأليفه ما زالت أيدي طلاب العلم الحق في ديارنا الجبلية تداوله درسا ونسخا ، وأفاد كثيرًا واستفاد به كثيرٌ ، ويدل على ذلك كثرة النسخ لهذا الكتاب التي استنسخها العلماء الواصلون والطلاب المتدرجون ، وتحفظت بها المكاتب القديمة حتى الآن ، وهذا التأليف تذكر فيه قطرات من بحار فضائل عطِرة لحبيبنا وسيِّدنا محمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم عليه السلام ، وأعلام نبوّته وشمائله وسيرته وأفعاله وأحواله إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جنّاته ، وما أعدّه له فيها من الإنعام والتعظيم ، عليه من الله أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم . وزاد فيه الشارح رحمه الله بعض ما اشتمل عليه من النّفائس المستجادات مما يتعلق بمناقب العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم ، وبالأئمة الأربعة رحمة الله عليهم ، مما لا مجال لكل مؤمن محب من أن يعرفها ويغرف منها ، وقد اجادا في ما ابديا رحمهما المولى وجازاهما عنا ، آمين .

ومن مزايا هذا الشرح انه قد جاء موضحا لغوامض المتن ومضموناته ، وتجنب فيه عن الإطناب الممل والإيجاز المخل ، وكل ذلك بعبارة حلوة

ومآخذ معتمدة عذبة ، وعلى طريق سهل ، وسبيل ناهج ، خاصَّة على المبتديين الذين يوجِّه إليهم خطابَه الشارح العيمكي في أوائل كتابه .

وقد وجد مكتوبا بيده المبارك في ذيل بعض النسخ : من أراد أن يعرف سير نبينا محمد ﷺ فعليه بكتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » أو « بأشرف الوسائل إلى شرح الشمائل » ، ومن أراد حسن الظن بالخلفاء الأربعة ، وبالذرية الطيبة النبوية ، وبعامة الصحابة فعليه بكتاب : « الصواعق المحرقة لإخوان الزندقة » ، ومن أراد حسن الظن بالأئمة الأربعة وبعامة العلماء فعليه بكتاب « الميزان » لولي الله الشعراني ، وكتابنا « وسائل اللبيب في شرح فضائل الحبيب » مشتمل على نبذة من مقاصد تلك الكتب ، فهو كالأنموذج لها ، فيا من لم يظفر بالصبرة لا تقصر في ملاء كفِّك ؛ والسلام ، من الفقير الحاج أبي بكر العيمكي .

وبالرغم من ان هذا الكتاب النفيس لهذا العلامة كسائر تأليفاته وتقريراته قد اشتهرت بين الخلق ، وفاشت منذ العصور ، كأن لم يعتني أحد إلى الآن بعملية التحقيق والتصدير لها ، ولعلَّ هذا أوَّل قدم وضعت نحو ذاك المجال ، أللهم وفِّق لما تحب وترضاه .

والله أسئل أن يتقبل من كل من تسبب في طبع هذا الكتاب ونشره فِعلا أو قولا ، تلويحا أو تصريحا ، ومن كل من مارس هذا العمل جمعا وتصحيحا وتحقيقا ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم انه أكرم من سُئِل ، وأجود من أعْطى بحرمة من أرسله رحمة للعالمين ، آمين .

كتبه : شيخ محمد الهدلي ،

أستاذ اللغة العربية والعلوم الإسلامية في معهد داغستان للعلوم الإنسانية .

١٠ / ربيع الأول/ ١٤٣٦ هـ الموافق ٠١ / ينوار/ ٢٠١٥ م

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في مقابلة النص لهذا الكتاب النفيس على أصلين خطيين :

الأولى : وهي نسخة محفوظة من بين كتب مالكها عبد الكريم ابن علي الهنوخي ، وهو تفضّل به علينا فجزاه الله عنا .

وهي نسخة كاملة النص ، لكن اسقطت منها بعض الكلمات والأسطار ، وكتبت بخط نسخي نميق ، عدد أوراقها (٧٨) ورقة ، متوسط عدد الأسطر (١٧) سطرا ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٥) كلمة ، على هوامشها بلاغات واستدراكات وتصحيح لبعض المفردات ؛ مما يزيد في قيمة هذه النسخة وأهميتها ، ولم يكتب اسم ناسخ الكتاب . ورمزنا لها بـ (أ) .

الثانية : وهي نسخة مخطوطة محفوظة في قسم المخطوطات لمعهد التاريخ في محاچ قلعة .

وهي نسخة جيدة ، خالية من الأخطاء ، لكن فيها بعض الكلمات والأسطار ساقطة أيضا ، كتبت بخط نسخي ، عدد أوراقها (٩٧) ورقة ، متوسط عدد الأسطر (١٦) سطرا ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١١) كلمة ، ويوجد بعض التصويبات والإستدراكات على هوامشها ، ولم يكتب اسم ناسخ الكتاب . ورمزنا لها بـ (ب) .

وعلى الأسف لم نعثر على نسخة المؤلف الأم إلى الآن .

سرنا في إخراج هذا الكتاب على الخطوات التالية :

- قمنا بضبط النص وعارضناه على النسخ الخطية الموجودة عندنا ، وأثبتنا الفروق المهمة ، أو ما لم نهتد فيه إلى وجه الصواب ، وهي نادرة .

- خرجنا الآيات القرآنية وحصرناها بين قوسين مزهرين ﴿ . . . ﴾ ، وجعلناها برسم المصحف الشريف .

- خرجنا الأحاديث النبوية الشريفة ، وأما ما خرجه منها المصنف والشارح رحمهما الله تعالى فقمنا بتحقيقها من كتب الحديث ، وحصرنا القولية من الأحاديث الواردة في الكتاب بين قوسين صغيرين .

- جعلنا متن « فضائل الحبيب ومناقب الطبيب » ضمن إطار مزدوج أحمر .

- شرحنا الكلمات الغريبة وعلقنا على بعض الأماكن لزيادة التوضيح والبيان ، وكل ذلك تحت علامة (*) .

- ترجمنا الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب .

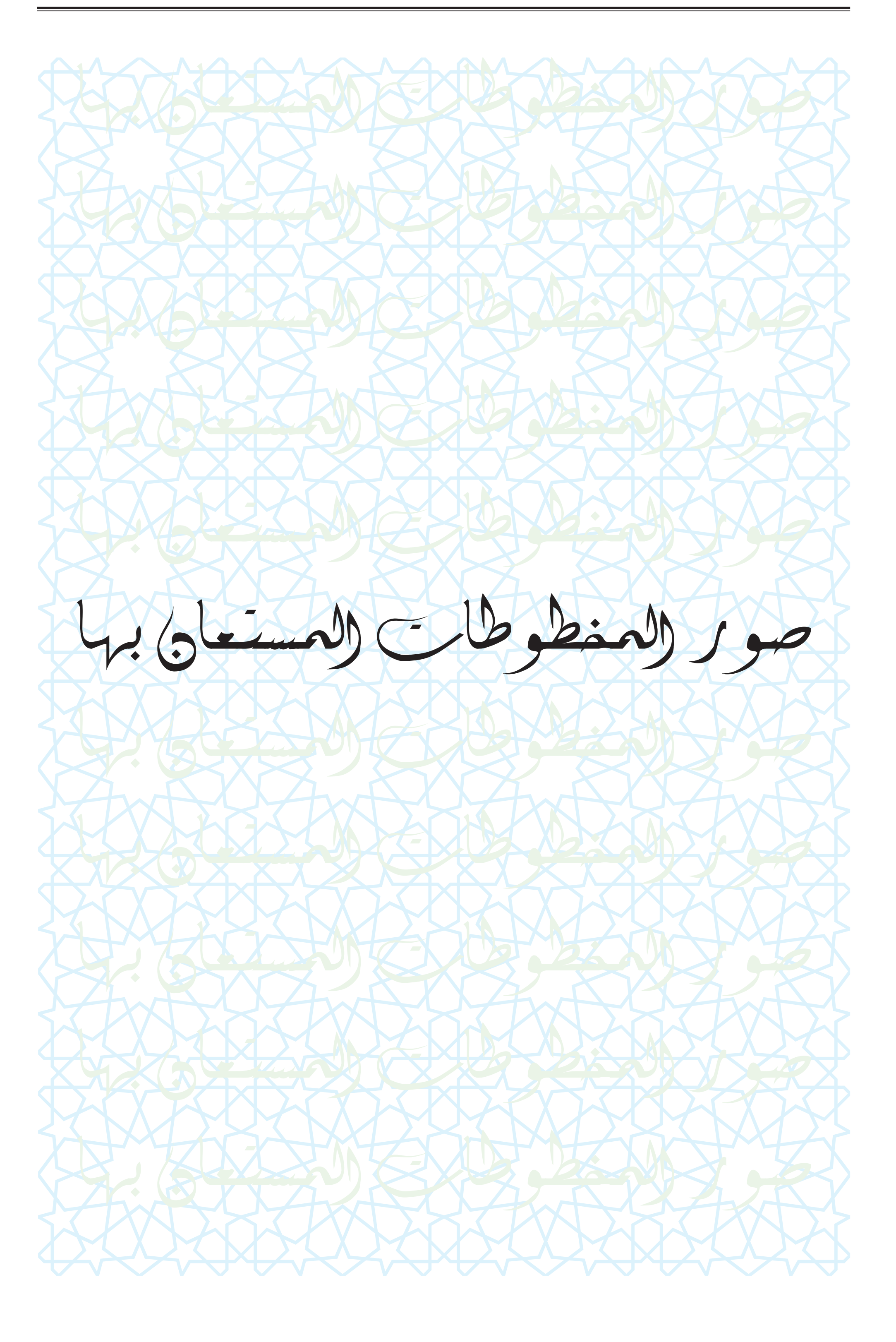
- ترجمنا في مقدمة الكتاب للشارح أبي بكر العيمكي رحمه الله تعالى ترجمة وافية .

- أعقبنا الكتاب بفهارس عامة وشاملة للموضوعات .

نسأل الله تعالى التوفيق والإخلاص في العمل ، وأن يجمعنا مع النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى ، ونرجو منه تعالى أن نكون قد وفقنا لإخراج الكتاب بطبعته ونشره بين المستفدين رحمةً للطلاب الباقين على ساحل بحر العرفان شفقة بهم كما كان أراده المشرِّح رحمه الله تعالى .

والحمد لله رب العالمين .
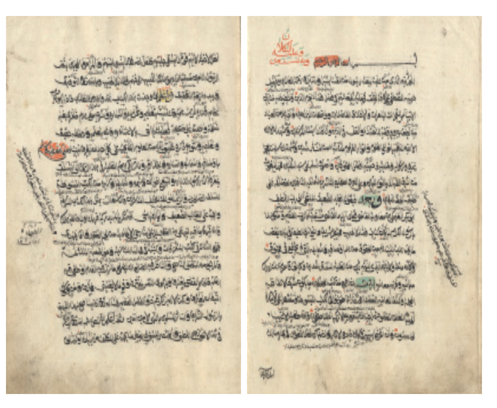
* * *



صور المخطوطات المستعان بها



راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)



راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

الكتب التي استقى المصنف في جمع هذا الكتاب :

١ . « صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
٢ . « صحيح مسلم = االجامع الصحيح » - الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري .
٣ . « سنن الترمذي = الجامع الصحيح » - الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
٤ . « شرح الكرماني على البخاري = الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » - الإمام العلامة محمد بن يوسف الكرماني .
٥ . « المعجم الكبير » - الإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني .
٦ . « المعجم الأوسط » - الإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني .
٧ . « البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٨ . « المستدرك على الصحيحين » - الإمام الحافظ محمد بن محمد الحاكم النيسابوري .
٩ . « الموطأ » - الإمام مالك بن أنس .
١٠ . « المسند » - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
١١ . « الجامع الصغير من حديث البشير النذير » - الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي .
١٢ . « صحيح مسلم بشرح النووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » - الإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي .
١٣ . « تصحيح التنبيه » - الإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي .
١٤ . « فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » - الإمام العلامة عبد الرؤوف المناوي .

١٥ . « فتح الباري شرح صحيح البخاري » - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

١٦ . « نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر » - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

١٧ . « فتح المبين بشرح الأربعين » - الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .

١٨ . « مشكاة المصابيح » - الإمام العلامة الشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي .

١٩ . « أسرار التنزيل وأنوار التأويل » - الإمام العلامة فخر الدين الرازي .

٢٠ . « المصنوع في معرفة الحديث الموضوع = الموضوعات الصغرى » - الإمام العلامة ملا علي القاري الهروي .

٢١ . « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » - الإمام العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري .

٢٢ . « أسنى المطالب في شرح روض الطالب » - الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري .

٢٣ . « الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة » - الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري .

٢٤ . « الغرر البهية في شرح البهجة الوردية » - الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، على « البهجة الوردية » - الإمام أبي حفص زين الدين عمر بن مُظَفَّر الوَرْدِيِّ .

٢٥ . « الوسيط » - الإمام العلامة علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري .

٢٦ . « الفتاوى الحديثية » - الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .

٢٧ . « تحفة المحتاج في شرح المنهاج » – الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .

٢٨ . « الشهاب = « حاشيتا القليوبي وعميرة » على « كنز الراغبين » شرح « منهاج الطالبين » – الإمام شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي/ والإمام شهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بـ« عميرة » .

٢٩ . « بجيرمي على الخطيب » المسماة « بتحفة الحبيب على شرح الخطيب » المعروف بـ« الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع » – الإمام العلامة محمد الشربيني الخطيب .

٣٠ . « جمع الجوامع » – الإمام عبد الوهاب بن علي تاج الدين السبكي .

٣١ . « السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » – الإمام العلامة علي بن برهان الدين الحلبي .

٣٢ . « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » – الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي .

٣٣ . « قطف الأزهار في كشف الأسرار » – الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي .

٣٤ . « أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » – الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي .

٣٥ . « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » – الإمام العلامة أحمد بن محمد القسطلاني .

٣٦ . « مولد الشريف » – الإمام العلامة نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي السكندري .

٣٧ . « الزواجر عن إقتراف الكبائر » – الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .

٣٨ . « الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة » – الإمام أحمد بن محمد بن علي حجر الهيتمي .

٣٩ . « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = أشرف الوسائل في شرح الشمائل للترمذي » - الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .
٤٠ . « المنح المكية في شرح الهمزية » - الامام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي .
٤١ . « قصيدة الهمزية » المسماة « أم القرى » - الإمام العلامة محمد بن سعيد بن حمّاد البوصيري .
٤٢ . « البردة » - الإمام العلامة محمد بن سعيد بن حماد البوصيري .
٤٣ . « ألفية السيرة النبوية » المسماة « نظم الدرر السنية في السير الزكية » - الإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي .
٤٤ . « إحياء علوم الدين » - الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي .
٤٥ . « طبقات الوسطى » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٤٦ . « الميزان الكبرى » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٤٧ . « لواقح الأنوار القدسية في قواعد السادة الصوفية » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٤٨ . « كشف الغمة عن جميع الأمة » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٤٩ . « اليواقيت والجواهر » - الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني .
٥٠ . « الفتوحات المكية » - الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي .
٥١ . « الطب النبوي » - الإمام محمد بن أبو بكر الزرعي الدمشقي .
٥٢ . « شروح التلخيص » - الإمام العلامة سعد الدين التفتازاني ، وهو مختصر على « تلخيص المفتاح » الإمام العلامة الخطيب القزويني .
٥٣ . « هداية المريد لجوهرة التوحيد » - الإمام العلامة إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني .
٥٤ . « العقيدة الشيبانية » - الإمام العلامة محمد بن الحسن الشيباني .

٥٥ . « القواعد الشمسية في شرح العقائد العضدية » – الإمام الإفتخار الدين محمد بن نصر الله بن محمد الدامغاني .
٥٦ . « القاموس المحيط » – الإمام العلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
٥٧ . « لسان العرب » – الإمام محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي .
٥٨ . « الصحاح في اللغة » – الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري .

رموز الأقوال الذين ذكرهم المؤلف في الكتاب

« الأزهار » – « قطف الأزهار في كشف الأسرار » .	« زواجره » – « الزواجر عن إقتراف الكبائر » .	« فتح المبين » – « فتح المبين بشرح الأربعين » .
« أشرف الوسائل » –« أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = أشرف الوسائل في شرح الشمائل للترمذي » .	« شرح مسلم » –« صحيح مسلم بشرح النووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » .	« فصول الطب » – « الطب النبوي » .
« إنسان » – « السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » .	« ص » – « الصحاح في اللغة » .	« قاموس » – « القاموس المحيط » .
« ابن حجر » – « تحفة المحتاج في شرح المنهاج » .	« الفتاوى » – « الفتاوى الحديثية » .	« م » – « مقاييس اللغة » .
« الكشاف » – « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » .	« فتح » – « فتح الباري شرح صحيح البخاري » .	« مزيل الخفاء » – « مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء » .
	« ق » – للغاية .	« مواهب » – « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » .
		« منه » – من شارح الكتاب .

ترجمة الشيخ العالم
أبو بكر العيمكي الداغستاني
شارح « فضائل الحبيب ومناقب الطبيب »

اسمه ونسبه :

هو الشيخ العلامة الحاج أبو بكر بن معاوية بن معاوية بن عبد الله دبير الأواري الداغستاني ، العَيْمكي مولدا ، الهَرَكاني موطنا ، القريشي أصلا ونسبا ، الشافعي مذهبا .

مولده ونشأته :

ولد ﵁ في سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين في قرية « عيمكي » ، ونشأ نشأة حسنة ، وبلغ المقاصد الحسنة ، وبلغ في العلوم منتهاها ، وفي الفنون غايتها .

كان قد حصل العلوم من علماء عصره ، وكان عالما محقّقا وبارعا فهامة ، وله صت جميل ، وثناء بليغ من أفواه علماء الداغستان ، حجّ واعتمر ، ولقي أعلام هناك .

قال سعيد الهركاني في مقدمة شرحه على « خواطر اللوامع في أسرار القصائد » للعيمكي ما نصه : لقطب دائرة الإسلام ، والسعادة والإقبال ، وشمس الدولة ، والعظمة والإجلال ، مقوي السنة المصطفوية ، مربي الطريقة المرتضوية ، المبالغ في اعلاء كلمات الله ، المجتهد في احياء سنن رسول الله ، المختص من لدُن حكيم عليم ، بفضل جسيم ، ولطف عميم ، الشيخ الإمام والبحر الهمام أبي بكر بن معاوية العيمكي .

ووصفه العارف الجليل الشيخ شعيب أفندي الباكِني ﷼ في كتابه « طبقات الخواجكان النقشبندية » بقوله :

فقد كان الشيخ ﵀ من أفقه في دين الله ، وأحبهم إلى الله ، شمس فلك الهداية ، وقطب دائرة السعادة ، نجم العلوم والمعالي ، بدر الفنون والعوالي ، منبع المعارف الإلهية ، ومهبط الأنوار الربانية ، عين العناية وكنز الهداية ، السمي باسم الصديق الأكبر ، والمسك الأذفر ، وكان في نصيحة الخلق كأبيهم ، وتربيتهم في دينهم كأمّهم ، ولكن كان أهله وكل أهالي الداغستان وقتئذ أصحاب جهل غالب ، وذوو عقل كالب ، لا ينظرون إلى أحد ، ولا يفترون عن المعاصي ؛ ولا ينتهون ، وكان أهالي الولاية الداغستانية أهالي صعب ، لم يقدر أحد تذليلهم وتسخيرهم إلا أمير المؤمنين شمويل أفندي ، وبعده هؤلاء الملاعين الكفار ، خذلهم الملك الجبار ، وتجلي عليهم باسمه المنتقم لا الغفار ؛ آمين ، انتهى .

مؤلفاته :

وله تقريرات كثيرة في الكتب ، ومناظرات لطيفة في الشروح والحواشي ، وألف الشرح المتين لـ« **فضائل الحبيب ومناقب الطبيب** » (هذا) بحيث يشفى العليل ويسكن الغليل ، ومنها :

١- « الخواطر اللوامع في أسرار القصائد » .

٢- « أجوبته المشهورة » .

٣- « إعلام التلميذ بأحكام النّبيذ » .

٤- « مجمع الأوباش » .

٥- « قضاء الحوائج » ، بلسان أوار .

ومن كراماته :

كان يقول : إن الكعبة المعظمة حيوان كالإنسان ينطق لمن يريده ، وهكذا في الكتب ، وكانت الكعبة تتكلم معه ، وأحبت له حين ذهب للحج .

وكان أيضا يقول : إني كنت أرى رسول الله في المنام ، ثم لما أكلت طعاما من مائدة الملعون نادر شاه الشيعي القَجاري انقطع رؤيته ولم أره مدة طويلة ، وحزنت بذلك حزنا شديدًا ، فتضرّعتُ إلى الله تعالى ورسوله كثيرًا ، فبعد ذلك رأيته بعيدًا عني موليا ظهره إليّ ، فناديتُ : يا حبيبي رسول الله ؛ ما الذي أبعدني عنك ، وطردني عن حضرتك ؟ فقال : إني لا أتقرب إلى مَنْ يأكل طعام الكفرة ، وسفرة الفجرة ، فتنبت عن ذلك النوم فتبت إلى الله تعالى توبة نصوحا ، وكنت بعدها أرى رسول الله في المنام .

وكان ﵁ حيث لم يقبلوا النصيحة – يقع في غمّ شديد ، وحزن أكيد ، بحيث يكاد يهلك نفسه ، كما قال الله تعالى في حق رسوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ الشعراء : ٣ .

وكان ذا غيرة عظيمة في دينه ، وشجاعة شاجعة في قوله ، صاحب سطوة صائلة وقولة صائبة ، وكان أهل قريته أهل سكر وسكران دائمين على كل لهوٍ ولعب وندمان ، ولأجله هاجر إلى قرية هَرَكان ومات فيها في ألف ومائتين وخمسة ، فرحمه الله ورضي الله عنه .

وسائل اللبيب

إلى فهم

فضائل الحبيب

للعالم الفاضل والورع الكامل الشيخ

أبو بكر بن معاوية العيمكي الداغستاني الشافعي

رحمه الله تعالى

(١١٢٣ - ١٢٠٥ هـ)

الحمـد لله العظيـم النعمـة   على الموَفقيـن من تي الأمّة

وأفضـل الصـلاة للمختـار   محمـد والآل والأخيـار

وبعد : فالعلوم ليست تُحصر   فالاشـتغال بالأصـول أجدر

وهـي كتـاب الله ثم السـنّة   وفقـه ما عليـه أهل السـنّة

فاخترت من بين العلوم شـرحَ ما   يوضِح من أخـلاق هادٍ أمما

إذ الـورى في غِرّة الشـيطان   جهـل ما يجب مـن العرفان

بحـال سـيد الـورى جميعا   ومـن يكن فـي غدٍ شـفيعا

وخلقـه وخُلقـه وسـيرته   أسـمائه أنسـابه وعترتـه

كـذا بأحـوال ذوي الخلافة   والأربـع الأئمـة المنيفـة

وبصفـات واجـب الوجود   وغيرها مـن غالـب العقود

والـكل في فضائـل الحبيب   وشـرحها وسـائل اللبيـب

مبيـن بحسـب الكفايـة   يكفي لنا في عمـل الرياضة

فيـا أخـي لازم بـذا الكتاب   مع الدعـاء لصاحب الكتاب

فإنـه يشـفي مـن العليـل   ويبـرد القلـب عـن الغليل

وإنني العبد الفقير المشـتكي   إلى الإله من ذنوب العيمكي

من سـابع من بعد ستّين مائة   وألف مـن أوان هجرة الفئة

ألفتُـه بلطفـه العميـم   فالحمـد للموفـق الكريـم

ثم الصـلاة والسـلام الدائم   علـى نبـي دأبـه المراحـم

محمـد وصحبـه وعترتـه   وتابـع لنهجـه مـن أمتـه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

وما توفيقي إلا بالله تعالى

الحمدُ لله الذي منَّ[١] علينا ببَعْث رسُوله منْ أنفُسنا بشيرًا[٢] وَنذيرًا[٣] ورحْمةً للعالمين[٤] ، وفضّل حبيبَه المُصْطفى على كافّة الخَلْق فجَعله شفيعًا لهُمْ في فصْل قضاء يَوْمِ الدين ، وخصّصَه منْ بَيْنِ الأنبياء بالمُعجزات الباهرات ، وَالأخلاق الفاضلاتِ ، وواضحات البراهينِ[٥] ، وَاختار منَ العبَاد مَنْ لَطف به[٦] ، ووفّقهُ للاهْتداء ، والفقْهِ في الدين[٧] ، والاقْتداء بسُنّة المرسَلين .

وأشهَد أن لا إله إلا الله المنعمُ بأنواع العُلوم ، وَأنوار الفهُوم ، لِمنْ شاء من المُسْترشدين ، وأشهدُ أنّ سيّدَنا محمّدًا عَبْده ورسُوله ، وخليلُهُ وَحبيبُهُ[٨] ، أفضل المخلُوقين[٩] ، وأُصلّي وأُسلّم على سيّد الثّقلين[١٠] محمّد المبعُوثِ منْ أشرف القبائل[١١] بالنّور المُبينِ[١٢] ، وعلى آله وأصحابه الناشرين لشمائله ، الناقلين لفضائله ، عَلى طَبْق[١٣] الحقّ اليَقين .

---

(١) مَنَّ – أي : أنعم .
(٢) بشيرًا – للمؤمنين بالجنة .
(٣) نذيرًا – للكافرين بالنار .
(٤) ورحمة للعالمين – أي : الجن والإنس والملائكة .
(٥) البراهين – أي : الدلائل .
(٦) لَطف به – أي : أراد به الخير .
(٧) في الدين – أي : في الشريعة .
(٨) حبيبُه – الأكرم .
(٩) أفضل المخلوقين – كلهم .
(١٠) الثقلين – أي : الإنس والجن .
(١١) من أشرف القبائل – أي : من قريش .
(١٢) بالنور المبين – أي : القرآن الكريم .
(١٣) طبق – حال . أي : مشتملا نشرهم ونقلهم على اهـ .

وبعد : فيقُول العَبْد الضّعيفُ المُلتجئُ إلى الربّ اللَّطيف[١] أبو بكرٍ العَيْمكي بن معَاويةَ القاضي ، قضى أَرَبَهُما[٢] القاضي[٣] ، مُسْتعينًا بالربّ العَظيمِ وَمتوسلا بالرسُول الكريم : لمّا كانَ كِتَابُ « فضائل الحبيبِ » مختصرًا شريفًا ، وأنموذجًا لطيفا ، في بيان بَعْضِ مَا يجبُ علينا لنبيّنا ﷺ من الحقُوق ، مِن علم أوْصافه وَشمايله التي لم تجتمع في مخلوُقٍ[٤] ، وَكان مُتداولا بَيْن أيْدي المُبْتدئين منَ الطلبةِ المُسْترشدين ، وكانوا قاصرينَ عنْ إدراكِ مبَانيهِ[٥] وفهْم معانيهِ - أردت[٦] أنْ أجمع[٧] منْ كُتب المحقّقين ما يكُون شرحًا لألفَاظِه المجمَلَة ، وكشفا لمعَانيه المُعْضلةِ[٨] ، مُختصِرًا[٩] عمّا طوّلوُا في الكتب المَبْسوطة ، ومُقتصِرا على الإشارة إلى بيان المعَاني المقصُودة ، راجيًا[١٠] أن ينتفع به الأذكياءُ الناصحُون[١١] وَإنْ طعَنه[١٢] الأغبيَاء[١٣] الحاسدُون ، وأن أنخرِطَ بسببَه[١٤] في سلك خادمي[١٥] الآثار ، وَإنْ لم أكن أهْلا للغَوْص[١٦] في بِحَار مَسَالك أهْلِ الإخبَار ، لأنهم قومٌ لا يَشقى جليسُهم ، فلعَلّ الله تعالى لا يَنْسى[١٧] أنِيسَهُمْ[١٨] ، وَالْمرء

---

(١) اللطيف - أي : العالم ببواطن الأمور .
(٢) أربهما - أي : حاجتهما .
(٣) القاضي - أي : الحاكم بين الخلائق يوم القيمة وإن لم يكن من أسمائه الحسنى ، فإطلاقه عليه صحيح باعتبار الاشتقاق . كي .
(٤) مخلوق - غيره .
(٥) مبانيه - أي : ألفاظه .
(٦) أردت - جواب لما .
(٧) أن أجمع - أي : أخُذَ .
(٨) عضل به : الأمر كأعْضل ، والمعضلات : الشدائد . (قاموس) .
(٩) مختصرا - حال ، من فاعل أجمع .
(١٠) راجياً - حال .
(١١) الناصحون - وهي إرادة الخير .
(١٢) وإن طعنه - أي : أعابه .
(١٣) الأغبياء - أي : البليد .
(١٤) بسبَبه - أي : الشرح .
(١٥) خادمي - بالاشتغال على تعلم الأحاديث وتعليمها ونشرها وحفظها . م .
(١٦) والغَوْص : الدُّخول تحت الماء . (لغة) .
(١٧) لا ينسى - أي : لا يترك .
(١٨) أنيسهم - أي : الآنس بهم .

مَعَ المُحِبّينَ بِنَصّ الرسُول الأمين ، مُسمّيًا إيّاه بـ « وَسَائِلِ اللبيبِ إلى فهْم فَضائل الحَبيبِ » ، وبالله تعالى التّوْفيقُ وَبِيَده أزِمّةُ[١] التّحقيق .

واعلم : أنّي وجدْتُ هَذا الكتَاب عنْد وَاحد[٢] منَ الطّلاّب ، فإذا هُو كتاب عَظيمٌ قَدرُه غزيرٌ عِلمُه ؛ فاعتنَيْتُ بتَعْليمهِ وتَحريره وإشهَارِه وَشرحِه مَعَ عدم ظَفْري بِغَيْر نُسْخة وَاحدةٍ غيْرِ صَحيحة ، فعَليْك[٣] يَا أخي بالاعتناء به ؛ فإنّه بتَعلُّمِه وَحفظِه حَقيقٌ ، وتَعْليمِه وَتنْويهِ[٤] ذِكرِه خَليقٌ[٥] ، لأن مِن المعلوم : أنه[٦] يجبُ على كلّ أحدٍ[٧] أن يَعْرف نبيّنا ﷺ بأوْصافهِ وَأسْمَائهِ وأنسَابهِ وَأخلاقهِ ، وَلا ترتقي[٨] هِممُ الطّلبةِ في هذا الزّمان إلى التّسَلّق[٩] بمَعْرفة آثارِ رسُول الدّيّانِ[١٠] ، وَتتبُّع أحْوَاله وَشِيَمه[١١] وشمَايلِهِ[١٢] وسِيَرِه[١٣] منَ الكتب المَبْسوطَة للسّلف الصّالحينَ ، وَالزّبرِ[١٤] المُؤلّفَةِ للخَلف المتأخرين ، فالاشتغالُ بِمِثْل هذا الكتاب الشريف وَاجبٌ على الطّالب الضّعيف[١٥] . وَإيّاك[١٦] يا أخي أنْ تُنكِر لِمَا لمْ يُدركهُ فَهْمُك[١٧] أو لمَا خالفهُ عِلمُك ، فإنّ

---

(١) أي : جمع زمام .
(٢) عند واحد – أي : محمد الجِرْكِيّ .
(٣) فعليك – أي : ألزم .
(٤) تَنْويه – أي : أعلاء شرفه .
(٥) خليق – أي : لائق .
(٦) أنه – شان .
(٧) كل أحد – من المكلفين .
(٨) ترتقي – حال .
(٩) وتسلق : الجدار أي : تسوَّر . (قاموس) .
(١٠) والدين : الجزاءُ ، ومنه الدَّيَّانُ في صفة الله تعالى . (ص) .
(١١) شِيمه – جمع شِيمَةُ ، وهي بالكسر : الطبيعة . (لسان العرب) .
(١٢) شمايله – وهي بالياء جمع شمال بالكسر ، وهو الطبع . منه .
(١٣) سيره – جمع سيرة ، وهي بالكسر : السنة والطريقة والهيئة .
(١٤) الزبر – أي : الكتب .
(١٥) الضعيف – أي : الذي يقصر باعه عن المطولات . منه .
(١٦) إياك – أي : أحذر .
(١٧) أي : في هذا الشرح .

عُهْدةَ[١] مَا فيه ليْس على هذا الفقير بل على شارحي الأحَاديث من الجَمّ[٢] الغَفيرِ ، وَإنّما جَهْدِي - جَمْع الشّتات[٣] - في الكُتب المُتفرّقات[٤] وكِتْبتها[٥] في مَحالّهَا المُتَناسبةِ وَمَواضعهَا المُتلائمةِ ، فالمَرجوّ من المُنْصفِ الناصح وَالناظرِ فيه الصالح أنْ يُصْلح ما زلّ فيه القَدمُ أوْ طغى فيه القلمُ ، فإنّيَ بالقصور لَمُعترِف ، وَبِهَوَى النّفس لَمُقْترِف ، وَفي ما لا يَعْنيني لمُحْترِف ، وَمِنْ وَساوس الشيطان لمُغْترِف ، ولكنّ الإله بَرّ كريمٌ ذُو الْفضل العَظيم ، فنَسْأله تعالى أنْ يسَامح لهذا اللهيف[٦] بالرّسُول الشريف ، وَلِسائر المُسْلمين بالنّبي الأمين ، آمين .

ثم اعلم : أنّ المصنف رحمه الله أشار في هذا الأنموذج اللّطيف وَالمُختصر المُنيفِ إلى بعْض مَا يجبُ على المكلّف : مِنْ بيان أوْصَاف[٧] الرّسُول الكريم ؛ عليه صَلوات الله الفَاطِر العَليم ، وأنسَابه ، وشَمايله ، وبعضِ مَا يتعلّق بأحْواله ، وأحْوَالِ مُحبِّيه ، مِنْ أزْواجه ، وأوْلاده ، وَخُلَفائه الراشدين ، وَالأئمة الهَادينَ المُهْديين ، ثم أتبعُهُ بخاتمة تُبيِّن عقائدَ أهل السنة ، تَتْميمًا لِواجبَات[٨] الاعتقادِ وَتسْهيلا لِطالبي الرّشاد . فَقَالَ :

(١) عُهدة - أي : المشقة .
(٢) الجم : الكثير الغفير ، أي : الساتر بكثرتهم وجه الأرض .
(٣) الشتات - وهذا غير قليل ، لأنه يكون كمن تهياء سهما للرامي بخروجه من الكنانة كما هو دأب سائر المختصرات ، فاشكر يا أخي . منه .
(٤) المتفرقات - أي : مع عدم الظفر بأكثر ما يحتاج إليها منها . منه .
(٥) كتبتها - أي : بغير إشارة إلى النقل عنهم روما للاختصار ، ولأن من يقبل النقل يقبل المنقول ، ومَن لا فلا . منه .
(٦) أي : الحيران .
(٧) من بيان أوصاف - أي : من بيان بعض أوصاف .
(٨) لواجبات - أي : لبعضها كما في الخاتمة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أكرم . . . .

(**بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمْد لله**) ومعْنى البَسملة والحَمْدلة مُبيَّن في الْكتُب فلا نُطيل بذِكْره (**الذي أكرم**) فيه برَاعة استهلالِ لِمَا يأتي في الكتاب مِنْ مَا حبا[١] اللهُ تعالى بهِ النبي ﷺ من فضائله التي لا يدركها أحدُ من الأنبياء .

اعلم : أنّ ممّا يتعيّن على كلّ مكلّف اعْتقادَ أنّ كمالات نبيّنا ﷺ لا تحصَى ، وأنّ أحْوالَهُ وَصِفاته وشمايلَه لا تُسْتَقْصى ، وأنّ خَصائصَه ومُعْجزاتِه لَمْ تجتمع قطّ في مخلوُق ، وأنّ حَقّه على كلّ أحدِ أعْظمُ الحُقوق ، وأنّ وُجُوهَ إكرام اللهِ تعالى له لا تنحصرُ في كتابٍ ولا تنْضبطُ في خِطابٍ ، وَكَمْ أَلّفَ الوَاصفُون لِكمالهِ ، وَكمْ سطَر المَادحوُن لِجَماله ؟ ! فاعْترَفُوا بِعَدم بُلوغهم إلى قُلِّ من جُلِّ[٢] مِنْ أخلاقه الكاملةِ ، وَعدم إحْصائهم بَعْضِ مَا مَنَحهُ الله تعالى مِنْ أحوَاله الفاضلة .

فَمِنْ أعظم إكرَامَاته في الدّنيَا : إيتاء المُعْجزات التي لم يؤتَهَا أحد منَ الأنبياءِ قَبْلهُ ، ومن أعظمها : القُرْآن العَزيز الذي فيه تِبْيان كلّ شيء ، ويبْقى مَدَى الدّهُور ؛ مَحْفوظا منَ الشرورِ[٣] . وَمِنْ أشرفِ تكريماته في العُقبى : شفاعتُه الكبْرى في المَحْشر ، بالسّؤال مِنَ الله تعالى فصْلَ القَضاء لأهْل المَوْقف لِيَسْتريحُوا ، بَعْد تَرْدادِهِمْ إلى الأنبياء قبْله منْ آدم إلى عيسى عليهما السلام ، ورَدِّهمْ لهُمْ واحدٌ بعد واحد إلى الحبيب المختار ﷺ ؛ هذا[٤] .

(١) ما حبا الله تعالى - أي : أعطاه إياه بلا مَنّ ولا جزاء .
(٢) جَلَّ الشيءُ : عَظمَ ، جُلُّ الشيء مُعْظَمُه . (م) .
(٣) الشرور - كالتغيير والتبديل .
(٤) هذا - خُذ هذا .

نبينا محمدًا على سائر الأنبياء ، وفضل أصفياء أمته . . . .

وَتعْدادُ خصَائصِه وَتشْريفاتِه لا يليقُ بهَذا المُخْتصر ، وإنْ أردتَ الوُقوفَ عَليها فعَلَيْك[١] بكُتُب سِيَر المُصْطفى ﷺ مِثْلَ كتاب : « الشفا »[٢] للقاضي عِياض[٣] ، وكتابِ : « المَواهب »[٤] للخَطيب القَسْطلانيّ رضي الله عنهما[٥] .

(**نبيَّنا**) مَعْنى النبي وَالرسول وَالنسْبةُ بَيْنهما مَذْكُور في الْكُتب المَبْسُوطَة ؛ فَراجعهَا إنْ شئتَ البيَانَ ، وَإضافتُه[٦] لِتشْريف المُضاف إليه لا للاخْتِصاص ؛ لأن نُبوّتَه عَام لكلّ الخَلْقِ كرِسَالتِه إلا أنْ يُراد جميع المُكلّفين (**محمّدا**) ﷺ سَيأتي بيَانُه (**عَلى سائِر الأنبيَاء**)[٧] خُصُّوا ؛ لأن مِن المَعْلوم إكرامَهُمْ على سائر الناسِ ، فإذا أكرمهُ[٨] عَليْهِم فقدْ أكرمَه على الجَميع ضَرُورةً (**وفضّل**) تفَنّنَ في العِبارة[٩] (**أصْفيَاءَ أُمّته**) جمْع صَفيّ كغنيّ ، وهو : الحبيبُ المُصافي ، فهو

---

(١) فعليك – أي : ألزم .

(٢) وهو كتاب « الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى » .

(٣) هو : الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليَحْصَبيُّ الأندلسي ، ثم السَّبتي ، المالكي . يعود نسبه إلى إحدى قبائل اليمن العربية القحطانية . من أشهر كتبه : « إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم » ، « جامع التاريخ » ، « ترتيب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك » ، « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » . كان مولده في سَبتة في شهر شعبان سنة ٤٩٦ هـ ، وتوفي بمراكش في جمادى الآخرة ، وقيل : في رمضان سنة ٥٤٤ هـ .

(٤) وهو كتاب « المَواهب اللدنية بالمنح المحمَّدية » .

(٥) هو : العلامة الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن حسين بن علي القسطلاني القتيبي المصري الشافعي . من أشهر كتبه : « إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » ، « لطائف الإشارات في علم القراآت » ، « الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر » ، « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » . ولد يوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ في مصر ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن المحرم سنة ٩٢٣ هـ ، ودفن بقبة قاضي القضاة بدر الدين العيني من مدرسته بقرب جامع الأزهر .

(٦) إضافته – أي : النبي إلينا مع أنه نبي جميع الأمم . منه .

(٧) أي : عليهم الصلاة والسلام .

(٨) فإذا أكرمه – أي : الله .

(٩) تفنَّن في العبارة – والمعنى واحد .

على سائر الأولياء ، ونصلي ونسلم على صاحب الحوض . . . .

بمَعْنى الوَليّ الآتي (على سائِر الأوْلِيَاء) أيْ : مِنْ سَائر الأمم ، جَمْع وَليٍّ ، وهو فَعيلٌ بمَعْنى مفعُولٍ ؛ لأن الله تعالى تولّى أمْرَه فلَمْ يَكِلْهُ إلى نَفْسِه وَلا غيْرِه لحظةً بل تولّى لِرعَايته ، قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١] ، أو بمعنى فاعلٌ ؛ لأنه يَتولّى عِبادة الله تعالى وَطاعتَه على الدّوام ، وتحقُّق كلا المَعْنيين واجبٌ في الْوَليّ لِيَكُون حَبيبًا ؛ فتغيير العِبارة[٢] للتَفنّنَ ، وأمّا وجهُ تَفْضيلِ - أوْلياء هذه الأمّة على أولياء سَائر الأمم - فمدلُول عليه بآيات وَأَحَاديثَ ، وَيُصرّح به قولهُ تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية[٣] ، وقد ذكر الجَلال السُّيوطي رحمه الله[٤] في كتابه « أنموذج اللبيب »[٥] : تَخْصيصاتِ نبيِّنَا المَحْضةِ له أو المُشتركةِ مَع الأنبيَاء وَامْتيازاتِ أُمّتِنَا بنحو : أرْبعِمائةٍ وأرْبعين ، فارْجع إليه إنْ شئتَ الإشارةَ إلى الخَصائص .

(وَنُصلّي) أيْ : نَدعُو بالصلوة التي أَمرنا بالدعاء بها في قوله تعالى : ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾[٦] ، وهي مِنَ اللهِ تعالى الرحمةُ المَقرونةُ بالتَّعْظيم (و)أما قوله : (نُسَلم) فهو وَإنْ جاز أن يكون بمَعْنى نُحيِّي أخذًا منَ السلام بمَعْنى التحية ؛ لكنَّ التّفويضَ إلى الله تعالى بالدعاءِ بأنْ يُحيِّيَهُ أَلْيَقُ بِأمْثالنا المُقصِّرينَ ، فمَعْناهُ : نَدْعو بالتحيّة (على صَاحب الحَوْض) أي : نَبيِّنا ؛ إذ حَوْضُ غيْرِه منَ الأنبياء لَمْ يثبُتْ بالتواتر[٧] ،

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٦ .
(٢) فتغيير العبارة للتفنّن - أي : بالأصفياء والأولياء . منه .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .
(٤) هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي ، جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب . له نحو ٦٠٠ مصنف . من أشهر كتبه : « الإتقان في علوم القرآن » ، « عين الإصابة في معرفة الصحابة » ، « الجامع الصغير من حديث البشير النذير » ، « أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » . وُلد يوم الأحد غرة شهر رجب من سنة ٨٤٩ هـ في القاهرة ، وتوفي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة في ١٩ جمادى الأولى ٩١١ هـ ، ودفن خارج باب القرافة .
(٥) وهو كتاب « أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .
(٧) أي : بخلاف حوضه ، كما سيأتي في الخاتمة . منه .

والشفاعة للضعفاء والأقوياء ، وعلى آله الأصفياء وصحبه الأتقياء .

أما بعد : فأنا الغريب لما أردت إرشاد الصبيان ، وهداية الغلمان ، . . .

ولَعلَّ لهذا خصّ[١] هذا الاسمَ منْ بَيْن أسمَائه[٢] (**و**)كذلك صَاحبُ (**الشفاعة**) لأنها وَإنْ كانت للأنبياء بل وللأخيار ؛ لكنّ الشفاعَةَ الكُبْرى التي تَسَمّى بالمَقام المحمود[٣] المُرَادةُ هَهُنا بِدَليل قوله : (**للضُّعَفاء**) كَالأمم (**وَالأقويَاءِ**) كأنبيَائِهم مُختصّةٌ[٤] بِهِ (**وعلى آله**) قالوا : ما المراد بالآلِ في مقام الدّعاء : كلّ مُؤمن تقيّ وَإنْ كانَ خبر : « آلِي كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ »[٥] ضَعيفا ؛ إذ الدُّعاء بالتّعميم ألْيَقُ ، فيكون ذِكْرُ الصّحبِ تخصيصًا بَعْد التّعميم لِمَزيدِ شَرفِهِمْ ، وعلى أنّ المُراد به : مُؤْمِنُو بَني هَاشم وَالمُطلب كما هُو في تَحريم الصّدقة لهم عند الشافعي رضي الله عنه[٦] ، فذكرُ الصحب العَامّ مِنْ وجهٍ لِتَشْمِلَ الصّلوةُ بَاقيهم ، فقوله : (**الأصْفِياء**) صفةٌ مادحَة ؛ وَكذلك صفة الصّحْب في قوله : (**وصَحْبه الأتقياء**[٧]) .

أمّا بعد : فأنا الغريبُ) إمّا صِفَة على مَذهب مَنْ جَوّز وُقُوعَ الصفة عَن الضمير ، وإمّا بَدلٌ على مَذْهب الأخْفش (**لما أردتُ إرشادَ الصّبيَان**)[٨] خصّوا بالذكر لأنهُمْ هُمُ الحَريصُون على مِثْل هذه الرسالة (**وهِدَايَةَ الغِلْمان**)

---

(١) خص - لامتيازه بالحوض .
(٢) أسمائه - الكثيرة .
(٣) بالمقام المحمود - وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الآية ، أعني : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، فقالت الحنابلة : معناه : يجلسه الله تعالى على عرشه . وقال غيرهم : بل هي : الشفاعة العظمى في فصل القضاء ، فدام الخصام إلى أن اقتتلوا فقتل كثيرون . « إنسان : ٣٢٧/١ » .
(٤) مختصة - خبر لكن .
(٥) عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ : مَن آلُ محمَّدٍ ؟ فقال : « كُلُّ تَقِيٍّ مِنْ أمَّةِ مُحَمَّدٍ » . « مواهب : ٣٤٠/٣ » . *
(٦) واختاره الجمهور ، ويؤيده قوله ﷺ للحسن بن علي : « إنَّا آل مُحَمَّدٍ لاَ تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ » . « مواهب : ٣٤٠/٣ » . *
(٧) الأتقياء - جمع تقيّ بمعنى المتّقي . وللتقوى ثلاث مراتب : الصّيانة عن الشّرك ، والتجنّب عن كلّ ما يؤثم ، والانقطاع إلى الله بالكليّة ، والمتعارف في الشّرع هُو الثاني وإن كان الثالث هو : التقوى الحقيقي . منه .
(٨) أي : المبتدئين .

إلى المنهج القويم ، والطريق المستقيم ، في أوصاف نبيه الكريم ، وأنساب رسوله العظيم ، مستعينا بالله الحكيم ، اطلعت كتبا من المصنفات الجليلة ، والمؤلفات الجميلة من المعتبرات ، فلله درهم وإلى النعيم ردهم ، والتقطت منها ما أدرك به علمي التقاط الدر من اليم من مقدار كفايتي ، ومرام عنايتي ، على وجه إرادتي ، فهو حسبي ونعم الوكيل ، وسميته : . . . .

تَفْسِيريّ (**إلى المَنْهج القويم ، وَالطّريق المُسْتقيم**) تفْسيري أيضًا (**في أوْصاف نَبيِّه الكريم**) مُتعلِّقٌ بِالمَنْهج القَويم ، وَالضّميرُ للمَعْلوم[1] وَإنْ لم يتقدّم ذكرُهُ (**وأنسَاب رسوله العَظيم**) لأنّ مَنْ زَاغَ[2] في وَصْفه وَنَسبهِ فَقدْ ضلّ (**مُسْتعينا**) حَالٌ منْ فاعل أردْتُ (**بالله الحكيم ، اطّلَعْتُ**) منْ بَاب افْتَعَلَ جَوَابُ لمّا (**كُتبًا مِن**) بيَانٌ[3] (**المُصنَّفاتِ الجَليلَة**) القَدْرُ (**والمُؤلفات الجَميلة**) الذكرُ - بالجيم - لِمُقابَلة الجمَال للجلال في غير مَوْضع (**مِن المُعْتبَرات**) الأوْلَى للمُعْتبرين ؛ لِيَرْجع ضميرُ درّهم إليْه وإنْ جَاز رُجوعهُ إلى ما فُهِم منْ قبلُ منْ مصنفيهَا (**فلِله دَرّهم**) أيْ : خَيْرهُمْ ، كلمَة[4] تقال عند التعجب بِحُسن الشيْء (**وَإلى**) جنّة (**النعيم ردّهُمْ ، وَالتقطتُ**) أي : أخَذْت (**منها**) أي : المصَنّفات (**مَا أدْرَك به عِلمي**) أيْ : فَهْمي ؛ لأن العِلم إدْرَاكٌ فلا يُدْرك (**التقَاطَ الدّرّ**) أيْ : كالتقَاطه ، فهو مَفْعُول مُطْلق مجَازيٌّ (**مِنَ اليمّ**) أي : البحر (**مِن**) بيان ما (**مِقدار كِفايَتي**) أي : القَدْرَ الذي يَكْفيني (**ومَرام عِنايَتي**) أيْ : مطلُوبَ اهْتمامِي مُلتبسَيْن (**على وَجْه إرَادَتي**) أيْ : على وَجْه الاختصار المُرَادِ (**فهو حَسْبي وَنِعْم الوَكيلُ**) هو كأنه عِلّة لِمُبَاشرَتهِ ؛ أيْ : لمّا كان الله تعالى كافيًا ووَكِيلاً بَاشَرْتُ التأليف (**وسمّيتهُ :**)

---

(١) إعادةُ الضَّمير على مَعلوم غيرِ مَذكُورٍ سائِغَةٌ شائِعةٌ فلا اعتراضَ عَليهِ . « ابن حجر » .
(٢) زاغ - أي : مال إلى الباطل ؛ لأن مَنْ زاغ في وصفه ونسبه فقد ضلّ .
(٣) أي : فيه تأمل لا بأس به . منه .
(٤) كلمة - وإطلاق الكلمة على الجملة سائغ كما يقال كلمة الشهادة . منه .

بـ« فضائل الحبيب ومناقب الطبيب » ، والله أسئل النفع به على التعميم ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وسببا للفوز بالنعيم المقيم ، آمين . . . .

أي : المُلْتقَطَ المفهُوم (**بـ« فَضَائِل الحَبِيبِ**[1] **وَمَناقِبِ الطَّبِيبِ »**) جَمْع مَنْقبة ، وَهي الفَضيلةُ ، وإطلاقُ الطَّبيبِ على النبي ﷺ ؛ لأنهُ الذي يَشْفي الخَلْقَ منْ مَرَض الجَهْل الذي لا داءَ أدْوى[2] مِنْهُ (**وَاللهَ**) تعالى مَفْعول (**أسئلُ**) المتقدِّم للاهْتمام وَمفعُوله الثاني (**النّفعَ به**) أي : بفضائل ، وَالإفرادُ باعْتبار اسْميّتهِ للكتاب (**على التّعميم**) أيْ : للعَامّة (**وَأنْ يجعلهُ خالصًا**) مِنَ الرّياء وَغيْره منَ المُحبطاتِ (**لِوَجْهه**) أيْ : لأجْل ذات الله (**الكريم ، وَسببًا لِلفوْزِ بالنّعيم المُقِيم**) أي : الدّائم (**آمين**) أي : استجبْ ، التفتَ مِنَ الغيبة إلى الخطاب .

(١) فضائل الحبيب - تسمية بأشرف أجزاء الكتاب وإن كان فيه بيان فضائل غير الحبيب ؛ كما هو المتعارف . منه .
(٢) أدوى - أودي . خ .

فصل في بيان معرفة أوصاف نبينا محمد ﷺ وأسمائه وأنسابه

اعلم : أنه يجب على كافة الورى ، شرقا وغربا ، قربا وبعدا ، أن يُعرّفوا أولادهم أن اسمه : محمد . . . .

فَصْلٌ

(فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ أَوْصَافِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ)

بأنه : سيّدُ الخلقِ وَأفْضلُهم ، وأنه مُتزوِّج وَوَالد ومَوْلود بمكةَ ، ومُهاجرٌ إلى المَدينَةِ ومَدْفونٌ فيهَا وَغيْرُ ذلك (و)بيَانِ مَعْرفة (أسْمائه وأنسَابِه) وَالمُصنف عكسَ تَرْتيبَ اللّفِ في النّشْر ؛ فقال :

(**اعلم : أنه يجبُ على كافة الوَرى**) أيْ : جميع الخَلْق (**شرقا**) أيْ : حالَ كَوْنهم في الشّرق ؛ أي : المَشْرق (**و**)كذا (**غربا ، قربًا**) أَي : حال كَوْنهم قريبًا لجهة النبي ﷺ (**و**)كذا (**بُعْدًا ، أنْ يُعَرِّفوا**) مِنَ التعريف (**أولادَهُمْ**) وَمَنْ لم يُعرِّفْه آباؤُهُ وجبَ عليه أن يعرف (**أن اسمَه : محمّد**) واسمُ أبيه : عَبد اللهِ بن عَبْد المُطلبِ[١] ، وَأمّا وُجوب مَعْرفة آبائه إلى عَدْنان فلَمْ أرَ مَن صرّح به إلا هذا ؛ واللهُ أعلم[٢] .

---

(١) وكان عبد المطلب ممّن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وكان مجاب الدّعوة ، وكان يقال له : الفيّاض ؛ لجُوده ، ومُطعم طير السماء ؛ لأنه كانَ يرفع من مائدته للطير والوُحوش في رؤوس الجبال . قال : وكان من حلماء قريش وَحكمائها . وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ، ويحثّهم على مكارم الأخلاق ، ويَنهاهُم عن دَنيئات الأمُور . وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلُوم حتى ينتقم منه وتصيبهم عقوبة إلى أن هَلك رجُل ظلوم منْ أهْل الشام لمْ تصبه عَقوبة ، فقيل لعَبْد المطلّب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار دارًا يجزى فيها المُحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته . ورَفض في آخر عمره عبادة الأصنام ، ووحّد الله سبحانه وتعالى . وتؤثر عنه سُنن ؛ جاء القرآن بأكثرها ، وجائت السّنة بها ، منها : الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا ، وأن لا يَطوف بالبيت عُرْيان . « إنسان : ١/ ٩-١٠ » .

(٢) فقد صرح بعض أئمتنا : أن أول واجب على الأولياء أن يعلموا صبيانهم أن نبينا محمدا ﷺ ولد بمكة ودفن بالمدينة ، بل قيل : إنكار ذلك كفر ، لاستلزامه إنكار وجود النبي الذي هو محمد ﷺ . « منح : صـ ١١٥ » . *

. . . .

ويجب أيضا كما صرّحُوا به : أن يَعْرف ويُعَرِّف أوْلادَهُ أنّ اسمَ أمّهِ : آمنتُ . وأنه وُلد بمكّة ودُفن بالمَدينَة ، وأنّ لوْنَه أبْيضُ مُشرَّبٌ بحُمْرة ، وَأنّ قامَتَه مُعْتدلةٌ أي : لا قَصِيرَ وَلا طويلَ ، وأنه بُعث إلى الخلق كافّةً كما يتَأتّى بيَان ذلك كلهِ .

ومحمّد – عَلَمٌ مَنْقول مِنْ اسم مفعولِ المضعَّفِ العَيْنِ ، سُمّي به نبيُّنا لِكثرة خِصَاله المَحمودةِ ، وسمّاه به جَدُّه عبد المطلب – لِمَوْت أبيه قَبْل ولادَتهِ – بإلْهَام مِنَ الله بذلك[١] ، رَجاء أنْ يحمدهُ أهْل السّماء وَأهْل الأرض ، وَقدْ حقّق الله تعالى رجائَه . ومِن مزايَا هذا الاسْم : مُوافَقتُه لاسْم الله تعالى مَحمودٌ ، ومن مزاياه أيضا وَمَزَايا اسْمهِ أحمد : مُسَاواتُهما لِلَفْظ الجلالة[٢] ، فإنّ عددَ كلٍّ أرْبعةُ أحْرفٍ .

وورد في الحديث : أنه سُمّي بهذا الاسم قَبْلَ الخَلْقِ بألْفَيْ عَامٍ ، وَوَرَدَ أيضًا : أن اسمَه محمّدا مَكْتوبٌ على سَاقِ العَرْشِ ، وَفي السّموَات السَّبْع ، وَفي قُصُورِ الجَنَّةِ وغُرَفِها ، وعَلى نُحُورِ الحُورِ العِينِ ، وعلى قَصَبِ[٣] آجامِ[٤] الجنّةِ ، وَوَرَقِ طُوبَى ، وَسِدْرَةِ المُنْتَهَى ، وعلى أطْرَافِ الحُجُبِ ، وَبَيْنَ أعْيُنِ المَلائكةِ .

(١) واختلفوا هل سمَّتْه بمحمد أمُّه ﷺ أو جدّه ، وهل سمي ﷺ ليلة ولادته أو في سابعها ، ولا تَعارُضَ لإمْكان وُقوعها سرًّا ليلة الولادةِ وإظهارها لِكافّة النّاس في اليوم السابع ؟ وروى البيهقيُّ عن أبي الحسن التَّنوخي : أنه لَمّا كانَ يومُ السابع من ولادته ﷺ ذَبَح عنه جدُّه عبد المطلب ودعا قريشا ، فلما أكلوا قالوا : ما سميته ؟ قال : سميته : محمدًا ، قالوا : لَم رَغِبتَ به عن أسماء أهل بيتك ؟ قال : أردتُ أن يَحْمَدَه الله في السماء وخَلْقُه في الأرض ، وقيل : إنما سماه محمدا لرُؤيا رَآها ، زَعَموا أنه رأى مَنامًا كأن سلسلةً مِن فضة خَرَجت مِن ظهره ، ولها طَرف بالسّماء وطَرَفٌ بالأرض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ، ثم عادتْ كأنها شجرة على كلِّ ورقة منها نورٌ ، وإذا أهل المشرق وأهل المغرب يتعلّقون بها ، فَقَصَّهَا وعُبِّرَتْ – بتخفيفِ الباء وتشديدها – أي : فُسِّرَت له بمَوْلود يكون من صُلبه ، يَتْبَعُه أهلُ المشرق وأهلُ المغرب ، ويَحْمَدُه أهلُ السماء وأهل الأرضُ ، فلذلكَ سمَّاهُ محمدا مع ما حدَّثَتْهُ به أمهُ مِن أنها أتاها آت وهي بين النائم واليَقظان وقال لها : إذا وُضع فَسَمِّيه محمدا ، ﷺ . « بجيرمي على الخطيب : ١/٤٥-٤٦ » .

(٢) أي : الله .

(٣) القَصَبُ ، محرَّكةً : كلُّ نباتٍ ذي أنابيبَ ، الواحدةُ : قَصَبَةٌ ، وقَصْباةٌ . (قاموس) .

(٤) والأَجَمَة : الشجر الكثير المُلتفُّ ، جمعه : آجام . (لسان العرب) .

ابن عبد الله بن عبد المطلب . . . .

قيل : ووجد مَكتُوبًا على وَرد الهِنْد ، وَعلى جَنب سَمَكة ، وَأُذن أُخْرى ، وَغيْرِ ذلك ممّا لا يُحْصَى[١] .

ومِن أعلام نبوّته : أنه لم يسمّ به أحدٌ قبْلهُ ، صِيَانة لهذا الاسْم كما صِين يَحْيَى عن ذلك ، وَخَشْيَةً مِنْ وُقوع لُبْس . نعم ؛ لمّا قَرُب زَمانهُ وبشّرَ أهْلُ الكتاب بِقُرْبهِ[٢] سَمَّى قومٌ أولادَهُمْ بذلك ؛ رجاء أن يكون[٣] هُوَ[٤] ؛ وغفلُوا عنْ أنه تعالى أَعْلَم حَيْث يَجْعل رِسَالتَهُ ، وأشهرُهُمْ خمْسةَ عشر .

(**ابن عَبْد الله بنِ عبْد المطّلب**) واسمهُ : عَامِر ، وَقيل[٥] : شَيْبَةُ الحَمْد ؛ لأنه ولد وفي رَأسه شيْبة ، وَكُنيتُه : أبو الحَارثِ ؛ كُنّي بأكبرِ أبنائه ، وإنما قيل له : عبد المطلب ؛ لأن أباه هاشمًا قال لأخيه المطلب وهو بمكّة : أدْرِكْ عَبْدَك

(١) وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركته في كتابه « لواقح الأنوار القدسية في قواعد السادة الصوفية » : وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علمًا من أعلام النبوّة ، وذلك أن شخصًا أتاني برأس خروف شواها ، وأكلها وأراني فيها مكتوبًا بخط إلهيّ على الجبين : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، يهدي به من يشاء ، يهدي به من يشاء » . قال الشيخ عبد الوهاب : وتكرير ذلك لحكمة ، فإن الله لا يسهُو ، هذا كلامُه . وقد يقال : لعل الحكمة التأكيد لعلوّ مقام الهداية ، كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية . « إنسان : ١/٣٢٠ » .

(٢) ومنها : ما جاء بسند ضعيف : أن راهبا كان بمرِّ الظهران يقول : يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد ، تدين له العرب ، ويملك العجم ، هذا زمانه ، فكان لا يولد بمكة مولود إلا سأل عنه ، فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته ﷺ ، فلما رآه قال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه وقد طلع نجمه البارحة ، فما سميته ؟ قال : محمدا .

عن عائشة ﵂ : أنه كان بمكة يهودي ، فصاح ليلة ولادته : يا أهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلمه ، قال : ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فَرس ، فأدخلوه على أمه ، وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيًا عليه ، فلما أفاق قالوا : ما لك ويلك ؟ قال : ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل . « منح : صـ ١١٦ » . ٭

(٣) أن يكون – ولد .

(٤) هو – محمد .

(٥) وقيل : لكثرة حمد الناس له ، أي : لأنه كان مَفزَع قريش في النّوائب وملجأهم في الأمور ، فكان شريف قريش وسيّدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع . « إنسان : ١/٩ » .

ابن هاشم ابن عبد مناف ابن قصي ابن كلاب . . . .

بِيَثْرِبَ[١] ، وقيل : غير ذلك[٢] . هو أوّل مَنْ خَضَبَ بالسَّواد مِنَ العَرب ، وَعاش مائةَ وَأرْبعينَ سنة (**ابن هاشم**) وَاسمُه : عَمْرُو ، وإنما قيل له : هاشم ؛ لأنه كان يَهْشِمُ[٣] الثّريدَ لِقَوْمه في الجَدْب[٤] (**ابنِ عَبْد مَناف**)[٥] - بفَتْح الميم ، وَاسمُه : المُغِيرةُ ، ومَناف[٦]- صَنَم ؛ وَالنسبةُ مَنافيّ والقياسُ عَبْديّ[٧] ، فعَدلُوا منْه لإزالة اللُّبْس (**ابنِ قُصيّ**) تَصغيرِ قَصِيٍّ كصَبيّ أي : بَعيد ؛ لأنه بَعُد عن عَشيرتهِ في بِلاد قُضاعة حين احتملَتْهُ أمهُ فاطمةُ . وَاسْمُه : مُجَمِّع ، قال الشاعرُ :

أبوكُمْ قُصَيُّ كانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا به جمّعَ اللهُ القَبَائِلَ مِن فِهْر

(**ابنِ كلاب**)[٨] - بكَسْر الكافِ واللام الخفيفةِ - وهو إمّا مَنْقول مِنَ المَصْدر في مَعْنى المُكالَبة ، وإما مِن جمعِ كَلْب ؛ لأنهم يُريدون الكَثْرةَ كما يُسَمُّون بسبَاع .

وسُئل أعرابيٌّ : لِم تُسَمُّون أبنائَكُمْ بشَرِّ الأسْمَاء نَحو : كَلْب وَذِئْب ، وَعَبيدَكُم بأحْسَن الأسماء نحوُ : رِزْق ومَرْزُوق ورِبَاح ؟ فقال : إنما نسَمّي[٩]

---

(١) بيثرب - أي : بالمدينة .
(٢) وقيل : إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه - وهو بهيئة بزة - فكان يسأل عنه فيقول : هو عبدي ، حياء أن يقول : هو ابن أخي ، فلما أدخله وأحسن من حاله ، أظهر أنه ابن أخيه ، فلذلك قيل له : عبد المطلب . « المواهب : ٩١/١ » . *
(٣) الهَشْمُ : كسْرُ الشيءِ اليابس أو الأجوف . (قاموس) .
(٤) واتفق أنه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام ، وقيل : بلغه ذلك وهو بغزّة مِن الشام ، فاشترى دقيقًا وكعكًا وقدم به مكة في المَوْسِم ، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدًا ، وأطعم الناس حتى أشبعهم ، فسمي بذلك هاشمًا . وكان يقال له : أبو البطحاء وسيد البطحاء . « إنسان : ١١/١ » . *
(٥) وكان يقال له : قمر البطحاء لحسنه وجماله ، وهذا هو الجد الثالث لرسول الله ﷺ ، وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان ، والجد التاسع لإمامنا الشافعي رضي الله عنه . ووجد كتاب في حجر : أنا المُغيرة بن قصي ، أوصي قريشًا بتقوى الله جل وعلا ، وصلة الرحم . « إنسان : ١٣/١ » .
(٦) مناف - أصله منات ، كان أعظم أصنامهم . « إنسان : ١٣/١ » .
(٧) عبديّ - لأن المركب ينسب إلى صَدْره كبَعْليّ .
(٨) وقيل : عُرْوَة ، ولقب بكلاب ؛ لأنه كان يحب الصيد ، وأكثر صيده كان بالكلاب ، وهو الجد الثالث لآمنة أمه ﷺ ، ففي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه . « إنسان : ٢٥/١ » .
(٩) نسمّي - بذلك .

ابن مرة ابن كعب ابن لوي ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النضر ابن كنانة . .

أَبْنائَنا لأعْدائنا ، وعَبيدنَا لأنفسنا ، يريد أنّ الأبْناءَ عُدّةٌ[١] للأعْدَاء ، وسهَامٌ في نُحُورِهم ، فَاخْتارُوا لهُمْ هَذه الأسماءَ .

وَاسْم كِلاب : حَكيم (**ابن مُرّة**)[٢] - بضمّ الميم وَالراء المُشدَّدة (**ابن كعب**)[٣] وهو أوّل مَنْ جَمع يوْمَ العَروبَةِ[٤] ، وَكانت تجتمع إليه قريشٌ في هذا اليَوْم ، فيخطُبُهُمْ وَيذكُرهم بمبعث النبيّ ﷺ ، ويعلّمُهم بأنه مِنْ وُلْده ، ويأمرُهُمْ باتباعه والإيمان به (**ابن لُوَيّ**) - بضمّ اللام وَفتح الواوِ وتَشْديدِ الياء وبالهمزة وتركه[٥] - تَصْغيرُ[٦] اللاَّئي ، وهو الثّوْر (**ابن غالب**) - بالغَيْن المُعْجمة (**ابن فهر**)[٧] - بالفاء المكسُورة ، وَاسمُه : قريْش ؛ وإليه تُنْسب قريشٌ ، فما فَوْقَه كِنَانيّ ، وقال صاحب « القامُوس »[٨] : أنّ أبا قريش هو النضر جدّ فهر هذا ، وهو المشهور (**ابن مَالك**[٩] **ابن النضر**)[١٠] - بالنون والضاد المُعْجمة ، وَاسمُه : قَيْس (**ابن كِنانَة**)[١١] - بكسْر الكَاف

(١) عُدّة - أي : سلاح .

(٢) وهو الجد السادس لأبي بكر ﷺ ، والإمام مالك ﷺ يجتمع معه ﷺ في هذا الجد . « إنسان : ٢٥/١ » . *

(٣) وهو الجد الثامن لعمر ﷺ ، وقيل له كعب ، لِعُلوّه وارتفاعه . « إنسان : ٢٥/١ » .

(٤) يوم العروبة : يوم الجمعة ، وهو مِن أسمائهم القديمة . « ص » .

(٥) أهل العربية يقولون : لؤيّ - بالهمز ، والعامة تقولون : لُوَيّ ، والعرب في ذلك مختلفون ، من جعله من اللأي همزه ، ومن جعله من لِوَى الرَّمْل لم يهمزه . (لسان العرب) . *

(٦) وفي سبب تصغيره خلاف . « إنسان : ٢٦/١ » .

(٧) وفِهر هذا هو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح . ولما جاء حسان بن عبد كلال مِن اليمن في حِمْير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة إلى اليمن ليبني بها بيتًا ، ويجعل حج الناس إليه وَنزل بنخلة ، خَرج فهْر إلى مقاتلته بَعْد أن جمع قبَائل العَرب ، فقاتله وأسَره ، وانهزمت حِمْيَرَ ومن انضمّ إليهم ، واستمرّ حسان في الأسْر ثلاث سنينَ ثم افتدى نفسه بمال كثير ، وخرَج فمات بين مكة واليمن ، فهَابت العَرب فهرًا وعظمُوه وعلا أمره . « إنسان : ٢٦/١ » .

(٨) هو : العلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، أبو طاهر ، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي ، من أئمة اللغة والأدب . من أشهر كتبه : « القاموس المحيط » ، « نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان » ، « تنوير المقباس في تفسير ابن عباس » ، « المرقاة الوفية في طبقات الحنفية » . ولد في ربيع الآخر ، وقيل : في جمادى الآخرة سنة ٧٢٩ هـ بكازرون ، وتوفي قاضيا بزبيد من بلاد اليمن ليلة العشرين من شوال سنة ٨١٧ هـ .

(٩) قيل له ذلك ؛ لأنه ملك العرب . « إنسان : ٢٦/١ » .

(١٠) لقب به لنضارته وحسنه وجماله . « إنسان : ٢٦/١ » .

(١١) قيل له كنانة ؛ لأنه لم يزل في كَنٍّ مِنْ قومه . وقيل : لستره على قوْمه وَحِفظه لأسرارهم ،

ابن خزيمة ابن مدركة ابن إلياس ابن مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان .

(ابن خُزيْمةَ) تصغير خَزَمة (ابنِ مُدركة)[١] بصيغة اسم الفاعِل ، واسمُه : عمرو (ابن إلياس)[٢] - بكَسْر الهَمْزة ، وقيل : بفَتْحها - ضدُّ الرّجاء ، وَاللام للتّعْريف والهمزةُ للوصل ، قال السّهيلي : وَهذا أصحّ ، وهو أوّل مَنْ أهْدى البُدْنَ إلى البَيْت الحَرامِ ، وَيُذكَر أنه كان يسْمعُ في صُلْبه تلْبيةَ النّبي ﷺ بالحجّ (ابن مُضَر) - بفَتح الضاد المَنقُوطة ، وهو أوّل مَنْ سَنّ الحُداءَ[٣] للإبل ، وكان منْ أحْسنِ الناس صَوْتًا (ابن نِزار)[٤] - بالنون المكسُورة وَالزاي ثم الراء - منَ النَّزْر ، وهو القَليلُ ، قيل : إنه لمّا وُلد وَنظَر أبوه إلى نُور محمّد ﷺ بَيْن عَيْنيه فرحَ فرحا شديدًا ؛ وَأطْعَم وَقال : إن هذا كُلَّه نَزْر أيْ : قليلٌ لحقّ هذا المَوْلُود ، فسُمّي لذلك : نِزَارًا (ابن مَعَد)[٥] وهو : أبو العَرب (ابن عدنان) وهو : أبو قَبائلِ شَتَّى .

وكان شيخًا حسنًا عظيم القدر تحجّ إليه العرب لعِلمه وفضله ، وكان يقول : قد آن خُروج نبي من مكّة ، يُدعى أحمد ، يَدعو إلى الله وإلى البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفًا وعزًّا إلى عزكم ، ولا تعتدوا أي : تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ . قال ابن دحية رحمه الله : كان كنانة يأنف أن يأكل وَحْده ، فإذا لم يجد أحدًا أكل لقمة ورَمى لقمة إلى صَخرة ينصبها بيْن يدَيه أنفة من أن يأكل وحده . « إنسان : ١/٢٦-٢٧ » .

(١) قيل له مدركة ؛ لأنه أدرك كل عزّ وفخر كان في آبائه ، وكان فيه نور رسول الله ﷺ . « إنسان : ١/٢٧ » .

(٢) قيل : سمي بذلك ؛ لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه إلياس ، وعظم أمره عند العرب . وجاء في حديث : « لا تَسُبُّوا إلْيَاسَ فَإنَّهُ كَانَ مُؤمِنًا » . وقيل : إنه جماع قريش ، وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه ، وهو أول من مات بعلّة السّلّ ، ولما مات حَزنَتْ عليه زوجته خندف حُزنا شديدا ، لم يظلها سقف بَعْد مَوته حتّى ماتت . ومنْ ثم قيل : أحزن من خندف ، ملخصًا . « إنسان : ١/٢٧ » .

(٣) لأن الحداء ممّا ينشط الإبل لا سيما إن كان بصَوْت حَسن ، فإنها عند سماعه تمدّ أعناقها وتصغي إلى الحادي ، وتسرع في سيرها وتستخفّ الأحمال الثقيلة ، فربّما قطعت المسافة البَعيدة في زمن قصير ، وربّما أخذت ثلاثة أيام في يَوْم واحد ، وفي ذلك حكاية مشهورة ، ولأجل ما ذكر ذكر أئمّتنا أنه مستحبّ . « إنسان : ١/٢٧-٢٨ » .

(٤) وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح . « إنسان : ١/٢٨ » .

(٥) وقيل له معدّ ؛ لأنه كان صاحبَ حروب وغارات على بني إسرائيل ، ولم يحارب أحدًا إلا رجع بالنصر والظفر . وقيل : وولد عدنان يقال لهم : قيس ، وولد قحطان يقال لهم : يمن . ولما سلّط الله بُخْتَنصر على العرب أمر الله تعالى أرمياء أن يحمل معه معدّ بن عدنان على البراق كيلا تصيبَه النّقمة ، وَقال : فإنّي سَأخرج من صُلبه نبيًا كريمًا أختم به الرُّسل ، ففعل أرمياء ذلك ، واحتمله معه إلى أرضَ الشّام ، فنشأ مع بني إسرائيل ، ثم عاد بَعْد أن هدأت الفتن : أي بمَوْت بختنصر . « إنسان : ١/٢٨ » .

هذا هو النسب الصحيح المجمع عليه ، وأما فوقه فمختلف فيه مع الاتفاق على أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله بن إبراهيم ، وإنما الخلاف في عدد ما بين عدنان وإسماعيل من الآباء ، وفي عدد ما بين إبراهيم وآدم ، منهم فمن مقل ومن مكثر . وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا بلغ عدنان أمسك وقال : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ » . . . .

(**هذا**) أي : عمُود النّسَب مِنْ لَدُنْ عَبْد اللهِ إلى عَدْنان (**هُو النّسب الصّحيح المُجْمع عليه**) بين العُلماء (**وأمّا**) النسبُ (**فوقهُ**) أيْ : عَدنان (**فمختَلَف فيه مع الاتّفاق على أنّ عَدْنان مِنْ ولدِ إسماعيل نبيِّ الله بن إبراهيمَ**) خليلُ الله عليهما السلام ، ثبتَ ذلك بالدلائل وَالآثارِ (**وإنما الخلافُ في عَدد مَا بَيْنَ عَدْنان و**) بَيْنَ (**إسْماعيلَ مِن الآباء**) والذي في « المنح » : أنَّ بَيْنهُما ثمانية آباء ، لكنْ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ بَيْنهما ثلاثون آباءً لا يُعْرفون (**وَفي عَدد مَا بين إبراهيم وَآدم**) عليهما السلام (**منهم**) أي : منَ الآباء (**فمنْ مُقلّ**) أي : الناس منْ جنْس مقلّ (**ومِنْ**) جنس (**مُكثر**) أيْ : يُقِلّونَ الآباء بَيْنَ عَدْنان وإسْماعيلَ ، وكذا بين إبراهيم وآدم عليهم السلام ويُكْثرونَ .

(**وصح : أنه ﷺ كانَ إذا بلغَ عَدْنان**) عند عَدّ آبائهِ (**أمْسك**) أيْ : سكت (**وَقال : « كَذَبَ »**) بالتخفيف (**« النَّسَّابُونَ »**) أي : الذين يَتجاوَزُون مِن عَدنان إلى آدم ؛ أي : لأنهم يدَّعُون عِلْمَ الأنساب وقد نَفَى اللهُ عِلْمَهَا عَن العِباد بقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] ، فالذي يَنْبغي لَنا : الإعْراضُ عَمّا فَوْق عَدنان ، لِمَا فيه منَ التخليط والتغيير للألفاظ مع قلّة الفائدةِ ، وهذا الحديث وإن قال المصنف أنه صحيح عنه ﷺ ؛ لكنْ قال السُّهَيْلي : أنه مِنْ قول ابن مسعود رضي الله عنه ؛ والله أعلم .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٩ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما وجدنا أحدا يعرف ما ورآء عدنان وقحطان إلا تخرصا ، ونحوه عن عمر وعكرمة وغير واحدٍ . . . .

(**وَقالت عائشة** ﵂ **: مَا وجدْنا أحدًا يَعْرِف مَا وَراء عَدْنَانَ وقَحْطَانَ**) أي : مَن فَوْقهمَا مِنَ الآباء ، وَعبّر بـمَا ؛ لأنه عِبارة عَن النّسَب ، وَقحْطان – أبو اليَمَن[1] ، قال الكلبي : هُو المُجَيْشِيع[2] ابْن بنْت إسماعيل ﵇ ؛ انتهى ، وإليه وَإلى عَدْنان تَرجع جَميعُ العَرب[3] (**إلا تخرّصًا**)[4] أيْ : ظنّا وَتخمينًا بلا يقين (**وَنحوُه**) أيْ : نَحْو قولِ عَائشة ﵂ مَرْويّ (**عَنْ عُمرَ وعِكرمَة**) – بكسْر العَيْن (**وغيرِ واحدٍ**) بل عن كثير . وَسئل[5] مَالِك عَنْ رَجُل يَرفع[6] نسَبَه[7] إلى آدمَ ؛ فكرِهَ ذلك وقال : مَنْ[8] أخبرهُ بذلك ؟ !

واعلم : أنّ العُلماءَ اختلفوا في أن آباء النبي ﷺ مِن لَدُنْ آدم إلى أبيه عَبْدِ الله ، وَأمّهَاتهِ مِنْ حَوّاء إلى أمّه آمنةَ ، هَلْ كانُوا على الدِّين الحَنِيفيِّ[9] أمْ لاَ ! !

---

(١) وقيل : سمّي اليمن يمنا ؛ لأنه على يمين الكعبة . « إنسان : ١/٢٩ » .

(٢) كذا في النسخ ، لكن في « المنح : صـ ٢٢٩ » : قال : وقحطان ؛ قال الكلبي : هو الهميسع ابن بنت إسماعيل ﵇ ، والله أعلم . *

(٣) قاله المبرد – أي : بيَّن المبرد في كتاب « نسب عدنان وقحطان » : أن جميع العرب ترجع إليهما ، وعدنان – هو الجد الأعلى للنبي ﷺ وسائر العرب العرباء ، وبينه وبين إسماعيل ثمانية آباء . « منح : صـ ٢٢٩ » . *

(٤) أي : كذبا ؛ لأن الخراص الكذاب ، كذا قيل . أقول : لعلّ المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته ، لأن الخرص حقيقته الحزر والتخمين ، وكلّ من تكلم كلامًا بناه على ذلك قيل له : خراص ، ثم قيل للكذاب خراص توسّعا ، وحينئذ كان القياس أن يقال : إلاّ خرصا أي : حزرًا وتخمينا ، وعلى هذا كأنّ الصدِّيقيةَ ﵂ أرادت المبَالغة للتنفير عن الخوض في ذلك ، والله أعلم . « إنسان : ١/٣٤ » .

(٥) أي : الإمام .

(٦) يرفع – صفة رجل .

(٧) نسبه – نبيّ .

(٨) وقال مَنْ – استفهام إنكاري .

(٩) الدين الحنيفي – والمراد به : المائلون من الباطل إلى الحق .

ونقل ابن العربي عن بعضهم : إن لله تعالى ألف اسم ولنبيه كذلك ، . . .

والذي اختارَهُ عمدةُ المتأخّرين ابن حجر الهَيْتميّ[١] – وَناهيك[٢] به مُحققا في « المنح »[٣] أخذًا منَ الأحاديث الصَّحيحة الصّريحة ، وَمِنْ كلام النّاظم[٤] العَارف البُوصيري في « الهمزية »[٥] – : أنه ليْس فيهم كافرٌ ، وَأنهم كلُّهم كرَام مُختارُون . وقد ألّف الجَلال السّيوطي ستَّ مُؤلفات في أنّ والدَي المُصْطفى[٦] في الجنّة ، والكلامُ في ذلك طويلٌ مَذكُور في كتب السّير ؛ والله أعلم .

(**ونَقَلَ**)[٧] القاضِي أبو بكر (**ابن العَربيّ**) المالكيّ[٨] (**عن بَعْضهم**) أيْ : بعض الصُّوفيَّة : (**إنّ لله تعالى ألف اسم وَلنبيّه**) عليه الصلاة والسلام (**كذلك**)

---

(١) هو : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي ، شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو العباس ، فقيه باحث مصري ، تلقى العلم في الأزهر ، كان بحرا في الفقه ، إماما اقتدى به الأئمة . من تصانيفه : « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » ، « الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان » ، « شرح مشكاة المصابيح للتبريزي » ، « الإيعاب في شرح العباب » ، « شرح الأربعين النووية » ، « نصيحة الملوك » . ولد سنة ٩٠٩ هـ في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر ، وتوفي سنة ٩٧٤ هـ بمكة .

(٢) ناهيك - أي : كافيك .

(٣) وهو كتاب « المنح المكية » في شرح « الهمزية » المسمى « أفضل القِرى لِقُرَّاء أمّ القرى » ، لابن حجر الهيتميّ .

(٤) كلام الناظم – كقوله :

٦ – لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا   رُ لَكَ الأمَّهَاتُ والآبَاءُ

وقوله : ٩ – وبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ   مِنْ كَرِيم آباؤُهُ كُرَمَاءُ . « الهمزية » .

(٥) وهو كتاب « قصيدة الهمزية » المسَماة « أمّ القُرَى » ، لمحمد البوصيريّ .

(٦) صلى الله عليه وسلم .

(٧) ونقل – لمّا بيّن النّسب شرع في ذكر الأسماء . منه .

(٨) هو : الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ، رحل إلى المشرق وسمع من : طراد بن محمد الزينبي ونصر المقدسي . وتخرج بأبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي وأبي زكريا التبريزي . ولي قضاء إشبيلية ، فكان ذا شدة وسطوة ، ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم وبلغ رتبة لاجتهاد . من أشهر كتبه : « أحكام القرآن » ، « عارضة الأحوذي في شرح الترمذي » ، « الناسخ والمنسوخ » . ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ ، وتوفي في سنة ٥٤٣ هـ بفاس .

ذكر ذلك في : « أحكام القرآن » وفي : « عارضة الأحوذي في شرح الترمذي » . *

وحديث : « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ » ، وفي رواية : « عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ » ، ليس فيه ما ينفي الزيادة ؛ على أن بعضهم تأوله على بيان الأسماء المنقولة من الصفات الدالة على المدح ، كمحمد ، وأحمد ، والماحي . . . .

أيْ : ألف اسم ، وَالمراد حينئذ : مَا يشملُ الأوْصافَ ، فإذا أُشتُقَّ له[1] منْ كلِّ وَصْف منْ أوْصَافه المختَصّةِ به ، أو الغالِبَة عليه ، أو المشتَركة بَيْنَه وبَيْنَ الأنبيَاء بلَغتْ[2] ذلك العَدد بزيَادة هذا ، وَكثرة الأسماء تدُلّ على شَرف المُسمّى[3] (وحَديثٌ : « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ ») أي : أخْتصُّ بهَا ؛ لم يتسمَّ بها أحد قَبْلِي ، أوْ هي مَشهورة في الأمم المَاضيَةِ (وفي روايةٍ : « عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ »[4] ، ليس فيه مَا ينفي الزّيَادَةَ) أي : بناء على أن العَدد لا مفهُومَ له (على أنّ بعضَهم تأوّلَه) أي : الحَديثَ وَحَملَهُ (على) إرَادة (بيَان الأسماء المنقُولةِ منَ الصّفات الدّالة عَلى المَدْح) وَيُؤيِّد ذلك تَعْقيبُه ﷺ قولَه : « إنَّ لِي أسْمَاءَ » بقوله : « أنَا مُحَمَّدٌ » إلى آخره (كمحمّد) مرّ بيَانُه (وَأحمدَ) أفْعل للفاعِلِ أيْ : أحْمدِ الحَامدينَ لربّه ؛ لأنهُ يَفتحُ عليه يَوْم القيمة بمحَامدَ لَم تُفتح بها على أحدٍ قبْلَه ، فيَحمَدُ ربَّهُ بها ، وقيل : للمفعُول ؛ أيْ : أوْلى الناسِ بأن يُحْمَد فهو بمَعْنى محمّدٍ ، ولَمْ يسمّ بأحْمدَ أحدٌ قبْلَهُ بخلاف محمّدٍ[5] كَما مرّ (والمَاحي) أي : الذي يَمْحُو اللهُ

(١) اشتق له – اسم .
(٢) بلغت – أسماء .
(٣) شرف المسمى – كما في الأسد والنّاقة ، فإن له خمسمائة اسم . منه .

إن لله تعالى أربعة آلاف اسم ، ألف يعلمها إسرافيل ، وألف يعلمها ميكائيل ، وألف يعلمها جبرائيل ، وألف في الكتب : ثلاثمائة في التورية ، وثلاثمائة في الإنجيل ، وثلاثمائة في الزبور ، ومائة واجدة في القرآن ، وواحدة وهو مكسوب فيما بين السماء والأرض ، فإذا قال العبد : « اللهم » فقد ذكر الله بجميع أسمائه . من كتاب لم أعلم اسمه .

(٤) « لي عَشَرَةُ أسْماءٍ . . . » فذكر الخمسة التي في الحديث الأول ، قال : « وأنا رَسُولُ الرَّحْمَة ، وَرَسُولُ الرَّاحَةِ ، وَرَسُولُ المَلاحِمِ ، وأنا المُقَفِّي ، قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ ، وَأنا قيِّمٌ » . انظر « الشفا : صـ ١٥٤ » . *

(٥) إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد ، حمد ربه فنبأه وشرفه ، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد ، فذكره عيسى فقال : ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ ، وذكره موسى حين قال له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد . فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وجد وبعث كان محمدا أيضا

والعاقب ، والحاشر .

وأنه أفضل المخلوقات العلوية والسفلية ، من بشر ، وجن ، وملك ، في الدنيا والآخرة ، في جميع الخير ونعوت الكمال . . . .

به الكُفْرَ مِنْ مكّةَ وَالمدينةِ وَسَائر بلادِ العرب وغَيرِها ، وَخُصّ بهذا الاسم ؛ لأنه لم يُمْحَ الكُفْرَ بأحدٍ مثلَ مَا مُحِيَ به ، إذ بعث وقد عمَّ الكفرُ الأرْضَ ، وأكثرُهم لا يعرفون ربًّا وَلا معَادًا[١] ؛ بل منهُمْ مَنْ يَعْبد الحَجرَ أو الكوكبَ أو النّارَ ، فمُحِيَ ذلك كلُّه به حتّى أظهر دِينَهُ على كل دين ، ولمّا كانت البِحار هي الماحيَة للأدْران[٢] كان اسمُه فيها[٣] المَاحِي (وَالعَاقب) أي : الذي ليس بَعْده نبيّ ؛ لأنه عقب الأنبياء أي : آخرُهم ، قيل : هو اسمُه[٤] في النّارِ (وَالحَاشر) أي : الذي يحْشُر الناسَ على قدَمِهِ ؛ أي : يَقدمُهُمْ[٥] وهُمْ خلْفَه ؛ إذ هو أوّل مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ ، وقيل : غير ذلك .

(وَأنه) عَطْف على قولِهِ : أن اسمَه محمّد (أفضل المخلوقات العُلويّة) أي : في جِهَة العُلو (والسّفليّة) أي : في جهة السّفلِ ، وَلا يخلُو الخلقُ مِنْ أحدِهمَا (مِنْ بَشَر وجِنّ ومَلَك) بيان المَخْلوُقات ، وَمِنْ - البيانيّةُ وإنْ أفادت الحَصْرَ كما قالوا : لا يَلْزم منه عَدمُ فضْلِهِ على غير ما ذُكر مِن الجَمادات ونَحْوهَا ؛ لأنه[٦] إذا فَضلَ الفاضِلَ فَضل المفضُولَ ضرورةً كما مرّ[٧] (في الدّنيَا وَالآخرة ، في جَميع الخيْر ونُعُوت) أي : صِفَاتِ (الكمَال) .

بالفعل . وكذلك في الشفاعة ، يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يشفع فيحمد على شفاعته . « المواهب : ٢/٢٣ » . ❊

(١) لا معادًا – أي : الآخرة . منه .
(٢) للأدران - أي : الأقذار . منه .
(٣) كان اسمه فيها - أي : عند أهل البحار . منه .
(٤) اسمه في النار - أي : عند أهل النار . منه .
(٥) يَقدمُهم - أي : يتقدمهم .
(٦) أي : صلى الله عليه وسلم .
(٧) كما مر – في شرح قوله : أكرم نبينا محمدا على سائر الأنبياء .

فإن آياته ومعجزاته أبهر الآيات والمعجزات . . . .

اعلم : أنه قَدْ كثُرتْ أقوال العلماء في تفضيل الأنبياء على الملائكة ، وَتَفْضيل بَعْضِهم على بَعْضٍ ، وَخُلاصةُ القَوْلِ على مَذْهب أهْل السّنة مِنْ طَريق الأشْعري[١] : أنّ الأفضل على الإطْلاق نبيُّنا محمّد ﷺ ، ثمّ تلي رُتْبةُ الأنبياء على تفاوُت مَراتبهمْ ، ثم تلي رُتْبَتَهم رُتْبةُ المَلائكة . قال ناصرُ الدين اللقانيُّ رحمه الله[٢] : هكذا يجبُ الاعتقادُ بهذا الحُكْم ؛ انتهى[٣] . لكن يَنبغي أن يكُون التفضيلُ بحَيْثُ لا يُفضي إلى تَنْقيص المفضُولِ ؛ لأنهم مُسْتُون في الإيمان بهم لا نُفرّق بين أحدٍ منهم ، ومَعْنى : أنه أفْضل – أنه أكثر ثوابًا ؛ والله أعلم .

وأمّا كونُهُ[٤] أفْضلَ الخَلْق[٥] (**فإن آياتهِ**) جَمْع آيةٍ بوَزْن فَعْلةٍ ، وهي العَلامةُ أي : علاماتِ ثبُوت نُبوَّتهِ (**ومُعْجِزاته**) سيَأتي بيان المُعْجزة (**أبهرُ**) أي : أغلبُ (**الآياتِ وَالمعجزات**) لأن آياتِ وَمُعْجزاتِ كلِّ نبيٍّ إنما هي مُقْتبسةٌ[٦] مِن نُوره[٧] ؛ لأنه ﷺ كالشّمْس[٨] وهُمْ كالكواكب فهي غير مُضيئَة بِذاتها ، وإنما هي مُستمِدّةٌ

---

(١) هو : علي بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين . تلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، قيل : بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب . من أشهر كتبه : « إمامة الصديق » ، « الرد على المجسمة » ، « مقالات الإسلاميين » ، « الإبانة عن أصول الديانة » ، « اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع » . ولد سنة ٢٦٠ هـ في البصرة ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ ببغداد .

(٢) هو : إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ، أبو الامداد ، برهان الدين ، فاضل متصوف مصري مالكي ، نسبته إلى لقانة من البحيرة بمصر . له كتب منها : « عمدة المريد لجوهرة التوحيد » ، « تلخيص التجريد لعمدة المريد » ، « هداية المريد لجوهرة التوحيد » ، كلها في شرح منظومته المشهورة : « جوهرة التوحيد » ، توفي بقرب العقبة عائدا من الحج سنة ١٠٤١ هـ .

(٣) أي : قاله في : « هداية المريد لجوهرة التوحيد » .

(٤) كونه – محمد ﷺ .

(٥) وروى البيهقي في فضائل الصحابة ، أنه ظهر علي بن أبي طالب من البعد ، فقال ﷺ : « هَذَا سَيِّدُ العَرَبِ » فقالت عائشة : ألستَ بسيد العرب ؟ فقال : « أنَا سَيِّدُ العَالَمينَ وَهُوَ سَيِّدُ العَرَب » ، وهذا يدل على أنه أفضل الأنبياء ، بل أفضل خلق الله كلهم . « مواهب : ١٢٣/٣ » . *

(٦) مقتبسة - أي : مكتسبة .

(٧) من نوره – محمد ﷺ .

(٨) كما قال البُوصيري في « بُردته » :

٥٤ – فإنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُها يُظْهِرْنَ أنْوارَها للناسِ في الظُّلَمِ

وأشهرها ، وأمته أزكى الأمم وأكثرها ، وذاته أكمل الذوات وأطهرها ، . . .

مِنْ نُورهَا ، فلم يُؤْتَ[١] نبيٌّ مُعْجزةً إلا وَعِنْد نَبِيِّنا مِثْلُها ، أو ما هو أبلغ منها كما نبّهُوا[٢] على ذلك (**وأشهَرهَا**) ويَكفي لك في ذلك : شُهْرة القُرْآن العَزيزِ الذي لا تنْتهي عجَائِبُه ، ولا يَنْقرضُ[٣] مَدَى الدّهُور دلائلُه .

(**و**)أنّ (**أمّته أزكى الأمم**)[٤] أي : أطهرُهُمْ ، وَلذلك كانوا عُدُولا شهداءَ على الناس[٥] ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٦] الآية[٧] (**وأكثرهَا**) كما قال ﷺ : « وَأنَا أرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ[٨] تَابِعًا » .

(**و**)أنّ (**ذاتَه**) ﷺ (**أكمل الذوات وَأطهرُهَا**) ويكفيك في كمَال ذاتهِ[٩] : ثناء الله تعالى له بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١٠] ، وقوله ﷺ : « إنَّ اللهَ بَعَثَنِي بِتَمَام مَكَارِمِ الأخْلاقِ ، وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الأعْمَالِ » ، وقولُ عَائشةَ رضي الله عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) . وناهيك أيضا في طَهارتهِ : قوله ﷺ : « لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقَلُنِي مِنَ الأصْلاَبِ

(١) فلم يُؤتَ – أي : لم يعط .
(٢) ولله درّ شرف الدين البوصيري حَيْث قال :

٥٣ – وَكُلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بهَا   فإنَّما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورهِ بِهِم . « البردة » .

وفي « المنح » في شرح قوله :

١٤٢ – كُلُّ فَضْلٍ في الْعَالَمينَ فَمِنْ فَضْـ   ـلِ النَّبيِّ اسْتَعَارَهُ الْفُضَلاءُ . ما تكفيك فراجعه .

(٣) ولا ينقرض - أيً : لا ينقطع .
(٤) أي : مزكّين بالعلم عن الجَهْل ، والعمل عن العصيان . منه .
(٥) أي : لما جحدت كفار الأمم يوم القيامة تبليغ الأنبياء بقولهم : ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ ، يطالب الله تعالى الأنبياء البيّنة مع علمه لإلزام المنكرين ، فيُؤتى بأمّة محمد ﷺ فيشهَدون أنهم قد بلّغُوهُم الرسالة ؛ وكُذبُوا ، فيقول الكفار : مِن أين عَرفتهم وأنتم أتيتم بَعْدنا ؟ ! فيقولون : علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان رسوله الصادق ، فيؤتى بمحمد ﷺ فيُسْأل عن حال أمّته فيشهد بعَدَالتهم ، كما قال تعالى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . منه .
(٦) أي : خيارا عُدُولا . « منح : صـ ٦٦٤ » .
عدولا – أي : مزكّين بالعلم عن الجهل والعمل عن العصيان . منه .
(٧) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
(٨) أكثرهم – أي : الأنبياء .
(٩) ذاته – محمد ﷺ .
(١٠) سورة القلم : الآية ٤ .

وهو سيد الأولين والآخرين ، كما ورد في الحديث الصحيح : « أَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَى اللهِ وَلا فَخْرَ » ، وأيضا فيه : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحتَ لِوَائِي » ، وكما ورد في قصيدة « البردة » : . . . .

الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا » ، كيف وقَدْ طهّر الله قَلْبه بالغسْل خَمْسَ مرّات ، لتكميله وَتطْهيره وَتكْريمه ، بِمَا لَمْ يصل إليه مَخلوقٌ .

(**وهو سيّدُ الأوّلين وَالآخِرين ، كما وَرد في الحديث الصحيح :**) – وبيانُ مَعْنى الصحيح وَالحسن وَغيْرهمَا مِن اصْطلاح المُحدّثين مَذْكور في « نخبة الفكر »[1] وغيْره – (**« أَنَا أَكْرَمُ[2] الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَى اللهِ »**) أي : عِنْدهُ (**« وَلا فَخْرَ »**) الفخرُ : المبَاهَاةُ بالأشيَاء الخارِجَة عَن الإمْكانِ كَالمال والجَاهِ أي : لا أَقولهُ تفاخرًا ولا تَطاوُلاً على الناس ، بل أقوله مُطابقًا للوَاقع ، ومُحَدِّثا للنِّعْمَة ، ومُبلِّغا بمَا يجبُ أن يُبلَّغ ليُعْرَف وَيُعْتقَد ، وقيل : أي : لا فَخْر أعْلى منه ؛ أي : لا عظمَة أعلى مِنْ كونه أكرمَهُمْ (**وأيضا فيه :**) أي : الحديثِ الصحيح (**« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**) يَوْمَ القِيامَةِ وَلاَ فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ سِوَاهُ إلاَّ تَحْتَ لِوَائِي » ، وفي روايةٍ : (**« آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي »**) وسيأتي ذِكرُ اللواءِ . قيل[3] : قولهُ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » لا يدُلّ على كوْنهِ أفْضلَ مِنْ آدمَ ، بل مِنْ أوْلاده ، ويُجَابُ[4] : بأنّ مِنَ المَعْلُوم : أنّ في ولد آدم مَنْ هو أفضَلُ مِنْ آدمَ ، فإذا فضلَ على الأفضلِ فعلَى المَفْضُول أوْلى[5] (**وكما وَرَدَ في قصيدَة « البُرْدَة » :**)

---

(١) وهو كتاب « نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر » ، لابن حجر العسقلاني . فراجعه . نخبة الفكر – معناه : خيارهم . (ص) .

(٢) أكرمُ – فاعل وَرَدَ .

(٣) سعد الدين ، أي : واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق أفضليته ﷺ بقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، قال : لأنه لا شك أن خيرية الأمة بحسب كمالهم في الدين ، وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه . « المواهب : ١٢٢/٣ » . *

(٤) لكن قال الخيالي : في الجواب ضعف ، إذ قد قيل : بأن آدم هو الأفضل ؛ لكونه أبا البشر . فراجعه . منه .

(٥) أقول : قد سئلت عمّا حكاه الجلال السيوطي : أنه ورد إلى مِصْر نصراني مِن الفرنج وقال لي : شبهة إن أزلتموها أسلمت ، فعَقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ، ورأس العلماء إذ ذاك

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

أي : القصيدَةِ المَشهُورةِ بـ« البُرْدة » التي مَطْلعُها[١] « أمِنْ تَذَكّر » اهـ ، للعارف الرباني أفْصحُ الشُّعَراء محمد بن سعيد الدّلاَصِيري[٢] صاحب « الهَمْزِيَّة » العَديمةِ النظير ، شكر الله سَعْيَهُ وَنفعنا بأنْفاسهِ ، والقصيدَة – في القاموس : مَا تمَّ شَطْرُ أبْياته وليس إلا ثلاثة أبيات فَصَاعدًا ، مِنَ القِصْدة – بالكَسْر – أي : القِطعة .

(فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ)

يعني : إنَّ المُدّاحَ وإنْ انتهُوا إلى أقْصَى الغايَاتِ وَالنّهَايَاتِ لا يَصِلُون إلى رُفْعته ؛ إذ لا حدّ له .

حكاية مَليحة : قال الإمام العَارف الربّاني عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه[٣] في « طَبَقَاتهِ »[٤] : إن الشيخ العارفَ أبا المواهبِ الشاذلي رضي الله عنه[٥] ورَزَقنَا مِنْ

الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، فقال له النصراني والناس يسمعون : أيّ أفضل عندكم : المتفق عليه أو المختلف فيه ؟ فقال له الشيخ عزّ الدين : المتفق عليه ، فقال له النصراني : قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوّة عيسى ؛ واختلفنا في نبوة محمد ﷺ ، فيلزم أن يكون عيسى أفضل من محمد ، فأطرق الشيخ عز الدين ساكتًا من أول النهار إلى الظهر حتى ارْتجّ المَجلسُ واضطرب أهله ، ثم رفع الشيخ رأسه وقال : عيسى قال لبني إسرائيل ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصّف : الآية ٦] ، فيلزمك أن تتبعهُ فيما قال ، وتؤمن بأحمد الذي بشّر به ، فأقام الحجة على النصراني وأسلم ، بأنه كيف أقام الحجة على كون محمد ﷺ أفضل من عيسى إذ غاية ما ذكر أن محمدا رسول الله ﷺ ! ؟ فأجبت : بأنه حيث ثبت أن محمدا رسول الله وجب الإيمان به وبما جاء به وممّا جاء به ، وأخبر به : أنه أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . « إنسان : ٣٣١/١ » .

(١) مطلعها – أي : أولها .

(٢) كان أحد أبوَيه مِن بُوصير الصعيد ، والآخر مِن دَلاَص ، فركبت النسبة منهما فقيل : الدلاصيري ، ثم اشتهر بالبُوصيري ، قيل : ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه . « منح : صـ ٧٠ » . *

(٣) هو : عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الحنفي – نسبة إلى محمد ابن الحنفية ، الأنصاري المصري الشافعي الشاذلي الصوفي ، أبو المواهب ، أبو عبد الرحمن . فقيه ، أصولي ، محدث ، صوفي ، مشارك في أنواع العلوم . من أشهر كتبه : « الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية » ، « لواقح الأنوار القدسية في بيان عهود المحمدية » ، « القواعد الكشفية » . ولد سنة ٨٩٨ هـ في قلقشندة بمصر ، ونشأ بساقية أبي شعرة ، وإليها نسبته : الشعراني ، ويقال : الشعراوي ، وتوفي سنة ٩٧٣ هـ في القاهرة .

(٤) أي : في « طبقات الوسطى » .

(٥) هو : أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن يوشع بن برد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الشاذلي المغربي .

. . . .

مَعَارفه قال : وقع بَيْني وبَيْن شَخْص مِن جَامع[١] الأزْهر[٢] مُجَادَلةٌ في قَوْل صاحِب « البُرْدة » :

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ[٣] فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِم

وَقال لي هذا الشخْص : لَيْس لِصَاحب « البُرْدة » دَليلٌ على ذلك ، فَقُلْتُ له : قد انعَقد الإجْماعُ على ذلك ، فلَمْ يرجِع لِقَوْلي ، فرأيْتُ النبيَّ[٤] ﷺ ومَعَهُ أبو بكرٍ وعُمَرَ وهو جَالسٌ عند مِنْبَر الجَامعِ[٥] الأزهرِ وقال لي : مَرْحَبا بِحَبيبنا ، ثم قالَ لأصحابه : أتَدْرُونَ ما حَدَث اليَوْم ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : إن فلانَ التَّعِيسَ يَعْتقد أن المَلائكةَ أفضل مِنّي ، فقالوا بأجْمعِهم : لا يا رسول الله ؛ ليس على وَجْهِ الأرض أحدٌ أفْضلَ مِنْك ، فقال لَهُمْ : فما بَالُ التَّعيسِ أي : لا يعيشُ[٦] وإن عَاشَ عاش ذَلِيلاً لاعْتقادِهِ أنّ الإجماع لَمْ يقع بِتَفضِيلي ، أما عَلِم أنّ مُخالَفةَ المُعْتزلةِ لأهل السّنة لا تقْدُحُ في الإجماع ؛ انتهى .

فاعتقِد يا أخي بأنه أفضل مِن كل مَخْلوق وَأكرمُ مِنْ أنْ يَلحَقَهُ مَرْزوقٌ ، فصَلَّى عليه الإله الكريمُ إنه البَرُّ الرحيمُ .

صوفي ، فقيه ، ناظم ، شاعر ، رأس الطائفة الشاذلية ، وصاحب الأوراد المسماة : « حزب الشاذلي » . من تصانيفه : « الاختصاص من القواعد القرآنية والخواص » ، « رسالة الأمين لينجذب لرب العالمين » ، « السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل » . ولد سنة ٥٧١ هـ في بلاد « غمارة » بريف المغرب ، وسكن « شاذلة » قرب تونس ، فنسب إليها ، وتوفي في سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب متوجها إلى بيت الله الحرام .

(١) جامع – ساكني .
(٢) الأزهر – مسجد مصر .
(٣) فمبلغ العلم - أي : منتهى علم الورى .
(٤) فرأيت - أي : في المنام أو اليقظة إذ كان ممن يرى يقظة . منه .
(٥) منبر الجامع - أي : مسجد مصر .
(٦) أي : لا يعيش – عيشا طيّبا .

وأما مولده : فالصحيح أنه عام الفيل ، . . . .

(وَأمّا مَوْلده :) أي : زَمان ولادته الشريفة (فالصّحيح) الذي عليه الأكثرُون وحكي عليه الاتفاق (أنه عام الفِيل) أي : الفيلُ الذي جَاء به أَبْرَهَةُ مَلكُ اليَمَن لِهَدْم الكَعْبة ، فلما بلغَ وَادِيَ مُحسِّرَ[١] – مَوْضعُ بَيْن مِنَى وعَرفةَ – بَرَكَ[٢] الفيلُ فأبَى أن يَسير ، فأرسَل اللهُ تعالى على عَسْكره طَيْرًا أبَابيل كأمْثال الخطاطِيف منَ البَحْر ، مع كل طائر منها ثلاثةُ أحْجار ، حَجر في مِنْقارِه ، وحَجرَان في رِجْلَيْه كأمْثال العَدَس ، لا يُصيبُ أحدًا منهم إلا قتلَهُ ، فخرجُوا هَاربينَ يَتسَاقطُون بكُلّ طَريقٍ ، وَأُصيبَ أبْرهةُ بدَاءٍ في جَسدِه ، فتسَاقَطت أناملُهُ حتى سَال منه الصّديدُ وَالقيحُ وَالدّمُ ، ومَا مَات حتى تصدَّع قَلْبُه ، كما قصّه الله تعالى في سُورة الفيل . وقد دَلّت هذه القصّةُ على غاياتِ شرفِ نبيِّنا ﷺ ؛ لأنها كانَتْ إرهَاصًا وتأسيسًا لنبوّته[٣] .

(١) وادي محسر – هو موضع بين منى وعرفة . قال : وظهر لي فيه معنى آخر ، وهو أنه مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل القاصدين هدم البيت ، فاستحب فيه الإسراع لما ثبت في الصحيح : أمره المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك . وقال غيره : وهذه كانت عادته ﷺ في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه ، وسمي : وادي محسر ؛ لأن الفيل حسر فيه أي : أعيى وانقطع عن الذهاب . انتهى . « مواهب : ٤٤٨/٤ » .

(٢) برك – بفتح الموحدة والراء المخففة ، يقال : برك البعير إذا استناخ .

(٣) ولما قدم أبرهة ملك اليمن لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال : يا معشر قريش ؛ لا يصل إلى هدم البيت ؛ لأن هذا البيت ربّا يحميه ويحفظه ، فلما توجّه أبرهة وجيشه ومعهم الفيل لهدم الكعبة بَرَك الفيل ، فضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم ؛ فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن يُهَرْول ، ثم أرسل الله عليه طيرا أبابيل أي : متفرقة من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره وحجران في رجليه ، كأمثال العدس لا يصيب أحدا منهم إلا أهلكه ، فرجعُوا هاربين تساقطون بكل طريق ، وأُصيب (أي : أصاب مصيبة) أبرهة في جسده فتساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم ، وما مات حتى انشق قلبه . قال الكشاف : وانْفلَت وزير أبرهة أبو يكسوم وطائره يحلق (أي : يدور) فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة ، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرّ ميتا بين يديه . وكانت هذه القصة إرهاصا أي : تأسيسا لنبوته ﷺ . ولما رجع أبرهة خائبا وفرج الله عن عبد المطلب رأى مناما عظيما فقال له : مَن قصّه عليه إن صدقت رؤياك ليخرجنّ من ظهرك مَن يؤمن به أهل السموات والأرض ، وليكونن في الناس علما مبينا ، وهو أي : المنام رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها أربعة أطراف ، طرف قد بلغ مغاربها ، وطرف قد بلغ مشارقها ، وطرف قد جاوز عناه السماء ، وطرف قد جاوز الثرا ، قال : فبينما أنا أنظر إليها عادَتْ شجرة خضراء ، ما رأيت نورا أزهى منها ، على كل ورقة منها نور عظيم من نور الشمس بسبعين ضعفا ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظيما ونورا وارتفاعا ، ساعة تخفى وساعة تظهر ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها . « مولد الشريف » ، للنجم الغيطي .

وقيل : بعده بثلاثين سنة ، وقيل : بأربعين ، واتفقوا : أنه يوم الإثنين من ربيع الأول ،

(**وقيل : بَعْدَهُ بثَلاثينَ سنة**) وَلعلَّه تصْحيفُ مِن قلَم الناسِخ ؛ إذ لَمْ يُصرِّح في كُتب السِّيَر[١] مَنْ يقول : ثلاثينَ[٢] أو أربعينَ سنَةً مع حكايتِهم الخلافَ الكثيرَ ، والموْجُودُ فيها بَدَلَهُ يَوْمًا (**وقيل : بأرْبعين**) أي : يَوْمًا ؛ كما صرّحوا به ، والمشهور : أنه ﷺ وُلد بعد الفيل بخمسين يَوْمًا[٣] (**واتّفقوا[٤] : أنه يوْمُ الإثنين**) أي : بناءً على أنه وُلد نَهارا ، وهو الصحيح ، وإلا فالاختلاف[٥] في أنه وُلد لَيْلا ثابتٌ مُسْتفيضٌ[٦] (**مِن رَبيع الأوّل**) جَزْمُه[٧] بأنه مِن ربيع الأول مع حكاية الاتفاق عليه عَجيبٌ ، مع ثُبوت الخلافِ في الشَّهْر الذي وُلد فيه أنه شهر مُعيّن أو لا ،

(١) في كتب السير - المتداولة . منه .

(٢) لكن في كتاب « إنسان العيون » حكاية أقوال كثيرة ، منها : قول ثلاثين سنة ، وقول أربعين ، وقول سبعين ، ولعلّ الجمهور لم يحكُوها لشدّة ضعفها ، والله أعلم . منه .

(٣) وكان الفيل في المحرّم سنة اثنين وثمانين وثمان مئة مِن عهد ذي القرنين في زمان ملك كسرى أنو شروان ، ومات أنو شروان بعد مولده ﷺ بثمان سنين . « بهجة المحافل : صـ ٦١ » . *

وما اشتهر على بعض الألسنة من أنه ﷺ قال : « وُلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِك الْعَادِلِ كِسْرَى أنُو شِرْوَان » فهو كذب لا أصل له ، وإطلاق العادل إليه بغرض ، وورده تعريف بالاسم الذي كان يُدعَى به لا شهادة له بذلك ، فإنه يحكم بغير حكم الله تعالى . منه .

(٤) اتفقوا - أي : أهل السير .

(٥) وإلى التردّد في وقت ولادته ﷺ هل هو في الليل أو النهار أشار صاحبُ « الهمزية » بقوله :

١٣ - لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذي كانَ للدِّيـ ـنِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ

١٩ - فَهَنِيئًا بِهِ لآمِنَةَ الْفَضْـ ـلُ الَّذي شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ

٢٠ - مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّها حَمَلَتْ أحْـ ـمَدًا أَوْ أَنَّها بِهِ نُفَسَاءُ

٢١ - يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّساءُ . « إنسان : ١/٨٥-٨٦ » .

تنبيه : أضاف الناظم كلاًّ من الليلة واليوم إلى المولد ، فاحتمل أن يكون من القائلين بأنه ولد ليلا ، واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص ، عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية : أنها شهدت ولادة النبي ﷺ ليلا ، قالت : (فما شيء انظر إليه من البيت إلا نورًا ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول : يقعن علي) ورواه البيهقي ولم يذكر فيه إلا النور وتدلي النجوم ، وبتصريح عائشة رضي الله عنها أيضا بذلك ، كما رواه الحاكم . « منح : صـ ١١٣/١١٤ » . *

(٦) وليلة ولادته ﷺ تزلزلت الكعبة ، ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهنّ ، وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي ﷺ . « إنسان : ١٠٥/١ » .

(٧) جزمه - المصنف .

قيل : لليلتين خلتا منه ، وقيل : لثمان ، وقيل : لعشر ، وقيل : لثنتي عشرة ، وهو الأشهر . . . .

وعلى أنه مُعَيّن هل هو الربيع الأول أو الآخر وغير ذلك ، لكنْ نقل ابن الجوزي الاتفاقَ على أنه الربيع الأول ، ونظر فيه في « المواهب » ؛ والله أعلم .

(**قيل : لِلَيْلتين خلَتا**) أي : مَضَتا (**مِنْهُ ، وقيل : لثمان**) مَضى (**وقيل : لعشر**) مَضَى (**وقيل : لِثِنْتي عَشرَة**) مَضَتْ (**وهو الأشهَر**)[١] وعليه عَمَلُ أهْلِ مكةَ في زِيَارتِهم مَوْضعَ مَوْلدِهِ في هذا الوَقْت . وَلَمْ تَكُنْ[٢] في يَوْم الجمُعَة ولا في الأشهُر الحرم أو رمضان ؛ إشارةً إلى أنه لا يتشرَّف بالزمان بل الزمانُ هو الذي يَتشرَّفُ به ، فلو وُلد في ذلك لَتُوُهِّمَ أنه تشرّف بذلك الزمان الفاضِل ، وَمِنْ ثَمَّ كان ليْلةُ مَوْلدِهِ أفْضلَ مِنْ لَيْلَةَ القَدْر[٣] ، وَنظيرُ ذلك دَفْنُه ﷺ بالمدينة دُون مكةَ ؛ لأنه ﷺ لَوْ دُفن فيها لكانَ يُقصَد تَبْعًا[٤] ، فانفرد بمَوْضِعٍ مَفْضُول لِيَتشرَّف به ، ولِيُقْصَدَ قَبرُه ومَسْجدُه استقلالا إظهارًا لكرامتِه .

واعلم : أنه قد ظَهَرَ عند وِلادَته ﷺ عَجَائبُ كَثيرةٌ : مِثْلَ شَقِّ إيوان كِسْرى ، وَخُمودُ نارِ فَارِس ، وسَماعُ الهَواتف الصّارخة بأوْصافِهِ ، وانتكاسُ الأصْنامِ

(١) وهو الأشهَر – مِن قوله : وأما مولده إلى هنا عين الكرماني . منه .
(٢) أي : الولادة .
(٣) فإن قلتَ : إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا ، فأيما أفضل : ليلة القدر أو ليلة مولده ﷺ ؟ أجيب : بأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة : **أحدها** : أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ، وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل . **الثاني** : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها . ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر ، على الأصح المرتضى ، فتكون ليلة المولد أفضل . **الثالث** : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ ، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات ، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين ، فعمت به النعمة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعم نفعًا ، فكانت أفضل . فيا شهرا ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه ، كأنها لآلىء في العقود ، ويا وجها ما أشرفه من مولود ، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا . « مواهب : ١/١٤٥–١٤٦ » . *
(٤) أي : لها .

وقد توفي أب رسول الله وأمه حامل به ، فكفله جده عبد المطلب ، وتوفي عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب أب علي . . . .

على وُجُوهِهَا ، ونحوُ ذلك[١] ممّا لا مَطمَعَ لاستيفائِها في المُطوَّلات فَضْلاً عَنْ هذا المختصر ، فَمَنْ أراد الإحَاطَةَ بها فعَلَيْه بكُتب السِّيَرِ .

وكان اللائق بالمصنف ذِكْر مَكانِ الولادةِ كما ذكرهُ غَيْرُهُ ، والصّوابُ : أنه مَكة ، والمشهُورُ : أنه المسجد المشهور الآن بالمولِدِ .

(**وقد**) لا حَاجةَ[٢] إليه (**تُوُفِّيَ أبُ رسولِ الله**) ﷺ أي : عبد اللهِ بالمدينة - وهو آتٍ مِن تِجارَة الشام - عند أخوال أبيه بَني النّجار ، وَدُفن بها[٣] (**وأمُّهُ حاملٌ به**) أي : لَمّا تُوفّيَ أبوه ﷺ كان في بَطْنِ أمِّه ذا شهريْن أو سبعةِ أشهُر ، وقيل : مات وهو في المهد (**فكفَلَهُ**) أي : وَلّى تَربيتَه (**جَدّه عبد المطلب ، و**)لمّا (**تُوفي عبد المطلب وهو**) ﷺ (**ابنُ ثمانِ سنين ، فكفّلَه عمُّه أبو طالب أبُ عليّ**) رضي الله عنه ، وَاسْمُه : عبد مَناف ، وكان عبد المطلب قد وَصاهُ بذلك لكَوْنه شقيقَ[٤] عبد الله .

---

(١) وقد أخبرت الأحبار والرهبان بليلة ولادته ﷺ ، فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال : إني لغلام يفعة أي : غلام مرتفع ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت ، إذ بيهودي بيثرب يصيح ذات يوم غداة على أطمة - أي : محل مرتفع - يا معشر يهود ؛ فاجتمعوا إليه وأنا أسمع ، وقالوا : ويلك ؛ ما لك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي : الذي طلوعه علامة على ولادته ﷺ في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة . « إنسان : ١٠١/١ » . *
وعن كعب الأحبار رضي الله عنه : رأيت في التوراة : أن الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد ﷺ أي : من بطن أمه ، وموسى عليه الصلاة والسلام أخبر قومه : أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا إذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد ﷺ أي : وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني إسرائيل . « إنسان : ١٠١/١ » . *

(٢) لا حاجة - إلا أن يجعل حالا مما فهم من السياق . منه .

(٣) وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ، ومروا بالمدينة يثرب ، فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضا شهرا ، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا : خلفناه مريضا ، فبعث إليه أخاه الحارث فوجده قد توفي ، ودفن في دار التابعة ، وقيل : دفن بالأبواء . « مواهب : ١٢٣/١ » . *

(٤) شقيق - أبيه ، أي : أخاه من الأبوين . منه .

واسم أمه : آمنة بنت وهب ، وتوفيت وهو ابن ست سنين ، وقيل : خمس سنين . وظئره التي أرضعته امرأة من هوازن . . . .

(**واسمُ أمّه : آمنةُ بنت وَهْب**) ابن عبد مَناف بنُ زُهْرة بن كلاب بنُ مرّة ، وكان وَهبُ سيّدَ بَني زُهْرةَ نسبًا وَشَرفا ، وأمُّ آمنةَ مرّة[١] بنْتُ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيّ بن عَبد الدّار[٢] بن قصيّ بنِ كلاب (**وَتُوُفيَت**) آمنةُ حينَ رُجوعها مِن يَثْربَ[٣] ، ودُفنت بالأبْواء ، وهو : مَحلٌّ[٤] قريبٌ بِرَابغ ، وقيل : بالحَجُون ، وهو : مَقابرُ مَكَّةَ ، وإنما يَتِمَ بموْت الأبوين لئلا يَكونَ لمخلوقٍ في عنقهِ[٥] حقٌ (**وهو[٦] ابن ستِّ سنينَ ، وقيل : خمسُ سنينَ** .

وَظِئرُه) - بكسر الظاء المُعْجمة وَسُكون الهَمْزة - هي : المُرْضعةُ ، فقوله : (**التي[٧] أرضَعتْه**)[٨] صِفَة كاشفةٌ (**امْرأةٌ مِن هوَازن**) قبيلة بحُنَيْن ، وهو :

(١) كذا في النسخ ، والصواب : (برّة) ، كما في « سيرة ابن هشام » ، و « طبقات ابن سعد » ، وغيرهما . *

(٢) كذا في النسخ ، والصواب : (عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار . . .) كما في « سيرة ابن هشام » ، و « طبقات ابن سعد » ، و « المعارف » لابن قتيبة ، والله أعلم . *

(٣) أي : المدينة . وكانت قد قدمت به طيبة تزور أخوال أبيه ، فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته أم أيمن .

وأخرج ابن سعد : أنه ﷺ لما رأى دار النابغة قال : « هَهُنا نَزَلَتْ بي أمِّي وأحسَنْتُ العَوْمَ في بِئرِ بَني النَّجّار ، وكانَ قَوْمٌ مِنَ اليَهُود يَخْتَلِفُونَ يَنْظرُون إلَيَّ » قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامهم ، ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء ، وفي رواية : أنها دفنت بالحجون ، وفي أخرى : في بعض دور مكة كما في « القاموس » ، وحضنته بعدها أمَته أم أيمن بركة ، ثم مات جده كافله وله ثمان سنين ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، فقيل : ست ، وقيل : ثلاث ، فكفله عمه أبو طالب شقيق والده . « منح : صـ ١٥٥ » . *

(٤) وهو محل بين مكة والمدينة ، أي : وهو إلى المدينة أقرب . وسمي بذلك لأن السّيول تتبوّأه ، أي : تحلّ فيه ، ودفنت به . « إنسان : ١/١٥٤ » .

(٥) أي : صلى الله عليه وسلم .

(٦) وهو - حال .

(٧) التي - أنت باعتبار معناه .

(٨) وأرضعته ﷺ ثويبة ، عتيقة أبي لهب ، أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ . وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : في النار ، إلا أنه خفّف عني كل ليلة إثنين ، وأمُصّ من بين أصبعيّ هاتين ماء ، وأشار برأس أصبعه ، وأنّ ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له .

يقال لها : حليمة .

وَاد وَراء عَرفة دُون الطائف[١] (**يقال لها : حليمة**) السّعدية بنْتُ أبي ذُوَيب ، أرْضَعَتْه حَتَّى كمَّلَت رِضَاعَه[٢] ، وفي إسْلامِهَا[٣] خلاف ، وجاءتْه يَوْم حُنَيْن ؛ فَقام إليها وبَسَط رِدَآئَه لها ؛ فجلسَتْ عليه ، وكانت أختُه منَ الرِّضاع : الشَّيْماء[٤] تَحْضِنُه[٥] ، وكذلك مَوْلاتُه : أمُّ أيْمَن . ولمّا جاءَت حَليمةُ مع نساء هَوَازن يَطْلُبنَ الرُّضَعاء ومع زَوْجهَا ؛ عُرِض عليها وعلى صَوَاحبِهَا رسول الله[٦] ، فأبَيْنَ أن يَقْبلنَهُ[٧] لِيُتْمهِ وَقُلن : ما في هذا اليتيم نَفْعٌ لنا نرجوه ، فلمّا لم تجدْ حَليمةُ غيرَهُ ؛ لأنهم أبَوْا عنها لفَقرِهَا أخَذتْه ﷺ ، فنالَتْ هي وأهْلُهَا خيرًا كثيرًا ببركة إرْضاعهِ ﷺ .

قال ابن الجزري : فإذا كان هذا أبو لهب الكافر ، الذي نزل القرآن بذمه جُوزيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به ، فما حال المسلم الموحّد من أمته عليه السلام الذي يسَرّ بمولده ، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته ﷺ ، لعمري ؛ إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم . « مواهب : ١٤٧/١ » . ＊

(١) الطائف – وهي بلد كبير ، على ثلاث مراحل أو إثنين من مكة ، من جهة المشرق ، كثيرة الأعناب والفواكه ، وقيل : إن أصلها : أن جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم ، فسار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف ، فسمّي الموضع بها ، وكانت أوّلا بنواحي صنعاء ، واسم الأرض وجّ – بتشديد الجيم المضمومة . « مواهب : ٦٠٨/١ » .

(٢) ولمّا ولد النبي ﷺ أرضعته أمه سبعة أيام ، ثم أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أيّاما حتى قدمت حليمة ، وكانت ثويبة أرضعت قبله عمه حمزة رضي الله عنه ، وكان أسنّ منه ﷺ بسنتين . منه .

(٣) وكذلك في إسلام زوجها .

(٤) الشيماء – بشين معجمة مفتوحة ، ومثناة تحتية ساكنة ، وميم ، ومدّة . منه .

(٥) تحضنه – مع أمّها ، وأسلمت . منه .

(٦) لأنه كان من شيم العرب ، وأخلاقهم : إذا ولد لهم ولد يلتمسُون له مُرضعة في غير قبيلتهم ، ليكون أنجب للوَلد ، وأفصحُ له . وقيل : لأنهم كانوا يرَوْن أنه عار على المرأة أن ترضع وَلدها ؛ انتهى ، أي : تستقل برضاعه . « إنسان : ١٣١/١ » .

(٧) وقد ذكروا : أنه لما ولد ﷺ قيل : من يكفَل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة ؟ قالت الطيور : نحن نكفله ونغنم خدمته العظيمة ، قالت الوحوش : نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه ، فنادى لسان القدرة : أن يا جميع المخلوقات : إن الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة . « مواهب : ١٥٠/١ » . ＊

وبعث إلى الناس كافة بمكة ابن أربعين سنة ، ثم أقام بعد النبوة بها : ثلاثة عشر سنة على الأصح ، . . . .

(وبُعث) رسول الله ﷺ (إلى الناس كافّةً بمكّةَ) وكان حينئذ (ابْنَ أرْبَعِينَ سَنَةً) مِنْ ولادتهِ ، كما هو العَادةُ المُسْتمرّة في مُعْظم الأنبياءِ أو جَميعِهم ، أي : لمّا بلغَ أربعين سَنةً ، قيل : وَأرْبعين يَوْمًا ، بَعثهُ الله تعالى يَوْم الإثنين لسَبْع عَشرةٍ خلَتْ مِنْ رَمضان ، وقيل : غير ذلك ، رَحْمة للعالمين إلى كافة الثّقلين إجماعًا ، فالمراد بالناس هنا : ما يَشْمِل الجنّ كما في قوله تعالى : ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ على قول بِدَليل البيان بَعْدَه بقوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[١] ، أو ذُكر للتغليبِ كما في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٢] ، وإلى المَلائكة[٣] على الأصحّ ، وإلى بقيّة الجَمادات والحيوَانات على ما ذهَب إليه بَعْضُ مُحقّقي المُتأخّرينَ .

قال الجلال السُّيُوطي رحمه الله وأزيدُ : أنه مُرسَل إلى نَفْسِه .

(ثم أقام بَعْد النّبوة بها[٤] : ثلاثةَ عَشر سنة على الأصَحّ)[٥] وَأمّا بعد الرِّسالة : فعَشْرُ سنينَ لتقدُّم النبوّة على الرسالة بثلاثِ سنينَ حينَ قرَنَ به إسْرافيلُ ، وكان يعلِّمُهُ الكَلِمَة والشيْءَ ، وَلَمْ ينْزِل عليه القُرْآنُ على لسانهِ ، فلمّا مضَتْ ثلاثُ سنينَ قرَنَ بنبوّته جبرائيل ، فنَزَل عليه القرآن[٦] عِشْرينَ سَنَةً .

---

(١) سورة الناس : الآيات ٦/٥ .
(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .
(٣) ومعنى إرساله للملائكة وهم معصُومُون : أنهم كلفوا بتعظيمه والإيمان به وإشادة ذكره ، وللجمادات : أنه يركب فيها إدراكات لتؤمن به وتخضع به ، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي : حقيقة ؛ لا بلسان الحال فقط ، خلافًا لمن زعمه . « منح : صـ ٢٢٥ » .
(٤) بها - مكة .
(٥) ومقابل الأصح سيأتي في بيان عمره .
(٦) أي : على لسانه .

ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها : عشرا بالاتفاق ، فالصحيح في عمره : ثلاث وستون سنة ، وقدم المدينة يوم الإثنين ضحى لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، قال الحاكم . . . .

(**ثم هَاجرَ**)[١] مِنْ مكةَ يَوْم الخَميس هِلالَ شهرِ رَبيعِ الأوّلِ إلى غارِ جَبَلِ ثَوْرٍ[٢] ، ثمّ مِنَ الغار يَوْمَ الإثنين (**إلى المَدينة**) وكان معه حينَ الهجرةِ[٣] أبو بكرٍ ، وعَامِر[٤] مَوْلى أبي بكر ، وَاتّخذا عَبْدَ اللهِ[٥] لِيَدلَّهُما على الطريقِ أجِيرًا ، ولَمْ يُعْرف له إسلام ، ووَقع في طريقه عَجائب ليس هذا مَوْضعُ ذِكرها[٦] (**فأقام بها عَشرا بالاتّفاق ، فالصحيح في عُمره**) ﷺ أنه : (**ثلاثٌ وستون سنةً**) وهو الأشهَر عند العُلماء ، وقيل : سِتُّون ، وقيل : خمسٌ وستّون (**وَقَدِم**) أي : أتَى (**المَدينةَ**) شَرَّفَها الله تعالى (**يَوْم الإثْنَيْن ضُحى**) أي : في وَقْت الضُّحى (**لِثْنتي عَشرةَ خلَتْ مِنْ رَبيع الأول**[٧] **، قال الحاكمُ**) - هو أبو عَبْدِ الله محمد ،

---

(١) هو وأبو بكر ، وسبب مُهاجرته ما سيأتي في فضائل علي رضي الله عنه من اتفاق قريش على قتله . فراجع : إلى صـ ٢١٣ .

(٢) فاستخفيا فيه ، ولمّا فُقدا بعث قريش أثرهما وقالوا : إنْ قُتلا أو أُسرا نُعْطي مائة ناقة ، فلمّا وصَلوا إلى فمّ الغار وَجدوا حمامَتَيْن فيه وَنسج العنكبوت ، فرجعوا قائلين : لو كانا فيه لهَربتا ونقض النّسج .

ولله درّ البُوصيري حَيث قال :

٧٩ - ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنْكَبوتَ عَلَى خَيرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ وَلَمْ تَحُمِ . « البردة »

(٣) حين الهجرة - إليها .

(٤) عامر بن فُهَيْرَة . *

(٥) عبد الله بن أُرَيْقِطْ . *

(٦) فارجع إلى « المنح : صـ ٢٠٢ » وغيره .

(٧) ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة يتنظرونه إلى قرب الظهر ، فانتظروه يومًا وعادوا إلى بيوتهم ، وإذا بيهودي علا على موضع عال ، فرآه فصاح : هذا جدكم - أي : حظكم - يا بني قيلة ؛ أي : الأوس والخزرج ، فخرجوا إليه سراعًا بسلاحهم ، فنزل بقباء ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ ساكتًا ، فكانوا يحسبون أن أبا بكر رسول الله ﷺ ؛ لأنه أسرع إليه الشيب مع أنه أصغر سنّا منه ﷺ ، حتى إذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه ، وكان ذلك يوم الإثنين ، قيل : أول ربيع ، وقيل : ثاني عشره ، وقيل : غير ذلك ، وأدركه علي رضي الله عنه بقباء ، ولم يقم بعده بمكة إلا ثلاثة أيام ، ثم أمر رسول الله ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة ، وأقام بقباء أربع عشرة ليلة كما في « المسلم » وأسس مسجدها ، وهو أول مسجد بني في الإسلام ، ولذا كان الأصح : أنه

وأحمد : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وخرج من مكة مهاجرا يوم الإثنين ، وقدم المدينة يوم الإثنين ، ومات يوم الإثنين ، وابتدأ التاريخ الإسلامي يوم الإثنين ، هكذا قال : صاحب الكرماني « شرح البخاري » .

كان إمامًا جَليلاً مُتّفَقًا على إمَامَتِهِ وَعَظمةِ قَدرهِ ، قرأ على نحوِ : أَلْفي شيخٍ[1] ، وبَلغَت تصَانيفُه نحوَ : خَمْسمائة مُجَلَّدٍ ؛ رَحِمَهُ اللهُ[2] – (وَ)الإمام (أَحْمدُ :) – سَيأتي مناقبهُ إنْ شاءَ الله تعالى – (وُلد النبيُّ ﷺ يَوْمَ الإثنين ، وخَرج مِن مكةَ) أي : مِنَ الغارَ – لئلاّ يخالِفَ ما تقدّم – (مُهَاجرًا يوْمَ الإثنين ، وَقدمَ المدينة يوم الإثنين ، وَمَات يوم الإثنين ، وابْتدأ) أي : أمرَ به (التاريخ) فكتب من حين الهجرة ، وقيل : إن أوّلَ مَنْ أرَّخ عُمَرُ رضي الله عنه ، وجعَله منَ المحرَّم أي : لأنه وَقْتُ انْصراف الحُجّاج (الإسلاميُّ) وكان قبْلهُ التاريخُ الجَاهليُّ (يَوْمَ الإثنين ، هكذا[3] قال : صَاحبُ الكِرْمَاني[4] « شرح البُخاري »[5] .

الذي ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ، ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ، ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الأنصار سألوه النزول عندهم ، فيقول : « خَلُّوا سَبيلَها – أي : ناقته – فَإِنَّها مَأمُورَةٌ » وأرخى زمامها فاستمرت إلى أن بركت موضع باب المسجد ، ثم ثارت وهو ﷺ عليها حتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار أخوال عبد المطلب ، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول ، ثم صوتت فنزل النبي ﷺ عنها وقال : « هَذا هُوَ المَنْزِلُ إنْ شَاء الله تعالى » « منح : صـ ٢٠٣-٢٠٤ » . *

(١) ولا تعجب من ذلك فإن ابن النجار ذكر : أنّ أبا سعيد السمعاني له سبعة آلاف شيخ . « فيض القدير : ١/٣٤ » .

(٢) هو : الإمام الكبير الحافظ الشهير محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ، أبو عبد الله الحاكم الضبي ، المعروف بابن البيع النيسابوري . سمع منه من المشايخ جماعة ، منهم : القفال الشاشي ، والدارقطني ، وابن القطان الرازي . اتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ ألف جزء . من أشهر كتبه : « المستدرك على الصحيحين » ، « فضائل الشافعي » ، « الأبواب » ، « تراجم الشيوخ » ، « معرفة علوم الحديث » . ولد سنة ٣٢١ هـ بنيسابور ، وتوفي بها سنة ٤٠٥ هـ .

(٣) أي : من قوله : وبُعث إلى الناس ، اهـ .

(٤) هو : شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني الشافعي ، عالم بالحديث ، أصله من كرمان ، اشتهر في بغداد . من أشهر كتبه : « الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » ، « ضمائر القرآن » ، « شرح لمختصر ابن الحاجب » ، « أنموذج الكشاف » . ولد سنة ٧١٧ هـ ، وتوفي سنة ٧٨٦ هـ راجعا من الحج في طريقه إلى بغداد .

(٥) وهو كتاب « شرح الكرماني على البخاري = الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » ، لمحمد بن يوسف الكرماني .

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة ، وجميع ما تزوج من النساء : أربع عشرة امرأة ، وفي رواية : ثلاث عشرة امرأة ، وأول امرأة تزوجها : خديجة بنت خويلد بن أسد ، وهي سيدة النساء ، وكانت أسبق النساء إسلاما .

وقد[١] **مات النبي ﷺ عن تِسْع نِسْوة**) أي : بقينَ حين مَوْتهِ (**وجميعُ ما تزوَّج مِن النساء : أربعَ عَشرةَ امرأةً ، وفي روايةٍ : ثلاثَ عَشرة امرأةً**) والمُتّفَق عَليْهنّ : إحْدى عَشرةَ[٢] ، واختلفَتْ في غَيْرهنّ ، وجُملتُهنّ : اثنتا عَشَرَة امرأة ، فيَكون جُمْلةُ[٣] مَنْ عقدَ عَليهنّ : ثلاثًا وَعشرينَ امرأةً ، دَخل ببَعْضهنّ دُون بَعْضٍ .

(**وأوّلُ امرأةٍ تزوّجَها : خديجةُ**)[٤] بَعْدَ زَوْجين[٥] ، وَلدتْ لكلٍّ منهما ، وَلها يَوْمَ تزوُّجِهَا أَرْبعون سَنةً وأشهُر ، وله خمسٌ وعشرُون سنة عند الأكثرينَ ، وكانت تدْعى في الجاهليّة : الطاهِرَةَ ، وكانت ذَات شرفٍ ظاهرٍ ومَالٍ وافرٍ وحَسَبٍ فاخرٍ ، وعرضَتْ نفسَها عليه لِما رَأتْه مِن كراماتهِ ، فذكَر ذلك لأعمامه فخَطبُوها إلى أبيها ، فأجابَ ، فتزوّجَها بصَدَاق عشرين بَكْرَةً - بفتح الباء - أي : الْفَتيَّةَ مِنَ الإبل (**بنتُ خُوَيْلد**) تصغير خالد (**بنِ أسد**) بنِ عبد العُزّى بنِ قُصَي بن كلاب (**وهي : سيّدةُ النساءِ**) وفي سِيادتِهَا على عائشةَ خلافٌ[٦] ، صحّح العُلماء تفضيلَهَا عليها لِما تَقرر عِنْدهُمْ[٧] (**وكانت أسبقَ النساء إسلاما**)

---

(١) أي : لا حاجة إليه أيضا .

(٢) ستّ قرشيات ، وأربع عربيات ، وإسرائيلية . « منح : صـ ٦١٦ » . ※

(٣) بناء على الاختلاف . منه .

(٤) رضي الله تعالى عنها .

(٥) بعد زوجين - أبي هالة ، النباش بن أبي زرارة ، وعتيق بن عائذ المخزومي .

(٦) قال الشيخ ولي الدين العراقي : خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار ، وقيل : عائشة . انتهى .
وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرح « بهجة الحاوي » عند ذكر أزواجه ﷺ : وأفضلهن خديجة وعائشة ، وفي أفضلهما خلاف . « مواهب : ٢/٧٧-٧٨ » . ※

(٧) صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له : قد رَزقك الله خيرًا منها ، فقال : « لا وَاللهِ مَا رَزَقَنِي اللهُ خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقتنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ » .
وسئل ابن داود أيهما أفضل؟ فقال : عائشةُ ؛ أقْرأها النَّبيُّ ﷺ السلام مِن جبريلَ ، وخديجةُ أقرأها جبريلُ مِن رَبِّها السلام على لسان محمد ، فهي أفضل . قيل له : فمن

ثم سودة بنت زمعة . ثم عائشة . . . .

أي : كانت خَديجةُ أوّلَ مَنْ آمَن مِنْ نساء أمّتِه كما سَيأتي ، وماتَتْ بمكة قَبْل الهجْرَة بثلاثِ سنينَ ، ودُفنت بالحَجُون ، وهي ابنةُ خَمْسٍ وَستّين سنةً ، وقبرُها هُناك مَشْهُور يُزار وَيُتبرَّك به ، ولم يكُنْ يَوْمئذٍ يُصلِّي على الجَنازة ، وكانت مدّةُ مَقامِهَا مع النبي ﷺ : خَمْسًا وَعشرين سَنَةً ، رضي الله عنها .

(**ثم**) تزوّج (**سوْدَةَ بنْتَ زمْعَة**) أسلمت قديمًا وبَايعَت ، وَكانَت تحْت ابن عمٍّ لهَا[1] ، وأسلم مَعها قديمًا ، وهاجرا إلى أرض الحبشةِ ، فلما قدِما مكة مات زوْجُهَا ، فتزوّجَها بها[2] بَعْد مَوْت خَديجة وبَعْد عَقده على عَائشةَ ، ودَخل بها قبل عائشةَ ، وَأراد[3] طلاّقَهَا لما أسنَّتْ ، فسَألتْ[4] ووَهبَتْ نَوْبَتهَا لعائشة فأمْسكهَا[5] ، تُوُفيت بالمدينَة سَنة أرْبعَ وَخمسينَ[6] .

(**ثم**) تزوّج (**عَائشة**) رضي الله عنها بمكةَ في شوّال سَنةَ عَشرٍ مِنَ النبوّة ؛ وقبل الهجرة بثلاثٍ ،[7] وَلها ستُّ سنينَ ، وَأعْرَس بها بالمدينة في شوّال سنَة اثنيْن من الهجْرة ولها تسْعُ سنين[8] ، وَلمْ يتزوّج بِكرًا غيْرَها ، وَأحبَّها أكثرَ مِنْ بقيّة نسَائهِ ، وكان

أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي » فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدًا . « مواهب : ٢/٧٨ » . *

(١) يقال له : السكران بن عمرو – أخو سهيل بن عمرو . *
(٢) رسول الله ﷺ ، بمكة .
(٣) وأراد – صلى الله عليه وسلم .
(٤) فسألت – عدم الطلاق .
(٥) قالت عائشة رضي الله عنها : لما أسنّت سَوْدة همّ رسول الله ﷺ بطلاقها ، فقالت : يا رسول الله ؛ سألتك الله لا تطلقني وأنت في حلّ منْ شأني وإنّما أريد أنْ أحشر مع أزواجك ، وإني قد وهَبت يومي لعائشة وإني لا أريد ما تريد النساء ، فأمْسكها رسول الله ﷺ حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله عنهن . « كشف الغمة عن جميع الأمة : ٢/٢٣٥ » .
(٦) وروى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح إلى سعيد بن أبي هلال : أنها ماتت في خلافة عمر ، وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بأنها ماتت في آخر خلافة عمر ، وقال ابن سيد الناس : إنه المشهور . « مواهب : ٢/٨١ » . *
(٧) وقيل : بسنتين ، وقيل : بنحو ثمانية عشر شهرا . « فتوحات » .
(٨) قوله : سنة عشر إلى قوله : ولها تسع سنين – هو ما صرّح به الهيتمي في « الفتح المبين » وفيه إشكال ؛ لأنها إن كانت حين عقدها ذات ست سنين قبل الهجرة بثلاث ، وقد دخل بها سنة اثنين ؛ منها تكون لها أحد عشر سنة حين الدخول لا تسع سنين ، إلا

ابنة أبي بكر الصديق ، وهؤلاء قد تزوجها بمكة .

وتزوج بالمدينة : حفصة بنت عمر . وأم سلمة بنت أبي أمية ، . . . . .

إذا هَوِيَتْ الشيْءَ تابعَهَا عليه ؛ وفقدها في بعض أسفاره فقال : « وَاعَرُوسَاهُ » . وكانت فَقِيهَة عَالمةً فَصِيحة حَافظةً ، ومات عنها وَلها ثماني عَشرة سنةً ، وكانت مدّةُ إقامتِهَا معه تسْعُ سنين[1] ، ومَاتت بالمدينة سنةَ سبْعٍ وَخَمسين لسبْعَ عَشْرةَ خلَتْ منْ رَمضان ، وهي ابنةُ ستٍّ وستّين سَنةً[2] ، وأوصَتْ أن تُدْفَن بالبقيع ، وصَلّى عليها أبو هريرةَ[3] رضي الله عنه (ابنةُ أبي بكر الصديق) رضي الله عنهما .

(وَهَؤُلاءِ) الأزْوَاجُ (قد تزوّجَها بمكةَ) كما بيّنا .

(وتزوّج بالمدينَة : حَفْصَةَ) سنَة ثلاثَ مِنَ الهجرَة بَعْدَ ما رجعتْ مِنْ هِجْرة الحبشة ، وموْتِ زَوْجِهَا بعد غزوَة بَدْر ، وطَلّقهَا ﷺ ، فأوْحى الله إليه : أنْ راجعَها ؛ فإنها صَوّامةٌ قوّامةٌ ، وَأنها زَوْجتك في الآخرة ، وماتت في شَعْبان سَنة خَمْسٍ وَأربعينَ ، وهي ابنةُ سِتّين سَنَة ، ودفنتْ بالمدينة (بنْتَ عمرَ) بنِ الخطاب رضي الله عنه .

(و)تزوّجَ (أمَّ سلمة) – بكسْر اللام[4] – أي : هِنْدًا أي : هذا بعد موت[5] أبي سلمة سنة أربعَ ، وكانت مِن أكمل النساء ، مَاتَتْ سنة تِسْعٍ وَخمسينَ ، ودُفنت بالبقيع ، وصَلّى عليها أبو هريرة ، وكان عُمْرهَا أرْبَعا وثمانينَ سَنة (بنت أبي أُميّةَ .

أن يطلق الثلاث على ما زاد سنتين ، والإثنين على ما زاد السنة ، لكن الظاهر ما صرّح به في « المنح » : أنه دخل بها على رأس ثمانية عشر شهرًا ، فلو نسب هذا إلى رواية عقدها قبل الهجرة بنحو ثمانية عشر شهرا كان أظهر ، ثم ان الهيتمي قد صرح في الأول أنها عاشت بعده أربعين سنة ولم يبين سنها حين الوفات ، لكن لا يوافق تاريخها الذي ذكرهما ولا الذي ذكره المصنف فيما سيأتي ، فراجعه . بالتفحص من كتب السير . منه .

(١) وعاشت بعده أربعين سنة . « فتوحات » .
(٢) وهي ابنة ست وستين سنة – خلافا لما سيأتي من المصنف . منه .
(٣) وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان . « مواهب : ٨٣/٢ » . *
(٤) وقيل : بفتحها . منه .
(٥) أي : زوجها .

وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، كان هؤلاء الست من قريش . وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، . . . .

وَ)تزوّجَ (أمّ حَبيبةَ) رَمْلَة ، وكانت تحت عُبَيْدِ الله بنِ جَحْش ، وهاجر بها إلى أرْض الحَبشة ، ثم تَنَصَّر وَارْتدَّ عن الإسلامِ ومات هُناك ، وَثبتَت أمّ حَبيبةَ على الإسلامِ ، وزوَّجَهَا النجاشي مَلِكُ الحَبشةِ لِوَكيل رسول الله عَمْرٍو ، وأصْدقَهَا عنه أرْبعَمائة دِينَار ، وَبعث بها إليه ، فدخل بها سنةَ سبْعٍ ، مَاتت بالمدينَة سنة أرْبعَ وأرْبعين ، رضي الله عنها (بِنْتَ أبي سفيانَ .

كانَ هؤلاء) الأزْوَاج (السِّتُّ مِنْ قريش .

و)تزوَّج (جُوَيْرِيّة) - بالجيم المضمُومَة والواو المفتوحة ثم التحتية السَّاكنة ثم راءٍ مُهْملةٍ ثم ياء تحتيّة مُشدّدة ثم هاء - كان اسمُها : بَرَّة ؛ فحوّلَهُ ﷺ وكان يُكرِهُ أن يقال : خَرَج مِن عندِ بَرّة ، سباها رسول الله ﷺ في غزوَة بَني المُصْطَلقِ[1] ، فوَقعَتْ في سَهْم ثابتِ بنِ قَيْس ، فكاتبَها ، فجَائت تَسْأل رسول الله ﷺ فقال : « هَلْ لَكِ إلَى مَا هُوَ خيْرٌ لكِ ؟ أُوَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَك وَأتَزَوَّجُك » ، قالت : نعم ، فسمِعَ الناسُ ذلك فاعْتقوا ما في أيديهِمْ منْ قومِها ، وقالوا : أصْهارُ رسول الله ﷺ . قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأينا امرأةً أعظمَ بركةً منها ، أُعْتِق في سببِهَا مائَةُ أهلِ بَيْتٍ مِنْ بَني المُصْطلق . وكانت بنْتَ عشرين سَنَة ، تُوُفيت سنة خمسينَ وَعُمرُهَا خمْسٌ وَستّون (بنتَ الحَارث) وفي نسخة « المواهِب » : الحرْث (من) قَبيلَة (بني المُصْطَلق[2] .

(١) لمّا انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصطلق ، ومعه جُويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدِم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ؛ أصَبْتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله ﷺ : « فَأيْنَ البَعيرَانِ اللّذَانِ غَيّبْتَ بالعَقِيقِ في شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ؟ » فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولَ الله صلى الله عليكَ ، فوالله ما اطَّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ، ودُفعت إليه ابنته جُويرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوّجه إيّاها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكان قبل رسول الله ﷺ عند ابن عمّ لها يقال له : عبد الله . « الروض الأنف : ٤/٤٣٠ » . *

(٢) وهو : حيّ من خزاعة . (ص) .

وصفية بنت حُيي بن الأخطب . وزينب . . . .

وَ)تزَوّجَ (صَفيةَ) كانت مِن سَبي خَيبر ؛ مِنْ نَسْل هَارون[١] بنِ عِمْران ، وكان أَذِنَ ﷺ لدِحية[٢] في أخْذ جَاريةٍ ، فأخذها ، فقيل له ﷺ : أعْطيتَه سيّدَةَ اليهُود ؟ وهي لا تَصْلح إلا لك ، فَخشِي عليهم الفتنةَ فأعْطاهُ غيرهَا ، ثمّ قيل : أعتقهَا وَتزوّجهَا ، وَبنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفي رواية : أنه ﷺ قال لها :[٣] « هَلْ لَكِ فِيَّ ؟ » ، قالت : يا رسول الله ؛ إنّي كنتُ أتمنّى ذلك في الشِّرْك[٤] ، وكان بِعَيْنها خُضْرةٌ ، فسألها عنها ، فقالت : إنها كانت نائمةً ورأسُ زَوْجهَا – مِلكِهِمْ –[٥] في حِجرِها[٦] ، فرأتْ قمرًا وقعَ في حِجْرهَا ، فأخبَرتْه ، فلَطمهَا[٧] وقال : تتمنّينَ مَلِكَ يَثْربَ[٨] ؟ ! مَاتتْ في رَمضان سنة خمسينَ ، ودفنت بالبقيع (بنتَ حُييّ) – بضم الحاء المُهْملة وفتح الياء المخفّفة وتشديد الياء الثانية (بن الأخْطب) – بفتح الهمزة وَسكون الخاء[٩] .

(و)تزَوّجَ (زينب) بنت أُمَيْمة[١٠] بنتِ عَبْدِ المطلب ، كان رسول الله ﷺ زوّجها منْ زيد بنِ حَارثة مَوْلى رسول الله ﷺ ، فمكثَتْ عنده مدّة ثم طَلّقهَا ، فلمّا انقضَتْ عدَّتهَا منه قال[١١] لزَيْد : « اذْهَبْ فَاذْكُرْنِي لَهَا » ، فذهَب إليها قال : فجَعلْتُ ظهْري إلى الباب فقلتُ : يَا زَيْنب ؛ بَعثني رسول الله ﷺ إليكِ يذكرُكِ ، فقالت : ما كنت لأُحْدِث شيئًا حتى أؤامِرَ رَبّي ، فقامَتْ إلى مسجد لها ،

---

(١) نبي الله عليه السلام .
(٢) أي : الكلبي .
(٣) قال لها – صفية .
(٤) أي : حال كوني . اهـ .
(٥) ملكهم – أي : أهل خيبر . منه .
(٦) سيأتي معنى الحجر . منه .
(٧) فلطمها – أي : ضربها .
(٨) أي : المدينة .
(٩) المعجمة .
(١٠) وهي عمّة النبي ﷺ ، كانت تحت جحش بن رئاب . *
(١١) قال – صلى الله عليه وسلم .

بنت جحش ، وكانت مطلقة زيد بن حارثة ، يقال لها : أم المساكين لسخاوتها ، وكانت من بني هاشم ، وهي أول نسائه اللاتي ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وميمونة . . . .

فأنزل الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا[١] زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٢] ، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذنٍ سنةَ خمسٍ ، فقال المنافقون : حرم محمدٌ نساءَ الولدِ ، وقد تزوج امرأةَ ابنه ، فأنزل الله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية[٣] . وكانت زَيْنب تَفْخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوّجكنّ آباؤكنَّ ، وزَوَّجني الله تعالى مِنْ فَوْق سبْع سَموات . وكان اسمُها : بَرّة فسمّاهَا : زينب كما مرّ نظيرُه ، وقالت عَائشة في شأنها : لَمْ تكُنْ امرأةٌ خيرًا منها في الدين ، وَأتقى لله ، وأصدَقُ حَديثا ، وَأوْصَل للرّحم ، وَأعظمُ صَدقةً . ماتت بالمدينة سَنة عشرينَ وَلهَا ثلاثُ وَخمسُون سَنة ، وصلّى عليها عمر ﷺ (**بنْتَ جَحش**) - بتَقْديم الجِيم (**وَكانت**) زينب (**مُطلقةَ زَيْد بن حَارثة**) أي : كما بيّنا آنفا ، وكان (**يقال لها : أمّ المسَاكين لِسَخاوَتِهَا**) وَلعلّه انقلبَ على المصنف ﷺ زَيْنبُ هذه بزَيْنب بنت خزيمة الآتية ؛ لأنهم صرّحوا[٤] : أنَّ هذا اللقبَ لتلك ؛ والله أعلم (**وكانت مِنْ بَني هاشم ، وهي أول نِسائه اللاتي ماتت[٥] بعد رسول الله ﷺ**) .

و)تزَوّج (**مَيْمُونة**)[٦] سنة سَبْع بَعْدَ خَيْبر بسَرِف - بفتح المُهْملة وَكسْر الراء بعدها فاء - موضعٌ على سِتّةِ أميال مِن مكة ، وبنى[٧] بها فيه ، وكان حلالاً ،

---

(١) وطرا - أي : حاجة .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .
(٤) أي : أهل السير .
(٥) وأخبر بموتها رسول الله ﷺ بقوله : خطابا لأزواجه « أسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقًا أطْوَلُكُنَّ يَدًا » أي : نعمة ؛ أي : أسخاكن ، كما سبقت الإشارة إليه في قول عائشة ﷺ ، فهو أحد مُغيّباته ﷺ . منه .
(٦) تزوجها رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة ، كان اسمها برّة فسمّاها النبي ﷺ مَيْمُونة ، تُوفيَتْ ﷺ سنة إحدى وخمسين بوادي سرف ، وهو بينه وبَين مكة عشرة أميال ، وصلّى عليها ابنُ عباس ، وَدخل قبْرها هو وبنو أخواتها ﷺ . « كشف الغمة عن جميع الأمة : ٢٣١/٢ » .
(٧) بنى بها - أي : زفّها . (قاموس) .

بنت الحارث ، وهي خالة ابن عباس رضي الله عنهما ، كانت من بني هاشم . وزينب بنت خزيمة ، وهي امرأة من بني هلال . وامرأة من كندة . وامرأة من كلب . . . .

وتُوُفيت في المَوْضع الذي بنى بها فيه سنة إحدى وَخمسينَ ، قيل : كان اسمها أيضًا : بَرّة ؛ فسمّاهَا النبيُّ ﷺ : مَيْمُونة ، وفيها خلاف ؛ أنها هي الواهبة[1] نفسَهَا للنبي ﷺ (**بنتَ الحارث ، وهي خالةُ ابن عباس** رضي الله عنهما[2] ، **كانت مِن بَني هاشم**) وَلعَل هذا سَهْو مِنْ قَلم الناسِخ ؛ لأنهم صَرّحُوا : أنها هِلاليّة ؛ والله أعلم .

(**و**)تزوَّجَ (**زينب**)[3] سَنة ثلاث ، ثمّ ماتت بعد ثلاثةِ أشهر ، ودُفنت بالبقيع (**بِنْتَ خُزَيْمَة ، وهي امرأة مِنْ بَني هِلال**) كِكِتَاب ، حَيّ مِنْ هَوَازن[4] .

(**وَ**)تزوّجَ أيضا (**امرأة**) واسمُها : قُتَيْلَة - بضم القاف وفتح المثنّاة الفوْقيّة وسكون المثنّاة التحتيّة - بنْتَ قيس ، رَجل (**مِنْ كِنْدَة**) - بالكسر - أبو حيّ مِن اليَمَن ، سنة عَشرٍ ، فقُبِضَ رسول الله ﷺ سَنة إحدى عَشرة قبل الدخول بها .

(**و**)تزَوّجَ أيضًا (**امرأةً**) يقال لها : شَرَاف - بفتح الشين المُعْجمة وَتخفيف الراء وَبالفاء (**مِنْ**) قَبِيلَة (**كلب**) أي : أختَ دِحْيَة الكلبي[5] ، فماتت قبل دُخولهِ بِهَا .

---

(١) أي : التي أخبر الله تعالى بها في القرآن بقوله تعالى : ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : الآية ٥٠] .

وذلك أن خطبته ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله . وقيل : الواهبة نفسها غيرها . « مواهب : ٢/٩٠ » . *

(٢) وكانت أختها أم الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب ، وأختها لأمها أسماء بنت عميس تحت جعفر ، وسلمى بنت عميس تحت حمزة . « مواهب : ٨٩/٢ » . *

(٣) وكانت تدعى في الجاهلية : أم المساكين ؛ لإطعامها إياهم . « مواهب : ٨٩/٢ » . *

(٤) فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر . وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير من ذكر ، وجملتهن اثنتا عشرة امرأة . وفي هذا كلام طويل مذكور في « المواهب : ٩٤/٢ » . *

(٥) الذي يجيء جبرائيل عليه السلام بصورته . منه .

وأما أولاده : فثلاثة بنين على الصحيح ، وأربع بنات . . . .

واعلم : أن لأزواج رسول الله ﷺ خَصَائصَ وَامتِيَازاتٍ ، مِنْهَا : أنها أُمّهات المُؤْمنين في حُرْمة التَّزوُّجِ أي : لا في النَّظر والمَسّ وَالخلوَة[١] ، ومنها : أن صُنَّ مِنَ النار بعَقدهنّ إنْ قلنا : تحرُم به ، وَإنْ قُلنا : لا تحرُم إلا بالدخول فَبِهِ[٢] لِمَا صحّ عنه ﷺ : « أنَّ الله تَعالَى لَمْ يُزَوِّجْهُ إلاَّ مَنْ سَتَكُون مَعَهُ فِي الجَنَّةِ » ، ومنها : تحريمُ رؤية أشخَاصِهنّ في الأُزرِ[٣] كما صَرّح به القاضي عِياض وغيره ، لكن تَعقّبَه[٤] الحافظ ابن حجر[٥] : بأنهن كنَّ بعد النبي ﷺ يَحْجُجْنَ ويَطُفْنَ ، وكانت الصحابة ومَنْ بعدهُمْ يَسْمعُون مِنْهنّ الحديثَ وهنّ مُسْتتراتُ الأبدانِ لا الأشْخاص ؛ والله أعلم ، ومنها : تحريمُ كشف وُجوهِهنّ وأكُفِّهنّ لشَهادة أو غيرها ، ومنها : غيرها ممّا هو مَذكور في كُتب الخصائِصِ .

(**وأمّا أولادُهُ : فثلاثةُ بَنِينَ على الصحيح**) قال في « شرح الشمائل »[٦] : وأما أولادهُ الذكور ففي عدَّتهم خلاف طويلٌ ، المُتحصِّل مِن جَميع الأقوال : ثمانيةُ ذُكُور ، اثنان متّفَقٌ عليهِما : القاسم وإبراهيم ، وستّةٌ مُخْتلَف فيهم : عبد مَناف وعبد الله وَالطيِّب والمُطيّب وَالطاهر وَالمُطَهّر ، والأصح : أنّ الذكور ثلاثةٌ ؛ انتهى (**وأربعُ بَناتٍ**) بالاتفاق .

---

(١) أي : بهنّ .
(٢) إلا بالدخول فبه – أي : قضيت بالدخول . منه .
(٣) الأزر – جمع إزار مثل كتاب ، وكتب .
(٤) أي : يعيب . منه .
(٥) هو : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة الحفاظ والعلم والتاريخ . أصله من عسقلان « بفلسطين » . كان فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين . من أشهر كتبه : « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » ، « تقريب التهذيب » ، « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة » ، « تهذيب التهذيب » ، « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » ، « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » . ولد سنة ٧٧٣ هـ في القاهرة ، وتوفي بها سنة ٨٥٢ هـ .
(٦) وهو كتاب « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = أشرف الوسائل في شرح الشمائل للترمذي » ، لابن حجر الهيتمي .

فأول أولاده : القاسم ، ثم ابنته : زينب ، ثم ابنه : طاهر ، ولد بعد نزول الوحي ، ولذلك سمي : طاهرا ، ثم ابنته : أم كلثوم ، ثم : فاطمة ، ثم ابنته : رقية ، فهؤلاء كلهم ولدوا بمكة من خديجة .

ثم ولد بالمدينة ابنه : إبراهيم . . . .

(**فأول أولادِه : القاسم**) وُلد قبل النبوّةِ ، وَبِهِ كان ﷺ يُكنَّى[1] ، وَعاش حتى مَشَى ، وقيل : عَاش سَنتَيْن ، وقيل : غير ذلك ، وهو أول مَنْ مات مِنْ وُلْده .

(**ثم ابنتُهُ : زَيْنَبْ**) سَيأتي بَيانها .

(**ثمّ ابنه : طاهر ، وُلد بعد نزول الوحي ، ولذلك سمّي : طاهرًا**)[2] ومات صَغيرا بمكةَ . فقال العَاصُ بنُ وَائل : قد انقطعَ وَلدُه ؛ فهو أَبْتَرُ ، فأنزَل الله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[3] .

(**ثمّ ابنتُه : أمّ كُلْثُوم**) لا يُعْرَف لها اسم ؛ وإنما تُعرف بكُنْيتِها .

(**ثم : فاطمة**)[4] سَيأتي مَناقبُهَا .

(**ثمّ ابنتُهُ : رُقِيَّة**)[5] ولدت سَنةَ ثلاثٍ وَثلاثين مِنْ مَوْلده[6] . (**فهؤلاء كلّهُمْ**) بِتَغْليب الذكور (**وُلدوا بمكة مِن خديجة** .

ثم وُلد بالمدينَة ابنُهُ : إبراهيم) أي : في ذي الحجة سنة ثمانِ ، وعقَّ[7] عنه يَوْمَ سابعهِ بكَبْشَيْن[8] ، وحَلق رأسَهُ أبو هند ، وسمّاهُ النبي ﷺ يومئذ باسم أبيه[9] ،

---

(١) أي : يقال : أبو القاسم .
(٢) وطيبا مع أن اسمه عبد الله على الأصح ، من أن الثلاثة أسماء لواحد . منه .
(٣) سورة الكوثر : الآية ٣ .
(٤) فاطمة – وهي أصغرهنّ .
(٥) الصواب : تقديمها على أمّ كلثوم على ترتيب الواقع إلا ان يجعل ، ثم للترتيب الذكري وإن أباه السياق . ويؤيّده ذكر ابنه طاهر بعد زينب مع أنه ولد بعدهنّ جميعا ، والله أعلم . منه .
(٦) صلى الله عليه وسلم .
(٧) أي : ذبح العقيقة . منه .
(٨) بكبشين ، كبش – كُيْ ، (عَجَمْ) .
(٩) أي : إبراهيم الخليل .

من الجارية المصرية ، التي أهداها إليه المقوقس ملك إسكندرية .

وَتصدَّق بِزنَة شَعْرَه وَرِقًا على المَساكين ، ودَفنُوا شعرَه في الأرض ، وكان ﷺ يَذهبُ إليه في العَوالي[١] عند ظِئْره الحدّاد فيأخذُه ويُقبّلُه[٢] ثمّ يَرْجع ، ثمّ توُفّي وله سَبْعُون يوما في الربيع الأول يَوْم الثلاثاء لعَشرِ خَلوْن[٣] ، وقيل : ستّةَ عَشر شهرًا[٤] ، وقيل : غير ذلك[٥] ، وَحَمل على سريرٍ صَغير ، وصلَّى عليه النبي ﷺ بالبقيع ، وقيل : لمْ يُصلِّ وأمرهُمْ أن يُصَلوا ، ونزل قبْرَه الفضلُ[٦] وأُسَامةُ وَالنبي ﷺ[٧] على شَفير القبْر ، ورُشّ قبْرُه وَعُلِّم بعَلامة ، وهو أول قبر رُشَّ ، وَانكسفَت الشمسُ يوم مَوْتهِ فقال الناسُ : إنما كُسفت لِمَوْت إبراهيمَ ، فقال : « إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ »[٨] الحديثَ ردًّا عليهم (**مِنَ الجارية**) أي : مِنْ سَرِيّته مَارِيةِ القِبْطيّة (**المِصْريّة**) ماتت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ستَّ عَشرةَ ، ودُفنَتْ بالبقيع (**التي أهْدَاها إليه**) أي : النبيِّ ﷺ (**المُقَوْقِسُ**) على وَزْن مُدَحْرج ، اسم فاعل (**مَلكُ إسكندريّة**) ومِصرَ ، كما أن كِسْرى لقبٌ لمَلِك الفُرس ، وقَيْصر لمَلِك الرُّومِ ، وَتُبَّعٌ لمَلكِ اليَمَن ، وَالنُّعمان لمَلِك العَرب ، وَالنّجاشي لمَلك الحَبَشةِ ، وفِرعَوْن لملك القِبْط ، وَالعزيزُ لمَلك مِصْر ، وجَالُوت لمَلك البَرْبَر ، وخَاقان لمَلك التُّرْكِ .

---

(١) العوالي – وهو اسم قرية من قرى المدينة ، بينها وبين المدينة أميال . منه .
(٢) ويقبّلُه – أُبَ ، (عَجَمْ) .
(٣) وفي حديث جابر : أخذ ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأتى به النخل ؛ فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه ، فأخذه ﷺ فوضعه في حجره ، ثم ذرفت عيناه ، ثم قال : « إنَّا بِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ، تَبْكِي العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ وَلا نَقُولُ : مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » . « مواهب : ١/٧٠ » . *
(٤) وثمانية أيام . *
(٥) أي : وقيل : سنة وعشرة أشهر وستة أيام . *
(٦) الفَضْلُ – اسم رجل .
(٧) والنبي ﷺ – حال .
(٨) = « مِنْ آيَاتِ الله تَعَالَى ، لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ، وَلا لِحَيَاتِهِ ، فَإذَا رَأيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا » . *

وماتوا كلهم قبله .

وأما البنات : فقد تزوج أكبرهن أبو العاص ، وهي زينب .

وأما رقية وأم كلثوم : فقد تزوجهما عثمان رضي الله عنه بن عفان ، . .

وأهْدى معَها أختَها سِيرِينَ[١] ، وَخِصيًّا[٢] يقال له : مَأبُور ، وَألفَ مثْقالٍ ذهبًا ، وَعشْرينَ ثوبًا لَيِّنًا مِنْ قَبَاطي[٣] مِصْرَ ، وبَغلةً شهبَاءَ - وهي دُلْدُلْ ، وحِمارا أَشهَبَ - وهو عُفَيْر ويقال : يَعْفُور ، وعَسَلا مِنْ عسَل بِنْهاءَ ، فَأعْجَب[٤] النبيّ ﷺ العَسلَ ودَعا[٥] في عسل بِنْهاء بالبَركة ، وبِنْها - بكسْر الباء[٦] وَسكون النون - قرْية مِنْ قرى مصْرَ ، ووهَب سِيرينَ لحسَّان بنِ ثابت .

(**ومَاتوا**) أي : الأبناء (**كلّهُمْ قبْلهُ**) أي : قبل النبي ﷺ .

(**وَأمّا البناتُ : فقَدْ تزوّج أكبَرَهُنّ أبو العَاص ، وهي زَيْنَبُ**)[٧] فولدَتْ عَلِيًّا ، وكان رديفَ النبي ﷺ يَوْمَ الفَتح[٨] على ناقتِهِ ، وَمَات قبل الاحتلام ، وأُمَامَةَ التي حملهَا رسول الله ﷺ في صَلاتِهِ ، وَتزوّجها عَليُّ بَعْدَ مَوْت فاطمة[٩] . وَمَاتَتْ زينب سنَةَ ثمانِ منَ الهجرة عند زَوْجِهَا[١٠] أبي العاص .

(**وأمّا رقيّةُ وَأمّ كلثوم**) رضي الله عنهما : (**فقد تزوّجهُمَا عُثْمَانُ** رضي الله عنه **بن عَفَّان**) بعد ما كانَتْ رقيّةُ تَحْت عُتبةَ بنِ أبي لهب ، وَأختُهَا أمّ كلثوم تحت أخيه عُتَيْبَة ،

---

(١) بكسر السين المهملة وسكون المثنّاة التحتية وكسر الراء وبنون آخرها . منه .
(٢) وخَصَيْتُ الفحل خِصاءً ممدودٌ ، إذا سللتَ خُصْيَيْهِ . والرجل خَصيٌّ ، والجمع خِصْيانٌ وخِصْيَةٌ . (ص) .
(٣) والقِبْطِيَّةُ : ثيابٌ بيضٌ رقاقٌ من كتَّانٍ ، تتّخذ بمصْر ، والجمع قَباطِيٌّ . (ص) .
(٤) أي : أحبّه .
(٥) أي : صلى الله عليه وسلم .
(٦) والناس يفتحون الباء الآن . منه .
(٧) عند ابن إسحاق : أنها ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ . « مواهب : ٦٠/٢ » . *
(٨) أي : فتح مكة .
(٩) رضي الله تعالى عنها .
(١٠) زوجها - ابن خالتها .

واحدة بعد واحدة .

فلمّا نَزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[١] قال لهُما أبوهُما :[٢] رأسِي منْ رأسِكُما حَرام إنْ لم تُفارِقا ابْنتَي محمدٍ ﷺ ، ففارقَاهما ؛ وَلمْ يكُونا دَخَلا بهمَا[٣] .

فتزوّجَ عثمانُ رقيةَ بمَكَّةَ ، وهَاجر بها الهجرتيْن إلى أرض الحَبشةِ ، وكانت ذاتَ جَمال بارعٍ ، وَتُوُفيت وَالنبي ﷺ[٤] ببدرٍ ، وَلما عُزّي بها قال : « الحَمْدُ للهِ ، دَفْنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ » .

وبعد مَوْتها خطبَ عثمان ابْنةَ عمرَ رضي الله عنه ، فردَّه[٥] ، فبَلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « يَا عُمَرُ ، أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ ، وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ ؟ » قال : نعم ؛ يَا نبيَّ الله ، قال : « تُزَوِّجْنِي ابْنَتَكَ ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي » ، فزوّجه أمَّ كلثوم سَنة ثلاثٍ منَ الهجرة ، وقال له : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةُ بِنْتٍ تَمُتْنَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ ، زَوَّجْتُكَ أُخْرَى بَعْدَ أُخْرَى ، هَذَا جَبْرَائِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَهَا » (**وَاحدةً**) أي : أمّ كلثوم (**بَعْد**) مَوْت (**وَاحدةٍ**) أي : رُقية كما ذكرْنا ، وتُوُفيت أمّ كلثوم سَنةَ تسْعٍ منَ الهجرة[٦] .

---

(١) سورة المسد : الآية ١ .

(٢) أي : أبو لهب .

(٣) ويروي : أن عتيبة لما فارق أمّ كلثوم جاء إلى النبي ﷺ فقال : كفرتُ بدينك ، وفارقتُ ابنتَكَ ، لا تُحبني ولا أحِبُّك . ثم سطا عليه وشقَّ قميصه وهو خارج نحوَ الشام تاجرًا ، فقال ﷺ : « أَمَّا إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبَهُ » ، وفي رواية : « اللَّهُمَّ ؛ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ » ، وأبو طالب حاضر فوجم لها وقال : ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي ، فخرج في تَجر من قريش حتى نَزَلوا مكانا مِن الشام يقال له : الزَّرْقاء ليلا ، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجَعَل عُتَيْبَة يقول : يا وَيْلَ أمّي ، وهو والله آكِلِي ، كما دعا عليَّ محمد ، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام ، فعدا عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه ففدغه . وفي رواية : فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم ، ثم ثنى ذنبه فوَثب فضربه ضربة واحدة فخدشه ، فقال : قتلني ومات ، وفي رواية : أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه . « مواهب : ٦٢/٢-٦٣ » . *

وقالت أمّهما بنت حَرْب بن أميَّةَ وهي حَمَّالَةُ الحَطَبِ : طَلِّقاهما يا بنيَّ ، فإنهما قد حَبَّتَاهُ . « المعجم الكبير : ٤٣٥/٢٢ » . *

(٤) والنبي - حال .

(٥) وفي رواية : أن عمر رده أولا ، ثم عرض عليه ثانيا . *

(٦) وَصَلَّى عَلَيْهَا ﷺ ، وَنَزل في حفرتها عَلِي والفضل وأسامة بن زيد . وفي « البخاري » :

وأما فاطمة : فقد تزوجها علي .

وكلهن من خديجة . ومتن قبله صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة رضي الله عنها ، فأنها ماتت بعد رسول الله بأربعين ليلة ، وفي رواية : . . . .

(**وأما فاطمة**) - وهي الزَّهْراءُ البَتُولُ ، وُلِدَتْ سَنة إحدى وأربعين مِن مَوْلد النبي ﷺ ، وقيل : قبل النبوّة بخمسِ سنينَ ، « سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ ؛ لأنَّ الله تَعَالَى فَطَمَهَا[١] وَذُرِّيَّتَهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ » ، وفي رواية : « فَطَمَهَا وَمُحِبِّيهَا عَنِ النَّارِ » ، وبتُولاً[٢] لانقطاعها عن نِسَاء زَمانها فضلا وَدِينًا وَحسبًا ، وقيل : لانقطاعها[٣] عن الدنيا إلى الله تعالى (**فقد تزوّجها عليّ**)[٤] بِوَحْي في السَّنة الثانية[٥] ، وقيل : بعد أُحُدٍ[٦] ، وبنى بها بعد تزوُّجها بتسْعةِ أشهُر وَنصْف[٧] ، وكان سنّهَا حينئذ : خمْسَ عَشرةَ[٨] سَنة وَخمْسةَ أشْهرٍ ونصْفٍ ، وقيل : نحوُ إحدى وَعشرينَ[٩] ، وقيل : غير ذلك ، وَسنّ عَليّ[١٠] : إحدى وعشرين سنة وأشهر ، وهي وأمّ كلثوم أفضل بَناته ، وكانت فاطمة رضي الله عنها أحبَّ أهْلهِ إلى رسول الله ﷺ ، وكان يقبِّلهَا في فيها ، ويُمصُّها لسانَه .

(**وَكلهُنّ مِنْ خَديجة**) تكرار (**وَمُتن قَبْله ﷺ إلاّ فاطمة رضي الله عنها فأنها مَاتت بعد رسول الله**) ﷺ (**بأربعين لَيْلةً ، وَفي رِوَايَةٍ :**) أنها تُوفيت بعده في رَمضانَ

جلس ﷺ على القبر وعيناه تذرفان وقال : « هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ ؟ » فقال أبو طلحة : أنا ، فقال : « انْزِلْ قَبْرها » فنزَل . « مواهب : ٢/٦٣ » .

(١) أي : قطعها .
(٢) أي : بتَلهُ يَبْتُلُهُ قَطعَهُ ، والبَتول : المنقَطِعةُ عن الرِّجالِ . (قاموس) .
(٣) لانقطاعها - أي : علوّ درجتها عنهنّ . منه .
(٤) رضي الله تعالى عنه .
(٥) في السنة الثانية - من الهجرة .
(٦) بعد أُحُد - أي : في السنة الثالثة .
(٧) وقيل : بسبعة أشهر ونصف . *
(٨) أي : على القول الأول في ولادتها . منه .
(٩) إحدى وعشرين - أي : على القول الثاني .
(١٠) رضي الله تعالى عنه .

ستة أشهر .

سَنة إحدى عَشرة ، فبيْنهمَا نحو (**ستّةِ أشهُرٍ**) وسِنُّها تسْعُ[١] وَعشْرون سَنة ، وَدَفنهَا عليٌّ ﷺ لَيْلا بوَصيّة مِنها ، وَاختُلف في مَحلّ قبْرهَا ، وَالأشهَر : أنها في قُبَّة وَلَدِهَا الحَسَن[٢] قُرْب مِحْرابهَا ، وكان القطبُ أبو العبّاس المرسيّ[٣] يَجْزِم بهذا ؛ فلَعلّه كُوشف بهِ .

اعلم : أنه لم يكُنْ لرسول الله ﷺ عَقِبٌ إلا مِن السّيدة فاطمة ﷺ ، فَانْتشر نَسْله ﷺ منْ جِهَة السِّبْطَيْن الحَسن وَالحُسَيْن ، وكان لها ابن يُسمّى : مُحسنا فمات صَغيرًا ، وَبنت تُسمّى : أمَّ كُلثوم فتَزوّجَتْ بعُمَرَ[٤] ولَمْ تُعقِبْ ، وأما بنتُهَا زَيْنب فلهَا عَقِب[٥] ، لكنْ لهُمْ شرَف دُون شرف المنسُوبَيْن للحَسن وَالحُسَيْن ، فبَاركَ الله تعالى في نَسْلهمَا ، فَرَضِيَ الله تعالى عنهما وعن ذُرّيتِهمَا ؛ آمين .

ثم اعلم : أن رسول الله ﷺ أمَرنا بِتَعْظيم ذُرّيتهِ المُطَهَّرة ، وَإكْرام نَسْلهِ الشَّريف ، أمْرًا مُؤكَّدًا حَيْثُ مَا وُجِدوا وكَيْف مَا وُجدوا ، فَالحذَر الحَذر عن إهانتهِمْ وَازْدرائهِمْ ، وَأحَاديث فضلهِمْ وآثارُ شَرَفهم كثيرةٌ مُسْتَوْعَبة في كتاب « الصَّوَاعق »[٦] ، فارجع إليه فهو كتاب لا يسْتغنى عنه طالب الحقّ .

---

(١) أي : على القول الثاني .

(٢) أي : في البقيع .

(٣) هو : أحمد بن عمر بن محمد ، الشيخ الإمام العالم ، الزاهد الكبير ، العارف بالله ، شهاب الدين أبو العباس الأنصاري المرسي السكندري المالكي ، وارث شيخه أبي الحسن الشاذلي تصوفا ، الأشعري معتقدا . يتصل نسبه الشريف بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري ، كان جده الأعلى قيس بن سعد أميرا على مصر من قبل سيدنا الإمام علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ . صاحبه الكثير من علماء عصره كالإمام البوصيري ، وابن عطاء الله السكندري ، وياقوت العرش ، والعز بن عبد السلام وغيرهم . ولد سنة ٦١٦ هـ في مدينة مرسية بالأندلس ، وتوفي سنة ٦٨٦ هـ في الإسكندرية .

(٤) بن الخطاب ﷺ . *

(٥) أي : عَلي وأمّ كلثوم . *

(٦) وهو كتاب « الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة » ، لابن حجر الهيتمي .

فصل في بيان قريش

اعلم : أنه يجب على كل مكلف أن يعرف كونه من قريش ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ قَسَّمَ النَّاسَ عَلَى قِسْمَيْنِ ، فَقَسَمَ الْعَرَبَ قِسْمًا ، وَقَسَمَ الْعَجَمَ قِسْمًا ، وَكَانَتْ خِيرَةُ اللهِ فِي الْعَرَبِ ، ثُمَّ قَسَّمَ الْعَرَبَ عَلَى أَقْسَامٍ ، فَقِسْمُ الْيَمَنُ ، وَقِسْمُ مُضَرُ ، وَقِسْمُ قُرَيْشُ ، وَكَانَتْ خِيرَةُ اللهِ تَعَالَى فِي قُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي مِنْ خَيْرِ مَنْ أَنَا مِنْهُمْ » ،

فصل

(في بيان) اخْتيَار (قُرَيْش) وَبيَانِ اخْتيَاره

وَكَوْنِه ﷺ مِنْهُمْ ، وَهُمْ أَوْلادُ النضر عند الأكثرين ؛ وقد تقدّم الخلافُ . وَقُريش : لفظ منقول مِن تصْغير قرش – وهي دَابّة عَظيمة في البَحْر ، تَعْبُثُ مَنْ بالسُّفُن وَلا تُطاق إلا بالنار ، فشُبِّهُوا بها ؛ لأنها تأكل وَلا تُؤْكل ، وتَعْلُو ولا تُعْلَى ، وَصُغِّر للتّعْظيم .

(**اعلم : أنه يجب على كل مُكلّفٍ أنْ يَعرِف كونه**[1] **مِن**) قَبيلَة (**قريش**) ودَليل كونه منهم ما روي (**عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ تَعَالَى حِينَ خَلَقَ الخَلْقَ** ») أي : المخلوقات (« **قَسَّمَ النَّاسَ عَلَى قِسْمَيْنِ ، فَقَسَمَ** ») أي : جَعَل لقوله : قسمًا (« **العَرَبَ قِسْمًا ، وَقَسَمَ العَجمَ قِسْمًا ، وَكَانَتْ خِيرَةُ اللهِ** ») أي : خَيْرُهُ وَاخْتيارُه (« **فِي العَرَبِ** ») فجنسهُمْ أفضل مِنْ جنس العَجم[2] (« **ثُمَّ قَسَّمَ العَرَبَ عَلَى أَقْسَام ، فَقِسْمٌ** ») وَاحد (« **اليَمَنُ** ») أي : وُلْدُ قَحْطان (« **وَقِسْمٌ** ») ثانٍ (« **مُضَرُ** ») مِنْ وُلْد عَدْنان (« **وَقِسْمٌ** ») ثالثٌ (« **قُرَيْشُ ، وَكَانَتْ خِيرَةُ**[3] **اللهِ تَعَالَى فِي قُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي مِنْ خَيْرِ مَنْ أَنَا مِنْهُمْ** »)

---

(١) كونه – صلى الله عليه وسلم .
(٢) أفضل من جنس العجم – لا كلّ فرد من كل فرد . منه .
(٣) أي : اصطفاه .

رواه الطبراني في « الأوسط » .

وقال : حديث صحيح ، ويشهد لصحة هذا الحديث حديث ابن عمر وأبي هريرة ، . . . .

أي : مِنْ بَني هَاشم الذين هم مِن قريش الذين أنا منهم ، فهو[١] مُخْتارٌ مِنْ خِيارٍ[٢] مِنْ خيارٍ[٣] مِنْ خيارٍ[٤] (رَواهُ الطَّبَرَاني) - بفتح الموَحَّدَة - نسبة إلى طَبَرِيَّة مَدينة بِالأُرْدُن ، على غير قياسٍ ، لِيُفْرَق بين مَنْ يُنسَبُ إليها وإلى طَبَرِسْتَان[٥] ، وهو : أبو القاسِم سليمان حافظ عَصْرهِ[٦] ، صَنَّف التصانيفَ ، وجمَع شيوخَه في « مُعْجَمِه » فبَلغُوا ألْفَ شَيْخ (في) « المعجم (الأوسط ») وله مُعْجَمان آخَران : كبيرٌ وصغير ، « والمعجم الأوسط » - هو الكتاب الذي صحح فيه أسماءَ شُيُوخه ، وذكر فيه أحْوالَهُمْ : مِن مَوَاليدهِمْ ووَفاتِهم وفَوائدهِمْ ، وكان يقول : هذا الكتابَ رُوحِي .

(وقال :) هو (حديث صحيح ، ويَشهدُ لصحّة هذا الحديث) المذكور (حديث ابن عمر وأبي هريرة) ولعَلّ عدَمَ بَيانهِ[٧] له لِشُهْرتهِ عنده وإن لم أظفَرْ به

---

(١) فهو - صلى الله عليه وسلم .
(٢) من خيار - بني هاشم .
(٣) من خيار - قريش .
(٤) من خيار - عرب .
(٥) هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، الإمام ، المجتهد ، المؤرخ ، المفسر أبو جعفر الطبري ، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال ، ولقي نبلاء الرجال ، وكان من أفراد الدهر علما وذكاءً ، وكثرة تصانيف . من أشهر كتبه : « أخبار الرسل والملوك » ، « جامع البيان في تفسير القرآن » ، « اختلاف الفقهاء » . ولد سنة ٢٢٤ هـ في آمل طبرستان ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ في بغداد .
(٦) هو : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم ، من كبار المحدثين ، أصله من طبرية الشام ، وإليها نسبته . رحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة . من تصانيفه : « دلائل النبوة » ، « الأوائل » ، « التفسير » المشهور بـ« تفسير الطبراني » ، له ثلاثة « معاجم » . ولد سنة ٢٦٠ هـ بعكا بفلسطين ، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ .
(٧) أي : - مصنف .

وحديث واثلة ابن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » ، وهذا صحيح ، أخرجه مسلم في « صحيحه » .

وروى أحمد بن حنبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، .

(**وحديث**) أبي الأَسْقع[1] (**وَاثِلَة**) – بثاء مثلّثة مكسورة ، كان مِن أهل الصُّفة ، خَدمَ النبيَّ ﷺ ثلاثَ سِنينَ ، ومات بالقُدس (**ابنِ الأسْقَع**) – بالقاف (**قال**) واثلة : (**قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله اصْطَفَى »**) أي : اخْتَارَ وَاستخلصَ (**« كِنَانَةَ »**) – بكسر الكاف – عدةُ قبائل ، أبوهم : كنانةُ بنُ خُزَيْمة (**« مِنْ بَنِي إِسْمَاعيلَ »**) ذَبيح الله على الأصح ابنِ إبراهيم خَليلِ الله (**« وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا »**) أي : بني النضر (**« وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**) فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ »[2] (**وهذا صحيح ، أخرجه**) أي : رَواه (**مُسْلم**[3] **في « صحيحه »**) وشُهْرته[4] هو وصحيحُه يُغْني عن تَعْريفهما .

(**وروى**) أيضا الإمام (**أحمدُ بنُ حَنْبَل**) ﷺ : (**أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ »**) وكانوا ثلاثة عشر (**« إِسْمَاعِيلَ »**) إذا كان نبيًّا ورسولا إلى جُرْهُم[5] وعَمالِيقَ[6] الحِجَازِ (**« وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ،**

---

(١) أبي الأسقع – بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح القاف وعين مهملة . منه .
(٢) الخيار : اسم من الاختيار . (لسان العرب) .
(٣) هو : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ، حافظ من أئمة المحدثين . رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق . من أشهر كتبه : « صحيح مسلم » ، جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمسة عشر سنة ، « المسند الكبير » ، « تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة » ، « كتاب أولاد الصحابة » . ولد سنة ٢٠٤ هـ بنيسابور ، وتوفي سنة ٢٦١ هـ بظاهر نيسابور .
(٤) ولو قال : وشهرتهما ؛ لكان أخصرَ . حاج شمس .
(٥) جُرْهُمٌ ، كقُنْفذ : حَيّ من اليمن ، تَزَوَّج فيهم إسماعيل عليه السلام . (قاموس) .
(٦) العَماليقُ والعَمالِقَةُ : قوم تَفرَّقوا في البلادِ من وَلد عِمْليقٍ ، كقِنْديلٍ أو قِرطاسٍ ، ابن لاوَذَ بنِ إرَمَ بنِ سامٍ بن نوح عليه السلام . (قاموس) .

وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » ، أخرجه الترمذي في « جامعه » .

وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ »[١] فهم أفضلُهُمْ وَأخيرُهُمْ (« **وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ** »)[٢] وَالخيريةُ في هذه القَبائِل ليس باعتبار الدِّيَانة ؛ بل باعتبار الخِصال الحَميدَة ، وَمِنْ ثَمّ لا يكون غيْرُ قريشٍ كفؤا لهم ، ولا غيْرُ بني هاشم كفؤا لهم (**أخرجه**) أبو عيسى محمد (**الترمذي**) – بكسر المثنّاة فَوْق والميم وبضمّهمَا وَبفتح المثنّاةِ وكسر الميم ، والمستفيض كسْرُهُمَا – وهي مدينة على طَرَف نَهْر بَلْخ الذي يقال له : جَيْحُون ، وكان أبو عيسى[٣] رضي الله عنه ضريرًا[٤] يُضرب به المَثَلُ في الحِفْظ (**في « جَامعِه »**)[٥] أي : كتابه الذي جمَع الأحاديثَ ، وهو مِنَ الكُتب السِّتة المشهورة بالصحة ، والبواقي : جَوَامعُ « البخاري » وَ« مُسْلم » وَ« أبي دَاوُد » وَ« النَّسَائي » وَ« ابن مَاجه » رضي الله عنهم .

وروى الترمذي أيضا : « إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ » جمعُ فرْقة أي : أشرفِهَا « ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ » أي : اختار خيارَهُمْ فَضْلاً « فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ » مِنَ العَرب أي : قدَّر إيجَادي في خيرِهَا قبيلة ، « ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ » أي : اختَارَهُمْ شَرفًا « فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ »

---

(١) أي : « فأنا خيارٌ من خيار » – (بني هاشم) ، من خيار – (قريش) ، من خيار – (كنانة) ، من خيار – (ولد إسماعيل) ، من خيار (ولد إبراهيم) . منه .

(٢) عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله اصْطَفَى مِنْ وَلَد إبْرَاهِيمَ إسْماعِيلَ ، واصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إسْماعِيلَ بَنِي كِنانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . أخرجه الترمذي في « سننه » في المناقب ، باب : في فضل النبي ﷺ .

(٣) هو : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي البوغي الترمذي ، أبو عيسى ، من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، من أهل ترمذ على نهر جيحون . تتلمذ للبخاري ، وشاركه في بعض شيوخه ، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز ، وعمي في آخر عمره ، وكان يضرب به المثل في الحفظ . من تصانيفه ، « الجامع الكبير » ، « الشمائل المحمدية » ، « التاريخ » . ولد سنة ٢٠٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ بترمذ .

(٤) أي : ذاهب البصر . منه .

(٥) وهو كتاب « سنن الترمذي = الجامع الصحيح » ، لمحمد بن عيسى الترمذي .

. . . .

أي : أشرفِهَا ، « فَأَنَا » بِفَضْل الله تعالى « خَيْرُهُمْ نَفْسًا » أي : رُوحًا وَذاتًا « وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا »[١] أي : أصْلا ؛ أي : جِئتُ مِنْ طيِّبٍ إلى طيّبٍ إلى صُلْب عبد الله بِنِكاح لا سَفاح[٢] . قال في « البَدْر المُنير »[٣] : ولم يُرْدِفْه بقوله : « وَلاَ فَخْرَ » كما في « أنَا سَيِّدُ » اهـ ، لأن هذا بحَسَبِ حَالِ المُخَاطَبين في صَفاء قُلوبهم بما يعْلمُهُ مِنْ حَالِهِمْ ؛ انتهى .

(١) قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَجَعَلَني مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ ، وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَني مِنْ خَيْرِ الْقَبِيلَةِ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا » . *

(٢) واعلم : أن آدم أولدَ حواء أربعين ولدًا في عشرين بطنًا ، إلا شِيثًا وصيه فإنه وُلِدَ منفردًا كرامة لكون نبينا ﷺ من نسله ، ثم لما توفي وصى بنيه بوصية أبيه له : أن لا يضع هذا النور – أي : الذي كان بجبهة آدم ثم انتقل إلى شيث – إلا في المطهرات من النساء ، ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الخالية إلى أن وصل ذلك النور إلى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله ، وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث . « منح : صـ ٩٩ » . *

(٣) وهو كتاب « البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير » ، لعبد الوهاب الشعراني .

فصل في حب العرب

أخبرنا الهيثم بن حماز عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّ قُرَيْشٍ إيمَانٌ ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ، مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَ العَرَبَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي » ، أخرجه الحاكم في « المستدرك » ، . . .

فصل

(في حُبِّ) قريش وحبِّ (العَرَبِ

أَخْبَرنا[1] الهَيْثَم) بِوَزْن حَيْدَر كما في « القاموس » (بن حِماز) ككِتاب كما فيه أيضا (عن ثابت عن أنس) – صُحْبتهُ وخِدْمتُه للنبيّ ﷺ مَشْهُورة – (قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبُّ قُرَيْشٍ إيمانٌ وَبُغْضُهُمْ ») أي : كَراهَتهُمْ (« كُفْرٌ ، مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَض العَرَبَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي »)[2] أي : إذا أحبَّهم إنسَان كان حُبُّهم آيةُ[3] إيمانه ، وإذا أبغضَهُمْ كان بغْضهُمْ آيةُ كُفْره ؛ لأن هذا الدِّينَ نشأ منهم ، وكان قِيامُه بسُيوفهمْ وَهِمَمِهِمْ ، والظاهرُ[4] من حال مَنْ أبغضهُمْ : إنما أبغضَهم لذلك وهو كُفْر[5] ، ولأن مِنْ عَلامَة صِدْق الحُبِّ حُبَّ كلِّ ما يُنْسب إلى المحبُوب ، فإن مَنْ يُحبّ إنسانا يحبُّ كَلْبَ مَحَلّته ، فالمحبّة إذا قُوِيَتْ ؛ نَفَذَتْ مِنَ المَحْبُوب إلى كل ما يَكتنِف به ويُحيط به ويتعلّق بأسبابه (أخرجه الحاكم في « المُسْتَدْرَك »)[6] – بفتح الراء – سمّي[7] ؛ لأنه اسْتدرَك فيه

---

(١) قوله : أخبرنا اهـ عجيب ؛ لأنه يوهم أن المصنف من تابعي التابعين ، (اللهم ؛ إلا أن يقال أراد حكاية ما في « المستدرك » من الإسناد ، والله أعلم) مع أنه نقل عن اللقاني فيما يأتي ، مع أنه بعد تسعمائة ، والله أعلم . (لكنّه بَعيد ، ومثل هذا الخلل كثير في كلام المصنف ، فاعْتبره) . منه .

(٢) قال في « الأزهار » : في حديث « تُبْغِضُ العَرَبَ فَتُبْغِضُنِي » فيه أن بغض العَرب حرام ، والمراد : المُسلمون منهم ؛ بلا سبب شرعيّ يقتَضيه ، والظن : أنه أراد بهم : الصحابة . منه .

(٣) أي : علامة . منه .

(٤) والظاهر – حال .

(٥) أي : بُغْض مقيمي الدين .

(٦) وهو كتاب « المستدرك على الصحيحين » ، للحاكم النيسابوري .

(٧) أي : الصحيح مستدركا .

وقال : حسن صحيح ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رويناه في « المعجم الكبير » للطبراني ، حدثنا جرير عن عطاء عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلاثٍ : لِأَنِّي عَرَبِيٌّ ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ ، وَكَلامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ » ، . . . .

الزائدَ على « الصحيحين »[١] مِن[٢] الصحيح (**وقال :**) هو (**حسن صحيح**) لكنْ في « الجامع الصَّغير »[٣] زيادة : « وَحُبُّ العَرَبِ إيمَانٌ ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ » قَبْل قوله : « مَنْ أَحَبَّ » اهـ (**وله**) أي : لهذا الحديث (**شاهدٌ**) وإنما احْتاجَ إلى الشاهد ؛ لأنهم قالوا : إن رَاويَ الحديث الهَيْثَم مَتْرُوك ومُضعَّفٌ (**مِنْ حديث ابن عمر** رضي الله عنهما **رُوِّيناهُ**) – بضم الراء وكسر الواو المُشدَّدة – أي : نَقَل المشائخ لنا ، أو – بفَتح الراءِ أو ضمّهَا مع تخفيف الواوِ – مَعْلوما أو مجهولا أي : نقل إلينا (**في « المُعْجَم الكبير »**)[٤] الذي صُنّفَ في أسماء الصحابة ، قيل : أوْرد فيه سِتِّين أَلْفَ حديث الكائنِ (**للطبراني ، حدّثنا**) هو كأنْبأنا بمعنى أخبرنا عند الأكثر ، وفرّق بَعْضٌ بينها وليس هذا محلَّ ذكره (**جَرير عن عَطاء**) هو : التابعي الكبير تلميذ ابن عباس ، وكان فراشهُ المسجدَ عِشْرين سَنَةً ، وحج سَبْعينَ حجّةً ؛ وله مناقب أُخَر (**عن ابن عباس**) سيأتي مناقبهما رضي الله عنهما : (**أن النبي** صلى الله عليه وسلم **قال : « أَحِبُّوا »**) – بفتح الهمزة وكسر المُهْملة – أمرًا لهم ، وفي رواية : أُحِبّ – بضمّ الهمزة وكسر الحاء – على صِيغة الحكاية (**« العَرَبَ »**) – بالتحْريك – خلافُ العَجم (**« لِثَلاثٍ » :**) أي : لأَجْل ثلاث ؛ امْتازَتْ بها (**« لِأَنِّي عَرَبِيٌّ ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ »**) قال : ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٥] (**« وَكَلامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ »**) أي : تَحاوُرَهم فيما بينهم في الجنة (**« عَرَبِيٌّ »**) .

---

(١) للشيخين .

(٢) أي : من الحديث .

(٣) وهو كتاب « الجامع الصغير من حديث البشير النذير » ، لجلال الدين السيوطي .

(٤) وهو كتاب « المعجم الكبير » ، لسليمان الطبراني .

(٥) سورة الشعراء : الآيات ١٩٤/١٩٥ .

هكذا رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ، ورواه الحاكم في « المستدرك » بعينه .

وقَدْ كان سيّدُنا آدمُ عليه السلام لا يَتكلّم فيها إلا به ، فلما أُهْبط إلى الأرض تكلَّم بغيره . وهذه الجُمَلُ وَاردة مَوْردَ الحِثِّ على حُبِّ العَرب ، وهو مُقيَّد بحَيْثيّة كَوْنهِم عَرَبًا ، فقد يزداد الحُبُّ بحَسب مَراتبِ فَضْلهمْ ، ويزداد البُغْض بحَسب مَراتب فِسْقهِمْ ، فحبُّهُمْ مِنْ حَيْثُ تلك الخصالُ حُبٌّ للنبي ﷺ ، وبُغْضهُمْ مِن حيث الكُفْرُ وَالفسْقُ بُغْضٌ لأجْله ، فالحب والبُغْضُ في الله مِن شُعَبِ الإيمان ، وَالمُوفَّق مَنْ تَخلّقَ به (**هكذا رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ، ورواه الحاكمُ في « المستدرك » بعينه**) وقال : هو صحيحٌ .

فصل في أول علامة نبوته

وهي : الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا ظهرت مثل نور الشمس ، وكان النبي يأتي حراء فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ؛ . . . .

فصل

(في أوَّل عَلامةِ نُبوَّتهِ) ﷺ

(**وهي**) أي : أوّلُ العَلامَاتِ الكثيرَة : (**الرُّؤيا**)[١] يقال : رَأى في مَنامهِ رُؤْيَا – بلا تَنْوين – على وَزْن فُعْلَى كحُبْلَى (**الصادقَةُ**) وابتدأ بها ؛ لأن المَلَك لو جائه بُغتةً لم تَحتمِلْهُ قُواهُ البشريّة (**فكان**) ﷺ (**لا يرى رُؤيا إلا ظهرَتْ**) وصدقَتْ (**مثلَ نُور الشمْسِ**) أي : يتحقق تَعْبيرُ رُؤْياه كما يَتحقّقُ نُورُ الشمس بلا خَفاء (**و**)لما أراد الله تعالى بعْثتَهُ على رأس أربعينَ سنةً (**كان النبي**) ﷺ يَتحبّب إليه الخَلاءُ وَالعُزْلَةُ ، وكان (**يَأتي**) ويخلو بغارِ (**حِراء**) – بكسر الحاء المهملة وبالمدّ[٢] – جَبَل[٣] ؛ بَيْنه وبين مكةَ ثلاثةُ أمْيال ، وهو المشهور الآن بجَبَلِ النُّور ، يُزارُ وَيُتبرّكُ به (**فيتعبّدُ فيه**) أي : يَفعَل العِبادةَ أي : الذكرَ والفكرَ ؛ لأن الجمهور على أنه لم يَتعبّد بِشَرْع مَنْ قَبْله[٤] ، ومعنى : ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٥] أي : في التوحيد (**الليالي**)[٦] – منصوب على الظرْف – جمع لَيْل ، وأصْلها : ليال ، فزَادُوا فيها الياءَ على غير قياسٍ (**الكثيرةَ**) أي : نحوَ شهر ، وإذا انصَرف يَطُوف بالكَعْبةِ (**ثم يَرْجع إلى خديجَةَ فَيتزوّدُ**) أي : يأخُذ الزّادَ ، وهو : الطعام الذي يَسْتَصْحبُه المُسَافرُ (**لمثلِهَا**)

---

(١) الرؤيا – مقصورة مهموزة ، ويجوز ترك همزها كنظائرها . « شرح مسلم » .
(٢) بالمدّ والقصر . « إنسان : ٣٣٨/١ » .
(٣) وهذا الجبَل هو الذي نادى رسولَ الله ﷺ بقوله : إليَّ يا رسول الله ، لما قال له ثَبير وهو على ظهره : اهْبِط عنِّي ، فإنِّي أخاف أن تُقْتَل على ظَهْري فأعَذَّبُ . « إنسان : ٣٣٨/١ » .
(٤) واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله ؟ والجمهور لا ، وإلا لنقل ، ولأنه لو تعبد بشرع أحد لظن أنه من أتباعه . « منح : صـ ١٥٣ » . *
(٥) سورة النحل : الآية ١٢٣ .
(٦) الليالي – أي : مع أيامها ، وإنما غلب الليالي ؛ لأنها أنسب بالخلوة . « إنسان : ٣٣٨/١ » .

حتى جاءه الحق أي : جبرائيل ، وهو بغار حراء ، فلما قال له : اقرأ ، قال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » ؛ لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فغطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله وقال له : اقرأ ، قال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » ، فغطه ، ثم أرسله كذلك وقال له : اقرأ ، قال : « مَا أنَا بِقَارِئٍ » ، فغطه ، وأرسله كذلك ثم قال له : . . . . . .

أي : لمثل تلك الليالي (**حتى جاءه الحقُّ أي : جبرائيلُ وهو بغارِ حِراء**) ولم يكن جِوَارُ رسول الله ﷺ به لطلب النبوّة ؛ لأنها مَوْهبة منَ الله تعالى لا تُنال بالكسْب ، بل لجمع الفكرِ وَالتجنُّب عن مخالطة البَشَرِ والأُنْس بالله تعالى لِما غَشيهُ مِن نُور النبوة ، وهذا مُسْتَند أرباب السُّلُوكِ في الخلوَة والعُزْلة (**فلما** جاءه المَلَكُ[١] (**قال له : اقرأ ، قال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ »**) أي : لَسْتُ بقَارئ ، قاله امتناعا (**لأنه كان أمِّيا**) أي : (**لا يقرأ**) المكتُوبَ (**ولا يكتبَ**) الشيء (**فغطَّهُ**) - بالغَيْن المُعْجمة وَالطاء المُهْملة المُشدَّدة - أي : عَصَّرهُ ، إنما فَعل ذلك ليخْشعَ قلبُه ويحفظَ ما يقوله (**حَتَّى بَلغ منه**) أي : منَ الغطّ (**الجَهدَ**) - بفتح الجيم وضمّها وَنصب الدال ورَفعها - ومعناهُ : الغاية في المشَقّة ، فعَلَى الرّفْع معناه : بَلغ الجُهْدُ مَبْلَغهُ فحُذف ، وعلى النَّصْب معناه : بَلغ الملكُ الجهْدَ ، وَالأَجْودُ - ضمُّ الجيم ورَفْع الدال (**ثم أرْسَلهُ**) أي : أطلقَهُ (**وقال له : اقرأ ، قال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ »**) قاله اخبَارًا بالواقع (**فغطَّه ثم أرسَله كذلك وقال له : اقرأ ، قال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ »**) أي : مَا الذي أقْرؤهُ ؟ (**فغطّهُ وأرسَله كذلك**) وَحكمةُ تكرير الغَطِّ : مزيدُ التّأهُّلِ لِمَا يُلقى إليه[٢] (**ثم قال له :**

---

(١) قال أهل التواريخ والسير : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ليلة السبت ، ثم ليلة الأحد ، وخاطبه بالرسالة يوم الإثنين لثمان أو لعشر خلون من ربيع الأول ، بعد بنيان قريش الكعبة بخمس سنين ، وبعد قتل كسرى النعمان بن المنذر بسبعة أشهر ، وقيل : كان ذلك في رمضان ، ولم يذكر ابن إسحاق غيره ، وذلك لستة آلاف سنة ومئة سنة وثلاث وعشرين سنة من هبوط آدم ، ذكره المسعودي . « بهجة المحافل : صـ ٧٧ » . ※

(٢) وذكر السهيلي أن في ذلك : أي : الغط ثلاثاً إشارة إلى أنه ﷺ يحصل له شدائد ثلاث ، ثم يحصل له الفرج بعد ذلك ، فكانت الأولى : إدخال قريش له ﷺ الشعب والتضييق عليه . والثانية : اتفاقهم على الاجتماع على قتله ﷺ . والثالثة : خروجه من أحب البلاد إليه . « إنسان : ٣٤٦/١ » . ※

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

فرجع بها حتى دخل على خديجة فقال : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » فزملوه . . .

﴿ اقْرَأْ ﴾) أي : القرآنَ ؛ حُذف للعِلْم به (﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾) أي : مُفْتتحا به (﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾) أي : كلَّ شيء ، ثم أفردَ ما هو أشرف وَأظْهرُ صُنْعًا (﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾) جَمْعُ علقَة ، وهي : القِطْعة اليَسِيرةُ مِن الدَّم الغَليظِ ، وجمعه[1] ؛ لأن الإنسان[2] في معنى الجَمْع (حتى بلغ : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾)[3] أي : أنْهاهُ الملَكُ إلى قوله تعالى : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، ولا بأس بأن نُفسِّرَ المَطْوِيَّ هنا أي : ﴿ اقْرَأْ ﴾ تكريرٌ للمبَالَغة ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الزائد في الكُرْم على كل كريم ؛ بل هو الكريمُ وَحْده على الحقيقة ، ﴿ الَّذِي عَلَّمَ ﴾ أي : الخطَّ ، ويَتعلّق به قوله : ﴿ بِالْقَلَمِ ﴾ وخَصّ التّعْليمَ بالخطِّ لشَرفِه ؛ لأن به يَبْقى الشرعُ مَدَى الدُّهور ولا يَخفى سَائرُ فوائدهِ في العُصور ، ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أي : بخَلقِ القُوَى وَنصْب الدلائلِ وإنْزال الآياتِ أي : فيُعلِّمك القراءة وإنْ لم تكن قارئا ، ولما كان أول الواجبات مَعْرفةُ اللهِ تعالى ؛ نَزل أولاً ما يَدُلّ على وُجُوده تعالى وفرَطِ قُدْرتهِ وَحكمتهِ من إخراج الإنسان مِن أخسِّ المراتب وأدْناها التي هي : العَلقةُ المُسْتقذَرَة ؛ إلى أعلاها وَأشرفِهَا الذي هو : العِلْمُ بحَقائق الأشياء تقريرا لربُوبيّته وتَحْقيقًا لأكرميَّته ، ليتأمّلَ الإنسانُ في إنعاماته التي لا تُحْصى وإكراماتِهِ التي لا تُسْتقصَى .

(فرجعَ) وهو يَرْتعدُ فُؤادُهُ خَوفا مِن هَيْبة الوَحْي ، وَشفْقا مِن أنه يَعْرِض له مَسُّ الجنِّ (بها) أي : بتلك الآياتِ (حتى دَخل على) زَوْجتهِ (خديجة) رضي الله عنها (فقال : « زَمِّلُونِي ») أي : أَستِرُوني بلَفِّ الثَّوب ؛ لأن الخائف إذا غُطِّيَ بثوْب تُجمعُ حَواسُّه ويَزُول عنه ذلك الاضْطرابُ (« زَمِّلُونِي ») تَأكيدٌ (فزَمّلُوه) أي : زمّلَتْه خديجةُ ، والجمعُ : بالواو – على عَادة الناسِ ،

---

(١) وجمعه – مبتدأ . وجمعه : لفظ علقة .
(٢) لأن الإنسان - خبر .
(٣) سورة العلق : الآيات ١–٥ .

حتى ذهب عنه الروع ، فقال : « يَا خَدِيجَةُ ؛ مَا لِي ؟ ! » وأخبرها الخبر ، ثم قال : « قَدْ خَشِيتُ » أن لا أقدر على حمل أعباء الرسالة أو يقتلني قومي ، فقالت له : كلا ، أبشر ؛ والله لا يخزيك الله تعالى أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، . . . .

كما قال موسى عليه السلام لأهله : امْكُثُوا (**حتى ذهب عنه الرَّوْعُ**) - بفتح الراء - الفَزعُ وَالخَوفُ (**فقال : « يَا خَدِيجَةُ ؛ مَا لِي**[1] **؟! » وأخبرَهَا الخبَر ، ثمّ قال : « قَدْ خَشِيتُ » أَنْ لاَ أَقْدِرَ**) لو قال : أي : أن لا أقْدرَ لكان أوْلى ؛ لأن لَفْظ الحديث هُوَ : « خَشِيتُ »[2] ، وإنهم اختلفوا في مَعْناه[3] فبَعْضهُمْ فَسَّره بقوله : أي : قَبْل أن يحْصُل لي العِلْم الضروريُّ بأنّ الجَائيَ جبرائيل عليه السلام ، وبَعضهُمْ فَسَّره بما فَسَّر به المُصنف ، ولكن المصنف رحمه الله لا يمْشي على لَفْظ الحديث[4] ؛ بل يرويه بالمعنى تَسْهيلا للصِّبْيان كما هو وَضْعهُ (**على حَمْل أعْبَاء الرّسالة**) جمْعُ عِبْءٍ - بالكسر - أي : ثِقَلٍ (**أو يقتُلَني قَوْمي**) ولا عجَبَ فإنه بَشرٌ يَعْرض له عَوارِضُهم[5] (**فقالت**) خَديجةُ (**له : كَلاَّ**) رَدْعٌ أي : امتَنعْ عن هذا الكلامِ وَ(**أَبْشِرْ**) أمْر مِن الإبشارِ (**وَالله لا يُخزيكَ الله تعالى**) - بضمّ الياء والخاء المُعْجمة - مِنَ الخِزْي ، وهي الفَضيحةُ ، أو - بفتح أوله والحاء المُهْملة وَالزاي المَضْمومة وَالنون - مِنَ الحُزْن[6] (**أبدًا**) منصوب على الظرف (**إنّك**) - بكسر الهمزة على الابتداءِ (**لَتصِلُ الرّحِمَ**) أي : تُحْسِنُ إلى قرَابتِك ، والرَّحِم - بكسر الحاءِ - كما في « القاموس » ، القرابة وَصِلة الرحم تكون : تارة بالمَال ، وتارةً بالخدمة ، وتارةً بالزيارَة على حَسَب حال الوَاصِل وَالموصُول (**وَتصْدُق الحَديثَ**) في « القاموس » : صَدَق في الحَدِيثِ ، وصَدَق الحديثَ ،

---

(١) ما لي - استفهام .
(٢) لأن لفظ الحديث هُوَ : « خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » . *
(٣) اختلفوا في معناه - على اثني عشر قولا . « إنسان : ٣٤٨/١ » .
(٤) أي : في هذا الكتاب .
(٥) من الخوف والمرض وغيرهما . منه .
(٦) وحَزنَه الأمر حُزنا ؛ بالضم ، وأحْزَنَهُ . وعامُ الحُزْن : السنة التي ماتت فيه خديجة رضي الله عنها ، وأبو طالب . (قاموس) .

وتعين الضعيف على نوائب الحق .

ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، وهو ممن تنصر من العرب وعرف الإنجيل ، فقالت له : اسمع من ابن أخيك ، . .

وفي كُتب الحديث زِيَادَة : وتَحمل الكَلَّ ، وهو : بفتح الكاف وَتشديد اللام - الشيء الثَّقيل ، والمراد هنا نحو : اليَتِيم ، ومَنْ لا قُدْرَة له أي : تُنْفق عليهم وَتُعِينُهم ، وتُكسِب[1] المَعْدومَ[2] ، وفي رواية : المُعْدِمَ أي : الفقيرَ ؛ أي : تُعطي المالَ للفَقير ، وتَقْري الضيفَ - بفتح التاء - من قَريتَ الضيفَ أي : أكْرمتَهُ (وَتُعين الضعِيفَ على نوائب الحقّ)[3] جمع نائبة ، وهي : الحادثَةُ أي : تَدْفع حَوادثَ الدّهْر مِنَ الفَقْر وَالخَوْف عنه ، والتقْيِيدُ بالحقّ ؛ لأنها قد تكون في الشرِّ .

وفي هذه القِصّة : مَدْح الإنسان في وَجْهِهِ ، واستحبَابُ تَأنيس مَنْ نَزل به أمْرٌ ، وأن مَكارم الأخلاق سَبَبٌ للسَّلامة مِنْ مَصارع السُّوء ، وَأبْلَغُ دَلالةٍ على كَمال خديجةَ رضي الله عنها وَجَزالةِ رَأيها وقوّة نَفْسِهَا وَعِظَم فِقْهها .

(ثم انطلقَتْ) خَديجة (به) أي : معه (إلى ابن عَمِّها وَرَقة) - بفتح الراء - ابنِ نَوْفَل[4] أخو أبيها (وكان شيخا كبيرًا قد عَمِي ، وهو مِمّنْ تَنَصَّر) أي : صار نَصْرانيًا بعد ما كان مِن الأميّين (مِن العرب ، وعرَف الإنجيلَ) وكتبَ بالعربيّة[5] من الإنجيل ما شاء الله تعالى أن يكتُبَ ، وروي : أنه أسلم ؛ فإن صح كان أوّلَ مَنْ أسلم من الرجال (فقالت له : اسمعْ مِنْ ابن أخيكَ)[6] أي : قَرِيبِك ؛

---

(١) بضم التاء . « إنسان : ٣٤٧/١ » .

(٢) والمعدوم الذي لا مال له ؛ لأن مَنْ لا مال له كالمعدُوم أي : توصل إليه الخير الذي لا يجده عند غيرك . « إنسان : ٣٤٧/١ » .

(٣) « أبشر ، فوالله ؛ لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق » . « بهجة : صـ ٥٢٢ » . *

(٤) نَوْفَل - هو .

(٥) وفي « صحيح البخاري » : وكان يكتب الكتاب العِبْراني ، فيكتب مِن الإنجيل بالعِبْرَانية ما شاء الله تعالى أن يكتب . منه .

(٦) اسمع مِن ابن أخيك - أي : اسمع مِن ابن عَمّ . منه .

فأخبره النبي ما رأى ، فقال : هذا الناموس الذي أعرض على موسى ، يا ليتني فيها شابا لأبالغ في نصرتك إذ يخرجك قومك ، قال : « اَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ » قال : نعم .

أي : استَمِعْ لِمَا يخْبِرُه ، فقال وَرَقة : يا ابن أخي مَاذا تَرَى ؟ (**فأَخْبَرَه النبي**) ﷺ خَبَرَ (**مَا رأى ، فقال**) له وَرَقة : (**هذا**) أي : مَا رَأيتَه (**النامُوس**)[١] وهو : صَاحب الخَيْر كما إن الجاسُوس صاحب الشرّ ، في « القاموس » : النَّامُوس - صاحبُ السِّرّ المُطَّلعُ على بَاطن أمْرك ، أو صاحبُ سرّ الخير ، وجبرائيل ؛ انتهى (**الذي أعْرض**) أي : ظهر ، مِنْ عَرضتُ الشيْءَ فأعْرض مِنَ النَّوادر كَكَبَبْتُهُ فأكبَّ (**على مُوسَى**) ﷺ ، وَذِكرُ مُوسَى لا عِيسَى مع أنه[٢] نَصْرانيّ للتَّشْبيه بَيْنه ﷺ وبين موسى ﷺ في انْتقام الأعداء ، وقيل : غيرُ ذلك (**يَا**) للتّنْبيه (**لَيْتَنِي**) أكُون (**فيها**) أي : في مِلّتك (**شابًّا لِأُبالغَ في نُصْرتك إذ**) أي : حين (**يُخْرجُك قومُك ، قال : « أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ »**) استفهام والواو مَفْتُوح مَعْطُوف على مُقدّر مِثْل : أهُمْ مُعَادُون ومُخْرجُون إيّاىَ مِن مكة ؟ ! والياء مُشدّدة ، الأُولى للجَمع والثانيَة للمتكلّم ، وكُسِرت الجيمُ لأجْل الياء ، وهو خَبَرٌ ؛ وهُمْ مُبْتدأ ، كأنه ﷺ اسْتبعَدَ أن يُخْرجُوه مِن غير سَبَبٍ مع أنه لا يصْدُر منه إلا محاسنُ الأفعال المُوجبَة لإكرامه (**قال**) وَرَقة : (**نعمْ**) لَمْ يأت رَجُل قطُّ بِمِثْل مَا جِئْتَ به مِن الوحي إلا عُودِيَ[٣] ،

وقالت في حق النبي ﷺ اسمَع من ابن أخيك ؛ لأن والده عبد الله بن عبد المطلب ووَرَقَة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثيَّة في درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوقير لسنه ، وفيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول . « فتح الباري : ٣٨/٣ » .

(١) بالنون والسين . منه .

(٢) أي : ورقة .

(٣) أي : فتكون المعاداة سببا لإخراجه . وهذا يفيد بظاهره أن من تقدّم من الأنبياء أخرجوا من أماكنهم لمعاداة قومهم لهم ، وإلا فمجرد المعاداة لا يقتضي الإخراج ، فلا يحسن أن يكون علامة عليه ، وقد يؤيّد ذلك أن كل نبيّ إذا كذبه قومهُ خرج من بين أظهرهم إلى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت . وفي كونه ﷺ لم يقل شيئا في جواب قول ورَقة إنه يَكذبُ ويؤذي ويقاتل ، وقال في جواب قوله : إنه يخرج أو مخرجيّ هم ؟ استفهاما إنكاريًّا ، دليل على شدّة حُبّ الوطن وَعُسر مفارقته ، خصوصًا وذلك الوَطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه . « إنسان : ٣٤٧/١ » .

ثم قالت له : أتستطيع أن تخبرني إذا جائك ؟ قال : « نَعَمْ » ، . . . .

وَإنْ أدركتُ ذلك الزّمَانَ أنْصُرك نصرًا قويًا ، فلم يبق وَمَات قبل الإدْرَاك[1] . ثم فَتر الوَحْي[2] ثلاثَ سِنينَ – قرَنَ فيها بِنُبوَّته إسرافيل[3] ليذْهَب عنه ما وجَده مِنَ الرَّوْع وَليزيدَ تشوُّقه إلى العَوْد[4] – حتى حَزنَ النبي ﷺ حُزْنًا شديدًا صَعدَ بسَببهِ إلى رُؤوس الجِبال ليَرْمي نَفسَه ، فيظْهَرُ له جبرائيل عليه السلام فيقول : يا محمد ؛ إنك رَسُول الله حَقّا ، فيَسْكُن لذلك قَلبُه ، ثم نَزَل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[5] ، فكان في ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ : نبوّتُه وفي ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ : إرْسالهُ بالنَّذارة[6] وَالشَّرائع .

(**ثمّ**) أي : بَعْدَ هَذه القِصَّة (**قالتْ**) خَديجَة (**لَهُ : أتَسْتَطِيعُ أنْ تخبرَني**) بِهذا الذي يَأتِيكَ (**إذا جَائَكَ ؟ قال : « نَعَمْ »**) أَسْتَطِيعُ

(١) فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ رَأيْتُ الْقِسَّ » يعني ورقة « فِي الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ » أي : القس – بكسر القاف – رئيس النصارى . « إنسان : ١/٣٥٧ » . منه .

وكان أول مَن آمن به من الرجال الأحرار : أبو بكر الصديق ، عبد الله ابن عثمان ؛ أبي قحافة على المشهور . ومِن الصبيان : علي ابن أبي طالب ، وله عشر سنين أو ثمان سنين وهو الراجح ، وصح إسلامه ؛ لأن الأحكام كانت مَنُوطة في صدر الإسلام بالتمييز لا بالبلوغ . ومن النساء : خديجة بل هي أول من أسلمت مطلقا لم يتقدمها رجل ولا امرأة . ومن الموالي : زيد بن الحارثة . ومن العبيد : بلال المؤذن ، قال ابن الصلاح : هذا التفضيل هو الأورع ، لكن قال السراج البلقيني : أول من آمن من الرجال : ورقة بن نوفل لنزول الوحي في حياته على النبي ﷺ ، وإيمانه بالنبي وتصديقه برسالته أي : بعدها ، بناء على انهما متقارنان وهو الصحيح ، أو قبلها لعلمه من الكتب القديمة ، ومشى على ذلك جماعة ، وعده في الصحابة وهو المعتمد . ثم أسلم : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن العوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بدعاء أبي بكر ، هؤلاء الخمسة للإسلام ، وأقام ﷺ بمكة عشر سنين رسولا وثلاث عشر نبيا ورسولا على ما مرّ .

(٢) أي : تأخر مدته . منه .

(٣) عليه السلام .

(٤) وصح عن الشعبي : أنه ﷺ وكل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وكل به جبرائيل فجاءه بالقرآن . « منح : صـ ١٦٥ » . *

(٥) سورة المدثر : الآية ١ . أي : الملتفّ بثيابه . « إنسان : ١/٣٥٨ » .

(٦) بالنذارة - والبشارة .

وأوّل ما وجب : الإنذار والدعاء إلى التوحيد بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ اهـ . وفرض الله تعالى عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة ، وكان فرض قيام الليل والركعتين في الوقتين كفرضيّة الوضوء عقب الوحي قبل الفترة ، خلافا لظاهر كلام « المواهب » . منه .

فلما جائه جبرائيل عليه السلام أخبرها به ، فقالت له : اجلس على فخذي الأيسر ، ففعل ، فقالت : أتراه ؟ قال : « نَعَمْ » ، فعلى الأيمن ، ففعل ، فقالت : أتراه ؟ قال : « نَعَمْ » ، قالت : فاجلس في حجري ، ففعل ، فقالت أتراه ؟ قال : « نَعَمْ » ، فألقت خمارها ثم قالت : أتراه ؟ قال : « لا » ، قالت : إصبر وأبشر ؛ فوالله إنه لملك ؛ ما هذا بشيطان .

(**فلمّا جَائهُ جبرائيل** عليه السلام **أخْبرَها به ، فقالت له :**) أي : للنبيّ ﷺ (**اجْلِسْ على فَخْذي الأيْسَر ، ففعَل**) الجُلوسَ (**فقالت : أتراهُ ؟ قال : « نَعَمْ »**) أرَاهُ ، فقالت : (**فَعلى**) الفَخْذ (**الأيْمَن**[1] **، فَفَعَل ، فقالت : أتَراهُ ؟ قال : « نَعَمْ » ، قالت : فاجْلِسْ في حَجْري**) - بفتح أوله وكسره - ذَيْلُ الإنسان مِنْ مُقدَّمهِ (**ففعَل ، فقالت : أتراهُ ؟ قال : « نَعَم » ، فألْقَتْ خِمارَهَا**) أي : مَا يَسْتُر رَأسَها وَعُنقَها ، في « القاموس » : أن كُلّ ما سَتَر شيئا فهو خمارهُ ، أي : رمَتْ خديجة خمارها عن رأسِهَا لِتعْلَم أن هذا الذي عرضه هل هو مَلَك يَحْمِل الوَحْيَ ؛ أم هو الإغْماءُ الذي هو مِنْ بعض الأمراض اَلعَادِيَّة الجائزةِ على الأنبياءِ بخلاف الجنُون ؟ ! (**ثمّ قالت : أتراهُ ؟ قال : « لا » ، قالت : إصْبِرْ وأبشِرْ ، فوالله إنه لَمَلَكٌ ما هذا بشَيْطانٍ**) وعَلِمتْ ذلك لِما علِمَتْ مِنْ وَرَقة أو غيرِهِ : أن جبرائيل عليه السلام لا يَأتي محلاًّ فيه امرأةٌ مَكشُوفةُ الرَّأسِ ، وفي هذا يقول العارف البُوصيريّ نَفَعَنَا الله تعالى بأنْفاسِهِ في « هَمْزِيَّتِهِ » :

فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الخِمَارَ لِتَدْرِي ... أَهُوَ[2] الْوَحْيُ أَمْ هُوَ الإِغْمَاءُ

فاخْتَفَى[3] عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأسَ جِبْرِيـ ... ـلُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغِطَاءُ[4]

---

(١) أي : فاجلس على الأيمن . منه .
(٢) أهو أي : أهذا الذي عرض له ﷺ حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه . « منح : صـ ١٧٣ » .
(٣) بسبب إزالتها الخمار عن رأسها . « منح : صـ ١٧٤ » .
(٤) أي : إلى أن أعادت غطاء رأسها . « منح : صـ ١٧٤ » . منه .

ثم بعد ذلك بادر صلى الله عليه وسلم في امتثال أوامر الله تعالى ، وطاعته ، وعبادته ، . . . .

فَاسْتَبَانَتْ خَدِيجَةٌ أَنَّهُ الْكَنْـ ـزُ[١] الَّذِي حَاوَلَتْهُ[٢] وَالْكِيمِيَاءُ

استعارَ الكَنْز ، وهو : المَال المَدْفُون ، والكِيميَاء وهو : العِلم البَديعُ الذي يُقلِّبُ الأعيانَ الرّديئة إلى الأعيان النَّفيسَة للوَحْي ؛ لأن بهما تَحْصُل الذخائرُ النفيسَة المُنْتفَعُ بها حالا ومآلا ، كما أن الوَحْيَ كذلك .

(**ثم بعد ذلك**) المذكور (**بَادرَ ﷺ في امتثال[٣] أوامر الله تعالى وطاعتهِ وَعِبادته**) الطاعة غيرُ القُرْبَة والعِبادة ؛ لأنها امتثال الأمر والنهي ، والقُرْبَة : مَا تُقرّب به بِشَرْط مَعْرفة المُتقرَّب إليه ، والعِبادة : ما تُعبَّد به بِشَرْط النيّة وَمَعْرفة المَعبُودِ ، فالطاعَة : تُوجدُ بِدُونهما في النظر[٤] المُؤدّي إلى معرفة الله تعالى ؛ إذ مَعْرفتهُ إنما تحصُل بتَمام النظْر ، والقُربة : تُوجدُ بِدُون العبادة في القُرَبِ التي لا تَحْتاج إلى نيّة كالعِتْق وَالوقفِ وَقِرى[٥] الضَّيْف ، صرح بذلك شيخ الإسلام[٦] في « الأضْواء البَهْجَة »[٧] .

---

(١) أي : الشيء النفيس ، بل الذي لا أنفس منه . « منح : صـ ١٧٧ » .
(٢) أي : طالبته ، أي : خديجة .
(٣) أي : طاعة .
(٤) أي : الدليل .
(٥) أي : إكرام .
(٦) هو : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السُنَيْكي المصري الشافعي ، أبو يحيى ، شيخ الإسلام ، قاض ، مفسّر ، فقيه ، من حفاظ الحديث . نشأ فقيرا معدما ، قيل : كان يجوع في الجامع ، فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ فيغسلها ويأكلها . ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا ، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو : ثلاثة آلاف درهم ، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علما ومالا . وولاه السلطان قايتباي الجركسي قضاء القضاة ، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح . ولما ولي رأى من السلطان عدولا عن الحق في بعض أعماله ، فكتب إليه يزجره عن الظلم ، فعزله السلطان ، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي . له تصانيف كثيرة ، منها : « فتح الرحمن » ، « تحفة الباري على صحيح البخاري » ، « شرح إيساغوجي » ، « شرح ألفية العراقي » . ولد سنة ٨٢٣ هـ في سُنَيْكة بشرقية مصر ، وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ ، وتوفي سنة ٩٢٦ هـ ، ودفن قرب قبر الإمام الشافعي .
(٧) وهو كتاب « الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة » ، لزكريا الأنصاري .

ونهي عبادة الأصنام والأوثان ، ليلا ونهارا ؛ حتى بذل جهده وجده لهداية الناس إلى طريق مستقيم وإلى جنة نعيم .

ثم إنّ أوّلَ ما وَجبَ : الإنذارُ والدُّعَاءُ إلى التوحيد ، ثم فرضَ الله تعالى مِن قيام الليل ما ذكره أولَ سورة المُزمّل ، ثم نسَخه بما في آخرها ثم نسخه بإيجاب الصَّلوات الخمس لَيْلةَ الإسراء ، بِرُوحهِ وجَسَدهِ يَقْظةً مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصَى ، ثم إلى فَوقِ سَبْعِ سَموات ، فرأى رَبَّه تعالى بعَيْن رَأسهِ على الأصح[1] ، وأوْحَى إليه ما أوْحى ؛ فسَمع كلامَهُ ، فانصَرف في لَيلته ، فأخبَر بذلك قومَهُ فصدَّقهُ أبو بكر ، ولذلك سُمّي : الصدِّيقَ ، وسائر المؤمنين ، فحينئذ قام بالأمر بالإيمان بالله تعالى ، والدعوة إلى توحيده (**ونهي عِبادةِ الأصْنام والأوْثانِ**) هما بمعنى (**لَيْلا ونَهارا حتى بَذلَ جهْده وجِدَّهُ**) أي : أعْطى قُوَّتَه واجْتهَادَه ، ولم يُفرّطْ بالكَسْل وَالتَّواني (**لِهدَاية الناس إلى طريق مُسْتقيمٍ وإلى جَنّة نَعِيمٍ**)[2] .

---

(١) اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في أن نبينا ﷺ رأى ربه في هذا المقام الذي وصل إليه دون غيره من الخلق بعين رأسه ، أو بعين قلبه فقط ، والذي صح عن ابن عباس في رواية : « أنه رآه بعين بصره » . « منح : صـ ٢١٧-٢١٨ » . *

(٢) وقال مقاتل : كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام ، فاجْتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سُوءا ، فقال أبو طالب : حين تروح الإبل فإن حنت نَاقة إلى غير فصيلهَا دفعته إليكم . وقال :

والله لنْ يَصلُوا إليك بجمعهم . . . حَتى أوسَد في الترابِ دَفينًا
فأصْدَع بأمْرِك مَا عليك غضاضة . . . وَأبْشر وقر بذاك منك عُيونا
ودَعوتني وزعمْت أنك ناصِحي . . . ولقد صَدقت وكنت ثم أمينا
وعَرضْت دينًا لا محَالة إنه . . . منْ خيْر أدْيان البَريّة دِينَا
لوْلا المَلامَة أو حذارِي سبة . . . لوجَدْتني سمحا بذاك مُبينا .

(غضاضة أي : نقص) . « مواهب : ١/٢٢٣-٢٢٤ » .

. . . .

فكان يَطوف على الناس في مَنازلِهم يقول : « اعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » ، وَأبو لَهب عَمُّه ورَائَه يُحذّرُ منه حتى رَمَوْهُ[١] بالسِّحْر ، وَالشِّعر ، وَالكهَانَة[٢] ، وَالجنُون ، ثم أسْلم عَمُّه حمزةُ[٣] رضي الله عنه سَنة ستٍّ منَ النبوّة ، فعَزّ بهِ[٤] ، وكُفّت[٥] عنه قُرَيْشٌ قليلاً ، وأسلم عمر رضي الله عنه بَعْدَ إسلام حَمْزةَ بثلاثة أيّام فعزّ كثيرًا ، ثمّ هَاجر إلى المدينة وصَدّقهُ أهْلُها ، ثم أرسل البُعُوثَ والسَّرايَا وَغزَا بِنَفْسه وَالمُسْلمين ، ثم فتح مَكة شرّفهَا الله تعالى ، فتَمّ أمرهُ وَكمَّل دِينَهُ ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ، فسُبْحان الذي أكرم نَبيَّه بما لا يَبْلُغُه الوَهْمُ وَلا يُحيط به الفَهْمُ .

---

(١) أي : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) أي : ينظر إلى الكتف . منه .

(٣) وقال حمزة رضي الله عنه حينَ أسلم :

حَمِدْتُ الله حين هدى فؤادِي ... إلى الإسلامِ وَالدين الحَنيف

لديـن جَـاء مـنْ ربّ عَزيـز ... خبيـرٌ بالعبَاد بهِـم لطيف

إذا تليـت رسـائله عَلينـا ... تحدر دَمْـع ذي اللب الحصِيفِ

رسـائلُ جَاء أحمد من هداها ... بآيـات مُبيّنـة الحُـروف

وأحمد مُصْطفى فينا مُطاع ... فلا تغشُوه بالقَوْل العَنيف

فـلا واللهِ نُسَـلِّمه لقـوْم ... ولمّـا نقض فيهمْ بالسّـيُوف .

« مواهب : ٢٣٠/١ » .

(٤) أي : قَوي .

(٥) أي : امتنعت .

فصل في بيان أخلاق النبي وعدم تكبره

فصل

(في بَيانِ أَخْلاقِ النّبي) ﷺ

جَمْعُ خُلُقٍ - بضمٍّ فسُكُون أو ضمٍّ - مُرادِفٌ في الأَصْل المَفْتوح الأول ؛ لكن خُصّ المفتُوحُ[١] : بالهَيْئات وَالصُّور المدرَكة بالبصَر ، والمضمُوم[٢] : بالقُوَى والسَّجايا المدركة بالبَصيرة ، فهو : مَلَكةٌ نَفْسَانيّة يَنشأ عنها جَميلُ الأفعال وكمالُ الأحوالِ ، وَلمّا كان كمالُ الخُلُق تابعًا لكمال العَقْل - وكان كمالهُ فيه ﷺ بحيث لا غايةَ له - اختصّ بكوْنهِ على خُلُقٍ عَظيمٍ كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣] ، وسرُّهُ : أنه ﷺ لَمّا اختصَّ بالجمال الظاهر - بما لم يُشاركه مخلوقٌ - كان دالاًّ على اتّصافهِ بالجمال الباطِن ؛ بما لم يشاركْهُ مَخلوقٌ أيضا ، وَمِنْ ثَمّ بُعث إلى جميع الخَلْق ، وَوَسِعَ خُلُقُه جميعَ العالمينَ (وَعدَمُ تكبُّره) التكبُّرُ : عَدُّ نَفْسه كبيرًا ، والكِبْرُ : بطَرُ الحقّ أي : ردُّهُ على قَائلِهِ ، وغَمصُ الناس - بالصاد والطاء - أي : احْتقارهُمْ ، وضِدّهُ : التواضع ، وأمارة المُتواضِع : اسْتواءُ المَدْح وَالذمّ عنده إن كان مع الحق .

ولما كانت كمالاتُ نبينا ﷺ وشمايلُهُ ومناقبه وفضائله بحيث لا يُحْصيها عدٌّ ولا يُحيط بها حدٌّ - ولم يَسعْ هذا المُخْتصرُ لذكر جمْلةٍ[٤] منها - اقْتصر المؤلِّفُ على نَبْذةٍ[٥] منها ؛ تكون قدَرًا صالحا لتَنْبيهِ الموفّقِ ليهْتمَّ للوُصول إلى التّخلُّقِ بمثْل أخلاقهِ بالمجاهَدة[٦] والرياضة ، فذكر أولا ما يدُلّ على غاية تَواضُعهِ فقال :

---

(١) أي : خص الخلق الذي بالفتح . ❊
(٢) أي : خص الخلق الذي بالضم . ❊
(٣) سورة القلم : الآية ٤ .
(٤) أي : الجميع .
(٥) أي : قِدَحٍ . م .
(٦) أي : القصد .

فكان يركب الحمار موكوفا عليه قطيفة ، وكان صلى الله عليه وسلم مع علو منصبه يستردف الرجل ، . . . .

(**فكان**[١] **يركَبُ الحِمارَ مَوْكُوفا**) إكاف الحِمار ووِكَافه – بكسر الهمزة وضمّهَا وبالواو بَدَلهَا – : البَرْذَعَةُ[٢] ، وهي – بفتح أوله وذال مُعْجمة أو مُهْملة وفتحِهَا – : حِلْسٌ يُجْعل تحت الرّحل ، وهو[٣] : للجَمَل كالسَّرْج للفَرَس (**عليه قَطيفَةٌ**) وهي : كِساء له خَمْل أي : خيُوطٌ بطَرَفهِ المُرْسَلة مِنَ السُّدَى[٤] مِن غير لُحْمة[٥] عليها (**وكان ﷺ مع عُلُوّ مَنْصَبِهِ**) أي : دَرجَتهِ (**يَسْتَرْدِفُ الرّجلَ**) أي : يركبُ معه آخرُ ، والرَّديف : الراكبُ خَلْفَ الراكب بإذْنه ، فقد كان ﷺ تارَةً يركبُ حمارًا مَوْكُوفا ويرْدف خَلْفه آخر ، وتارةً يَركَبُ حمارًا عَريًّا كما رُوي : (أنه ﷺ رَكِب إلى قُبَاء حِمَارًا عَرِيًّا ومعه أبو هريرة ، فقال له : « أأحْملُكَ » فقال : مَا شئت يا رسول الله ، فقال : « ارْكَبْ » ، فوَثبَ[٦] ليركَبَ فلم يقْدِر فاسْتمسَك برسول الله ﷺ فوَقعَا[٧] جَميعًا ، ثم ركِبَ[٨] ؛ وفعَل مثله ، ثم ركبَ وقال له مثلَ ذلك ، فقال : لا ، والذي بعَثك بالحق ما رَمَيْتك ثالثا) .

وَمِنْ غاية تَواضُعه ﷺ : رُكُوبُه يَومَ بَني قُرَيْظَة[٩] على حمارٍ مخطوم بِحَبْل مِن لِيفٍ ، وهو : قِشرُ النَّخل ، عليه إكاف مِن ليف ؛ لأن رُكوبه عليه يومئذٍ –

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم .
(٢) وقيل : ما تحته ، وقيل : ما فوقه . « فتح » .
(٣) أي : الرحل .
(٤) السُّدَى – رَچِلْ ، (عجم) .
(٥) لحمة - عُنْدُل ، (عجم) .
(٦) فوثب - كَنْـژَنَ ، (عجم) .
(٧) أي : على الأرض .
(٨) أي : صلى الله عليه وسلم . *
(٩) قريظة – قبيلة كانت قرب المدينة ، حاصرهم رسول الله ﷺ بعد وقعة الأحزابِ ، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم : بأن تُقتل رجالهم ، وتقسم أموالهم ، وتسبى ذراريهم ، فأمر ﷺ بهم فأدْخلوا المدينة ، وحُفِر لهم أخدودا ، فضربت أعناقهُمْ ، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة ؛ والله أعلم . منه .

ويخصف النعل ، . . . .

وقد[١] ظَهَر له مِن[٢] النُّصرة عليهم ، وَالظَّفَر بهم وبأمْوالهم ، ما يَفُوق[٣] على الحَصْر – يدُلّ[٤] على غاية التَّواضع ونِهايةِ الخضُوع ، ومِن ذلك أيضا : حَجُّهُ[٥] على رَحْل رَثٍّ[٦] وعليه قَطيفَة لا تُساوي أربعةَ دَراهِمَ ، قائلاً : « اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْهُ حَجًّا لا رِيَاءَ[٧] فِيهِ وَلا سُمْعَةَ » ، إذ لا تَتطرَّقُ السّمْعَةُ إلا لِمَنْ حجّ على المراكب النَّفيسَة وَالملابسِ الفاخِرة[٨] (**وَيَخْصِفُ النّعْل**) مِن خصَفْتُ النَّعْل – بالخاء المُعْجمة والصاد المُهْملة – خَرَزْتُها ، فهي : نَعْل خصِيفة بمعنى مخصُوفةٌ ، والخصْف : الضمُّ والجمعُ ، فمعنى يخْصفُ هنا : يضَعُ طَاقًا فَوْق طاقٍ ، فيُسْتفاد منه : أن لكل واحدة مِنْ نَعْلَيْه طاقَيْن أو أكثرَ ، والنعل : ما وَقَيتْ به القدَمُ مِن الأرض ، وبهذا القيْد يُعْلم التغايُر لغة بينه وبين الخُفّ ، وأما التغاير العُرْفيّ فمعلوم ؛ لأن الخُفَّ : ما يُلْبسُ في المَداسِ[٩] أي : فَافُوش[١٠] وَنحْوِه ؛ ويُمْسحُ[١١] عليه ، والنعل : ما يتّخَذ مِن جِلْد البَقر على وِزان بَطْنِ القدَمِ ، ويُجْعَل له شِراكان بين إصْبعَيْن وشراك منَ العَقْبِ ، فيُرْبَط الشراكانِ بهذا الآخر أو يُجْعل على ظهر القَدم نحو ثلاثةِ أصَابعَ مِنْ نحو السِّبْت[١٢] ، ويُتّخذ للإبهام نحو الحِلقة ، وهذا هو الذي يَلْبسهُ المُحْرِمُ ، وهو في الحِجاز كثيرٌ ولا يُوجدُ في دِيَارنا .

---

(١) وقد – حال .
(٢) مِنَ – بيان « ما » الآتي .
(٣) أي : يَعلو . (لسان العرب) .
(٤) يدل – خبر أنّ .
(٥) أي : راكبا .
(٦) الرَثُّ الشيء البالي ، وفلانٌ رثُّ الهيئة ، وفي هيئته رثاثةٌ ، أي : بذاذَةٌ . (ص) .
(٧) **والرياء** : العمل لغرضٍ مذموم كأن يَعمَلَ لِيَراهُ الناسُ ، **والسُّمْعَةُ** : أن يَعمَل ليَسْمَعَ الناس عنه بذلك فيُكرِموه بإحسانٍ أو مَدح أو لعظم جاهه في قلوبهم ، وكل ذلك مُوجِبٌ للفسْق ؛ مُحْبِط لثواب العَمَلِ . « أشرف الوسائل » .
(٨) واما مَن بمثل حاله ﷺ فلا يَتطرق إلى مثل حجه شيء من ذلك . منه .
(٩) المداس : كسَحاب الذي يُلْبَسُ في الرِّجْلِ . (قاموس) .
(١٠) فافوش – (عجم) .
(١١) أي : يجوز المسح .
(١٢) السِّبْت ، بالكسر ، جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ . (لغة) .

. . . .

فائدة : نهى رَسُولُ الله ﷺ عَن التنعُّل قائمًا ، ويُحْمل على نَعْلٍ يَحْتاج لُبْسهَا إلى إعانة اليدِ ، وعن المشي في نَعْلٍ وَاحدَة ؛ لِما فيه مِن قلّة المُروَّة وَمُخالَفة الوَقارِ ، بل فيه إيقاعُ غيره في الإثم لاستهْزائه به ، وقد أرشد ﷺ إلى أن الإنسانَ ينبغي له أن يَحْترزَ مِن إيقاع غَيْرِهِ في الإثم ما أمكنَهُ بأمْره ، مَنْ أحْدث في الصلاة بالقبْض على أنفهِ ليُوهِم الناسَ أنه رَعُفَ ؛ حتى لا يَخوضُوا في عِرْضهِ فيَأثمُوا ؛ ولأن ذلك مِن مِشْيَة الشيطان ، وَلِوُجُوه أُخَرَ ذَكرُوهَا ، والخفّ والمَداسُ وغيرهما كالنعل في ذلك ، وورد : الأمرُ بلُبْسهمَا أو تركهما ، وورد أيضا : الأمر بتَقْديم اليُمْنى عند التّنعُّل[١] ، وكذلك كل ما هو مِن باب التكريم منَ الدخول في المَسْجد ، والخرُوج مِن الخلاء ، وركُوب الدّابة ، ومُباشرة السِّواك - إن قُلْنَا : أنها مِن باب التطهير ، وغيرِ ذلك . وتَقْديمُ اليُسْرى عند النَّزْع ، وكذلك كل ما هو مِن باب التَّقْذير كأضْداد ذلك[٢] ، ومباشرة الأخير[٣] إنْ قلنا : أنها مِن باب التَّقْذير[٤] كالامْتِخاط ، ومِنْ ثمّة حُكِي عن مالكٍ : أنه لا يُتسوَّك في المسجد .

واعلم : أن المُصْطفى ﷺ كان يَلبَسُ النعلَ ، وربّما كان يَمشي حَافيًا ؛ لا سِيَّمَا إلى العيادَاتِ تواضعًا وطلبًا لِمَزيدِ الأجْرِ ، كما أشار إلى ذلك الحافظ العِراقي[٥] رحمه الله في « ألْفِيَّتهِ »[٦] بقوله :

---

(١) قال ﷺ : « إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ ، فَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ ، لِتَكُنِ الْيَمِينُ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ » . « مواهب : ٤٦٦/٢ » . *

(٢) ذلك - المذكور .

(٣) أي : مباشرة السِّواك . *

(٤) أي : النجس .

(٥) هو : الإمام العلامة الحافظ الكبير عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، أبو الفضل ، زين الدين ، المعروف بالحافظ العراقي ، المصري ، الشافعي ، أصله من الكرد ، ومولده في رازنان ، تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر . من كتبه : « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار » ، « نكت منهاج البيضاوي » ، « تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد » . ولد سنة ٧٢٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٠٦ هـ على أثر حادث سيارة في طريقه من حماة إلى دمشق .

(٦) وهو كتاب « ألفية السيرة النبوية » المسماة « نظم الدُّرر السنية في السِّير الزكية » ، للحافظ العراقي .

ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن .

يَمْشِي بِلاَ نَعْلٍ وَلاَ خُفٍّ إِلَى عِيَادَةِ الْمَرِيضِ حَوْلَهُ المَلاَ

فائدة أخرى : قال الخطيب أحمد القَسْطلاني رحمه الله في « المواهب » : ذكر ابن عَساكر وغيره : تِمْثالَ نَعْله[١] الكريمة ، ولم أُثبتْها في كتابنا إتّكالاً على شُهْرتِها وصُعُوبة ضَبْط تَسْطِيرهَا إلا على حاذق ، وذكر مِنْ فضلها ونَفْعهَا وبركتها : بأنه[٢] مُجرَّب لشفاء العليل بمَسْحهِ على مَوْضع الْعِلّة ، وللأمان مِنْ بَغْي البُغاةِ ، وغَلبَة العِدَاة ، وللحِرْز مِن شرّ الشيطان ، وعَيْنِ الحاسِدِ ، ولِتَيْسِير الطَّلْق بإمْساكهِ عندها[٣] تبرّكا ، وأنشد فيه قصائدَ بَليغةً عَجيبَة ، وكذلك ذكر غَيْرُه فيه مَدائح رائقةً وإنشاداتٍ فَائقةً ، والله تعالى أعلم ؛ انتهى قولُ الخطيب[٤] .

(**ويَرْقَعُ الثَّوْب**) أي : يُلْصِق بِثَوْبهِ رُقْعَةً لا أنه يُخيطُ جديدًا ، إذ في « الصِّحاح » : الرُّقْعَة أي : – بالضم – : الخرقة ، ومنه : رَقَعْتُ الثوْبَ بالرِّقاع (**ويَخدم في مِهْنَةِ أهْلِهِ**) المِهنَةُ – بالفتح ، وقيل : بالكسر – الخِدْمة أي : يشتغِل في أوْقاتٍ ، لِما صح : أنه كان له خَدَمٌ فيما يَحْتاج نَفْسُهُ وَأهْلهُ إليه لنحو : الأكل ، والشرب ، والمَشْي في الأسْواق ، إرشادًا لأمّته إلى التواضُع ، فقد روي : (أنه كان ﷺ في سَفر ، فأمَر أصْحابهُ بإصلاحِ شَاةٍ فقال رَجل : عَليَّ ذَبْحهَا ، وقال آخر : عليَّ سَلْخُهَا ، وقال آخر : عليَّ طَبْخُهَا ، فقال ﷺ : « عَلَيَّ جَمْع الْحَطَب » فقالوا : يا رسول الله ؛ نكفيك العَملَ ، فقال ﷺ : « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي ، وَلَكِنْ أكْرَهُ أنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ ؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَراهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ») (**وَيقطَعُ اللحم معَهنّ**) أي : مع أهله ، وأُنِّث باعْتبار أن غالب أهلِه نساء[٥] ، أي : كان ﷺ يقطَعُ مِن لحمٍ كما يقْطَعْنَ أو يقطع اللحْمَ لهُنّ ولِنَفْسه ، ولا يأمُر غيْرَهُ بالقَطْع

(١) صلى الله عليه وسلم .
(٢) أي : التمثال ، وأما تأنيث الضمائر السابقة فعَلى اكْتساب تأنيث النعل المضاف إليه ، فتدبّر . منه .
(٣) أي : مرأة .
(٤) انظر « مواهب : ٢/٤٧٠-٤٦٧ » . *
(٥) أي : التي يأكل معهنّ ويأوى إليهنّ . منه .

وكان أكثر الناس حياء لا ينظر إلى وجه أحد . وكان يجيب دعوة الحر والعبد ، .

تَرَفّعًا كما يَفْعلُه أصحاب الكبْرِ ، وفي هذا دَليل لجَواز قَطْع اللحم بالسِّكين ، والنهي عنه : « وأنَّهُ مِنْ صُنْع الأعَاجِم » ، والأمر بنَهْشه : « لأنَّهُ أهْنَأُ » ليس بقويٍّ ؛ أو مَخْصوصٌ بلَحْم غيرِ مَشْويٍّ ، ولله دَرّ الحافظ العراقيّ ﵀ حيث قال :[1]

يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، يَخِيطُ ثَوْبَهُ   يَحْلُبُ شَاتَهُ ، ولَنْ يَعِيبَهُ

يَخْدُمُ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ كَمَا   يَقْطَعُ بِالسِّكِّينِ لَحْمًا قُدِّمَا

(**وكان أكثر الناس حَياءً**) آثَرَهُ[2] على أحيا ؛ لأن المبالغة فيه أكثر ، والحياء – بالمد – مِن الحَياة ، ومنه الحَيا للمَطر لكنه مَقْصور ، وبحَسب حَياة القلب يَزدادُ الحياء ؛ فكلما كان القَلْبُ أحيا كان الحياءُ أتَمَّ ، وهو لغةً : تَغيُّرٌ وَانْكسارٌ يَعْتري[3] الإنسانَ مِنْ خَوْف ما يُعابُ به ، وشرعًا : خُلقٌ يَبْعث على اجْتنابِ القَبيح ، ويحُضّ على ارْتكاب الحسَن ، ومجانَبة التَّقصير في الحقّ ، وأقسام الحياء مَذكورة في « شرح الشمائل »[4] وغيره .

واعلم : أن الحياءَ إنما يُتمدَّح به حَيْث لم ينتَه بصاحِبه إلى ضُعْف وجُبْنٍ[5] عن الحق ؛ وإلا كان مَذْمومًا ، وحياؤه ﷺ كان مُنزّهًا عن جميع ذلك (**لا ينظر إلى وجه أحدٍ**) أي : لا يثْبُت بَصَرُه في وَجْه أحد لشدَّة حيائهِ .

(**وكان**) ﷺ (**يُجيبُ دَعْوة الحرّ والعَبْد**) أي : إلى أيِّ حاجة ؛ قَرُب مَحلُّهَا أو بعُدَ ، فإنه كان لا يَأنَف أن يمشيَ مع الأرْمَلةِ والمِسْكين فيَقْضي له الحاجةَ ، وكانت الأمَةُ تَأخذ بِيَد رسول الله ﷺ فتَنْطلِقُ به حَيْثُ شائتْ ،

(١) أي : في معاني هذه الكلمات .
(٢) أي : اختاره .
(٣) أي : يجيء . منه .
(٤) انظر « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = أشرف الوسائل في شرح الشمائل للترمذي : صـ ٥١٨ » .
(٥) أي : الخوف .

ويقبل الهدية ولو جرعة لبن أو فخذ أرنب ، ويؤاكل معهم . وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عنهم في مأكل ولا ملبس . وكان لا يحقر فقيرا لفقره ، ولا يوقر ملكا لملكه ، . . . .

وهذا مِنْ مَزيد تَواضُعِه وبَراءتِه مِنْ جميع أنواع الكبْرِ (**ويقبَل الهَديّة**) ويجازى عليها ، فيُسنّ التأسّي به في ذلك إذا لم يكن في الهديّة شُبْهةٌ قويّة ، وعُلم أن باعثَها غيْرُ نحوِ حَياءٍ ؛ لأنه[1] حينئذٍ مُكْرَه في الباطن[2] ، ولا يحلّ مَالَ امْرئ مسلمٍ إلا عن طِيبِ نَفْسٍ ، ومِثْلُه : مَا أُعْطِي بسُؤال في المَلاءِ وكان باعثهُ الحيَاءَ من الناسِ (**ولو**) كانت (**جرْعَةَ لَبَن**) كِنايةً عَن القِلّة (**أو فخذَ أرْنب**) كنايةً عَن التَّافِه[3] ، وصح خبرُ « لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ لأَجَبْتُ » ، والكُراعُ - بضَم الكاف وتَخفيف الراء - ما دُون الرّكبةِ مِنْ سَاق البَقر والغَنم . وفي هذا كمالُ تَوَاضُعِه وحُسْن خُلُقِهِ (**ويؤاكل مَعهُمْ**) أي : يشاركُ في الأكل مع دَاعِيه مِنْ حُرٍّ أو عَبْدٍ ، ولا يرْتفعُ عليهم كما لا يرْتفعُ على عَبيده وإمائِهِ ، ولا يَنْفرد عنهم كما لا ينفردُ عن أهله ، وقد صح خبر : « شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ وَمَنَعَ رِفْدَهُ » (**وكان له عَبيدٌ وإمَاءٌ**) جمعُ أمةٍ (**لا يرتفع عنهم في مَأكلٍ**) مَصْدرٌ مِيميّ بمعنى المفعول ، وكذا المُلْبسُ في قوله : (**ولا مُلْبَسٍ**) أي : لا يخصّ نفسَهُ بشيء رَفيعٍ ، ويُعْطي[4] غيْرَه ما دُونَه ، بل يأكُل مثْلَ ما يأكلون ويلْبسُ مثل ما يلبَسُون (**وكان لا يحْقِر**) كيَضْرِبُ أي : لا يُذلّ (**فقيرًا لفَقْرِه**) بل يُكرِمهُ[5] إن كان أهْلاً ، ويُنْصِحَهُ بلِينٍ إن احْتاج إليه (**ولا يُوَقِّر**) أي : لا يُعظِّم (**مَلِكًا**) - بكسر اللام (**لمُلْكِه**) - بضم الميم ، بل لصفَةِ مَدْحٍ إن وُجدَتْ فيه ، ولكنْ كان يتَألّفُهُمْ وَيُنْزِلهُمْ مَنازِلهُمْ ،

---

(١) أي : المُهْدِي .
(٢) أما إذا ظنّ أن الباعث على الإهداء إنما هو الحياء ، قال الغزاليّ : كمَنْ يَقدم من سفَر ويفرِّق هَداياه خَوْفا من العارِ فلا يجوز القبول إجماعًا . « أشرف الوسائل : صـ ٥١٧ » .
(٣) أي : الحقير .
(٤) أي : النبي ﷺ .
(٥) أي : النبي ﷺ .

وما لعن امرأة أو خادما قط .

وقيل له في القتال : لو لعنتهم يا رسول الله ! قال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا » .

فقد صح خبرُ بَسْطه الرِّداءَ لِأبي جَهْل حين جاءَه (**وما لَعَن**) لَعَنَهُ كمَنَعَهُ : طَرَدَهُ وَأَبْعَدهُ أي : لم يَطْرُد ولم يَزْجُرْ (**امرأةً أو خادمًا قطُّ**) خصَّهُمَا اهْتمامًا بشَأنهما ولكَثْرة وُقوع لَعْنِ هَذَيْن ؛ والاحتياجِ إليه ، ولمّا لم يَصْدُرْ منه شيءٌ إليهما فبالأَوْلى أن لا يَصْدر إلى غيرهما .

فقد صح عن أنس ﵁ قال : (خَدَمْتُ النبيّ ﷺ عَشْر سنينَ فما قال لي أُفٍّ قطُّ[1] ، وما قال لشيءٍ صَنعْتُه لِمَ صَنعْتَهُ ؟ ولا لشيءٍ تركتهُ لِمَ تركتَهُ ؟) وفي هذا بيان كمالُ خُلْقه ، وحُسْن عِشْرته[2] ، وعظيم حِلْمِه وصَفحه وصَبْره ، وفيه فضِيلةٌ تامّة لِأنس حيث لم يَرْتكبْ في تلك السّنينَ ما هو غيرُ لائقٍ شرْعا ؛ لأنه ﷺ كان لا يسْكتُ على حرام ، وصح أيضا : عن عائشة ﵂ قالت : (ما ضَرب رسول الله ﷺ شيئا قطُّ إلا أن يُجَاهِد في سبيل الله ، ولا ضرَب خادمًا ولا امرأةً) ، وهذا أمْرٌ لا تتَّسِعُ له الطِّبَاعُ البشريّةُ لوْلا التأييدات الربّانيّةِ ، وصح أيضا في « مسلم »[3] خبرُ : (مَا رَأيْتُ أحدًا أرْحمَ بالعِيال من رسول الله ﷺ) ، وقطّ - بضمّ الطاء المشدّدة مع فَتْح أوله وضمّه ، وبفتح فسكون ؛ أو بكسرٍ مع التشديد وعدمهِ - وهي : لتوكيد نَفْي الماضِي .

(**و**)لما (**قيل له**) ﷺ (**في القِتال : لو[4] لَعنْتَهُمْ يا رسول الله قال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً »**) للعَالمينَ (**« وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا »**) أي : لمّا حَاربَه[5] الكفارُ يَوْمَ أُحدٍ ، ونالَهُ[6]

---

(١) اسم فعل للتفجر والتأوّه ؛ يستعمل في كل ما يستقذر . منه .
(٢) أي : صحبته . (لغة) .
(٣) وهو كتاب « صحيح مسلم = الجامع الصحيح » ، للإمام مسلم .
(٤) لو - للتحضيض .
(٥) أي : النبي ﷺ .
(٦) أي : النبي ﷺ .

وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ بالسلام إلى كل من لقيه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى ، . . . .

ما نال مِن شدّة الأمر ، وكُسِرَتْ رَبَاعيَّتُهُ[1] ، وشُجَّ[2] وَجهُهُ حتى صار الدّمُ يَسيل على وجْهِهِ الشَّريفِ ؛ حتى شَقَّ[3] ذلك على أصحابه قالوا : لَوْ دَعَوْتَ[4] عليهم ، فقال : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً ، اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ » أي : اغفر لهم ذنْبَهُمْ في شَجّ وَجْهي ؛ لا أنه أراد الدعاء لهم بالمَغْفِرَة مُطْلقا ، إذ لو كان كذلك لأُجيبَ[5] ؛ ولو أُجيبَ لأسْلمُوا كلُّهُمْ ، وهَا هُنَا دَقيقةٌ وهي : أنه لمَّا شُجَّ وَجْهُه عفا وقال : « اللَّهُمَّ ؛ اهْدِ قَوْمِي » ، وحينَ شغلوه عن الصلاة يوم الخَنْدَق قال : « اللَّهُمَّ ؛ إمْلَأْ بُطُونَهُمْ نَارًا » ، فتَحمّل الشجَّةَ الحاصلةَ في وَجْه جَسَدِهِ الشريفِ ، وما تَحمَّل الشجّةَ الحاصِلةَ في وَجْه دِينِه ، فإن وجْهَ الدين : الصلاةُ ، فرجَّح حَقَّ خالقهِ على حَقِّه ﷺ .

(**وكان ﷺ يَبْدأ بالسَّلام إلى كل مَنْ لَقِيَهُ**) أي : يَجْعلُ سَلامَه أولَ مُلاقاتهِ ابْتدارًا إلى إدْخال السُّرور في قلب المُسْلم ، وذلك لأنه مِنْ كمال شِيَمِ المُتواضعِينَ ، وهو :[6] سَيِّدهُمْ (**وكان ﷺ لا يقوم ولا يَجْلس إلا على ذكر الله تعالى**) أي : إلا حال كَوْنه مُتلبِّسًا بالذكْر ؛ أي : كان في كل أحْوالهِ مُرَاقبًا لله تعالى لا يَغفُل عنه إمّا بالقلب ؛ أو به وباللسان ، وعدمُ الغَفْلة عن الحقّ تعالى شأنُ أُولي الجِدِّ والمراقبةِ ، ومن ثَمّةَ عُدَّت الغَفْلةُ عند الأكابرِ والأولياءِ حَدثًا[7] ، كما قاله العارف الشعرانيّ في « المِيزانِ »[8] .

---

(١) رَباعيته – بفتح الراء وتخفيف الموحّدة وكَسْر العَيْن المُهملة وتخفيف المثناة التحتية ، الرَّبَاعِيَةُ ، كثَمانِيَةٌ : السِّنُّ التي بين الثَّنيَّة والنابِ . (قاموس) .
(٢) الشَّجُّ كسر الرأس ، أي : شقّ . (لغة) .
(٣) أي : عسر . (لغة) .
(٤) أي : الدعاء . (لغة) .
(٥) أي : لأقبل .
(٦) صلى الله عليه وسلم .
(٧) أي : حدث الصلاة .
(٨) وهو كتاب « الميزان الكبرى » ، لعبد الوهاب الشعراني .

وإذا جلس إليه أحد وهو يصلي خفف صلاته وأقبل عليه ويقول : « أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ » ، فإذا فرغ من حاجته عاد إلى الصلاة . وكان لا يدعوه أحد من أصحابه أو غيرهم إلا قال : « لَبَّيْكَ » .

(وَ)كان ﷺ (إذا جَلسَ إليه) أي : عندهُ (أحدٌ وهو يُصلّي خفَّف صلاتَه) ابتدارًا لقضاء حَوائجه (وَ)إذا سَلّم (أقْبل عليه ويقول : « أَلَكَ حَاجَة ؟ » ، فإذا فَرَغ مِنْ حاجتهِ عاد إلى الصَّلاةِ) ويُعْلَم منه : أن العَمل المتعدِّيَ أفضَلُ[١] مِن القاصِر .

(وكان لا يَدْعوه أحدٌ مِنْ أصْحابهِ أو غيْرِهِمْ) وكيفية دُعائه ﷺ بنحو : يَا رَسُولَ الله ؛ إذ دُعَاؤُه باسمهِ حَرام على الأمة[٢] ، ولم يُخاطبْهُ الله تعالى في القرآن بما خاطَب[٣] به سائرَ الأنبياء ، بل بنحو : « يَا أَيُّهَا النَّبِيّ » إكرامًا له (إلا قال : « لَبَّيْكَ ») ومعناهُ : أقيمُ بخدْمَتِك إقامةً بعد إقامةٍ ؛ لأن التثنيةَ للتكرير ، وكيفيةُ تركيبِهِ وأصلهُ مذكور في الكتب ، فالمراد به : أمْرُك سَمْعٌ وطاعةٌ . وهذا أيضا مِن مَكارمِ أخلاقهِ وكمالِ تَواضُعه إذ المتكبِّر لا يَطيبُ قلبُه للإجابة لكل واحدٍ برِفقٍ ؛ بل يَغْلِظ ويعْنِف أو يَعْرِض ، والحبيبُ ﷺ مُبَرَّءٌ من كل مُنَفِّرٍ ومُنَزَّهٌ مِن كل شَنَار ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ الآية[٤] .

واعلم : أن مَحاسِن الأخلاق لمّا لم تَجْتمِع في أحدٍ ؛ اجْتماعَهُ في نبيِّنا ﷺ ، فلا أكملَ منه فيها ولا أتَمَّ ، وأن قوّة البَشرِ لمّا لم تَصلْ إلى استِقْصاء عُشْر مِعْشار عَشِير ما تَحلَّى به الحبيبُ عليه السلامانِ من الأخلاقِ الجَليّة والشِّيَم المرضيّة أشار المؤلف رحمه الله إلى مقْدارِ الكفايةِ - كما قال في الديباج - ليَتأمَّل الإنسانُ في أخلاقه ، ويجْتَهدَ في التأسِّي بشمايلهِ ، ويتحَلّى بالمناقِب الجَميلة ، وَيَتخَلّى عَن المثالب الرَّذيلة ، فنَسْألُ الله تعالى أن يوفّقَنا لنَرْتَعَ في رِياضِ أحواله الزكيّة ، ونَشُمَّ مِنْ رَوَائح نَسيمِ أوصافهِ العَليَّة .

---

(١) أي : غالبا ؛ إذ نحو الإيمان أفضل مطلقا وإن كان قاصرا ، والله أعلم . منه .
(٢) قال الله تعالى : ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [سورة النور : الآية ٦٣] . منه .
(٣) بما خاطب - كقوله تعالى : « يا آدم » ، « يا داود » ، « يا عيسى » . منه .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

فصل في بيان طعامه

وكان يأكل ما وجده ولا يرد ، . . . .

فصل

(في بَيان) تَناوُلِ (طَعَامِهِ) ﷺ

وهو : ما قُصِدَ للطُّعْم اقتِياتًا وتَأَدُّمًا وتَفكُّهًا .

واعلم : أن تناوُل الطعام يَحْتاجُ لِعُلوم كثيرَةٍ مِنْ حَيْثُ وَصْفُهُ وزمَنهُ وغيرُهما لاشتماله على المصالح الدِّينيَّة والدُّنْيوِيَّةِ ، إذ به قوام القلب والبَدن ، وبهما عِمارةُ الدنيا والآخرة ؛ لأن البَدنَ بمُفْردهِ : على طَبْع الحيوان ؛ فيُسْتعانُ به على عمارة الدنيا ، والقلب : على طبع الملائكة ؛ فيُسْتعان به على عِمارة الآخرةِ ، وباجْتماعهِما يَصْلحان لعمارة الدَّارَيْنِ ، فلا طريقَ للبقاءِ[١] إلا بالعلم والعَملِ ، ولا يُمْكنُ المُوَاظبةُ عليهما إلا بسلامة البدنِ ، ولا تَصْفُو سَلامَتُه إلا بتناوُل مقدار الحاجة على تكرار الأوقات[٢] ، ولهذا قال بعض الصالحين : الأكْلُ مِن الدِّين .

ثم اعلم : أنه لم يكن مِن عادتهِ الكريمة حَبْسُ نفسه الشريفة على نَوْعٍ منَ الأغْذيَة ، فإن ذلك يضُرّ بالطبيعة ضررًا بَيّنًا وإن كان أفضلَ الأغذية ، بل كان يَأكُلُ ما أُعْتيدَ مِن لَحْمٍ وفاكهةٍ وتمرٍ[٣] .

(**وكان**) ﷺ (**يَأكلُ**) والأكل : إدْخال غيرِ المائع مِن الفم إلى المَعِدَة ، والشربُ : إدخالُ المائع إليها (**ما وَجَده**) أي : ممّا كان من جنْسِ ما يأكلونه إن أتاهُ من طريق الحِلّ (**ولا يردُّ**) أي : لا يمْتنعُ منه لازْدراءٍ[٤] به ، فلا يُنافِي ما سيأتي بأنه يَتركُه إنْ

---

(١) أي : بقاء النفس الإنساني . منه .

(٢) وقال النبي ﷺ : « كُلُوا مِمَّا يَسْقُطُ عَنِ المَائِدَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَهْرُ حُورِ العِينِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يَصْرِفُ الله عَنْهُ الجُذَامَ وَالبَرَصَ وَالجنُونَ وَعَنْ ولدنَا » اهـ .

(٣) تمرٍ – وغيره .

(٤) أي : احتقاره . منه .

إن وجد تمرا بلا خبز أكله ، وإن وجد خبز بر أو شعير أكله ، وإن وجد حلوى أو عسلا أكله ، وإن وجد لبنا بدون الخبز اكتفى به ، . . . .

كرِهَهُ (**إنْ وجد تمرًا بلا خبزٍ أكلهُ**) أي : كان يَكْتَفي بمُجَرّدِ التَّمرِ من غير قُوتٍ آخرَ ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : إنْ[1] كُنّا آلَ محمّد نَمكُث شهرًا ما نَسْتوقِدُ بنارٍ وإنْ[2] هو[3] إلا الأَسْودانِ : المَاءُ والتَّمر ، وإذا كان آلُهُ ﷺ في ذلك الضِّيق فهو أَوْلى لإيثارهِ إيّاهُمْ على نَفْسهِ ولتعذُّر شِبَعِهِ[4] دُونهُمْ (**وإن وجدَ خبزَ بُرٍّ**) الخُبْز – بالضم – ما يؤكلُ من نحو : بُرّ ، وبالفتح – مصدر بمعنى اصْطناعه (**أو شعير**) قال في « الشِّهاب »[5] : إنَّ السُّلْت هو المشهور : بشَعِيرِ النبي ﷺ (**أكلَهُ**) أي : بلا إدامٍ أو معه .

(**وَإنْ وَجد حَلْوى**) وهي : بالقَصْر ؛ فتكتب بالألف على صُورة الياء ، وقيل : بالمدّ – : كلُّ ما فيه حَلاوة ، فالعَسل بعده تخْصيصٌ بعد تَعْميم ، وقيل : يَخْتصّ بما دَخلَتْه الصَّنْعةُ ، وقيل : هو ما عُولج من الطعام بِحُلوٍ (**أو عَسَلاً أكلهُ**) أي : مع حُبّه ؛ لأن طَبْعه كان يَميل إلى الحُلْو لشدَّة لَطافَتِهِ ، ولم يكن حبُّهُ له على معنى كَثْرة التَّشهِّي ، وإنما كان يَنال منه إذا حضَر نَيْلاً صالحًا ، فيُعْلِم بذلك أنه يُحِبُّهُ ، ومحبّةُ أنواع الأطعمةِ اللذيذة لا تُنافي الزُّهدَ إذا لم يُكلِّف تحْصيلَهَا .

(**وَإنْ وَجد لبنا بدون الخُبْز اكتفى به**) لأنه يُجْزئ مكانَ الطعام والشراب ، ومِن ثَمَّ كان يقول إذا شَرِبَهُ : « اللَّهُمَّ ؛ زِدْنَا مِنْهُ » بخلاف غيره ، فكان يقول فيه : « اللَّهُمَّ ؛ ارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ » ، فبان منه أن اللبنَ خَيْرُ الأطعِمَةِ[6] .

---

(١) إنْ – مخفّفة .
(٢) وإنْ – للنفي .
(٣) أي : المأكول . منه .
(٤) أي : على ما هو خلقه الكريم . منه .
(٥) وهو كتاب « حاشيتا القليوبي وعميرة على كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين » ، لشهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي/ ولشهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بـ« عميرة » .
(٦) وسئل نفع الله تعالى به : أيهما أفضل اللبن أو العسل ؟ فأجاب بقوله : قال الجلال السيوطي : مقتضى الأدلة أن اللبن أفضل ، لأن الله تعالى جعله غذاء للطفل دون غيره ، وأنه يجزيء عن الطعام والشراب ولا كذلك العسل وأنه لا يغصّ به أحد كما في الحديث ، وقال تعالى : ﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦] ، وأنه اختاره ليلة الإسراء على العسل والخمر ،

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز شعير غير منخول ، ولم يشبع من خبز بر ثلاثة متوالية ....

(**وكان ﷺ يأكل خبزَ شَعيرٍ**)[١] حالَ كَوْن دَقيقه (**غيْرَ مَنْخولٍ**) كما في حديث البخاري[٢] : (مَا رَأى النبيُّ ﷺ مُنْخلاً منْ حِينِ بَعثه الله تعالى حتى قَبَضهُ ، قيل[٣] : كيف كنتم تأكلون الشعيرَ غيرَ مَنخُولٍ ؟ قال : كنا نَطْحَنُه وَنَنْفُخُهُ فيَطيرُ ما طارَ ، وما بقي نعْجنهُ وَنأكلهُ) ، احترز[٤] عمّا قبل البَعْثة ؛ حينَ يُسافر الشامَ للتجارة ، فإن المَناخِلَ وآلاتِ التّرفُّهِ كثيرة فيه حينئذ[٥] ؛ إذ كان بيد الرُّوم ، وأما بعد البعثة فلم يكن إلا بالحجاز ، ونفْيُ رُؤيتهِ مُبَالغة في نَفْي أكلهِ ، وفي هذا : تركُهُ التكلُّفَ والاعْتناءَ بِشأنِ الطعام ؛ فإنه لا يعْتَني به إلا أهْلُ الحماقة والغفْلة (**ولم يَشْبَع مِنْ خُبْز برٍّ ثلاثةَ**) أيامٍ (**مُتواليةٍ**) كما قالت عائشة رضي الله عنها : مَا شَبِعَ آلُ مُحمّد ثلاثةَ أيّامٍ تِبَاعًا حتى قُبض ، وصح : (أنه ﷺ كان يَبِيت الليَالِيَ المتتابعَةِ وأهْله طِوَاءًا لا يجدُونَ عَشاءً ، وإنما كان خبزُهُمْ الشعيرَ) ، ولا ينافي خبَرَ : (أنه ﷺ كان يَدّخرُ قوتَ عِيالهِ سَنةً) ؛ لأنه كان يَفْعَل ذلك أواخِرَ حَياتهِ ، لكن تَعْرض له حَوَائجُ المُحْتاجين فيُخْرجُه فيها .

فقيل له : « هذه الفطرة فأنت عليها وأمتك » ، رواه الشيخان . « الفتاوى : صـ ٣٤٠ » .

لبن **الضأن** : أغلظ الألبان وأرطبُها ، وينبغي أن يُشاب بالماء . ولبن **المعز** : لطيف معتدل ، مطلق للبطن . ولبن **البقر** : من أعدل الألبان وأفضلها . واللبن **المطلقُ** : أنفع المشروبات للبدن الإنساني لما اجتمع فيه من التغذية والدَّموية ، ولاعتياده حالَ الطفولية ، وموافقته للفطرة الأصلية ، والحامض منه بطيء الاستمراء خامُ الخِلطِ . « فصول الطب : صـ ٣٥٤ » .

(١) ولا يكسر خبزا صحيحا ما دام يجد خبزا مكسورا . من عين : « فتوى المخلص » .

(٢) هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله ، حبر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ ، نشأ يتيما ، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠ في طلب الحديث ، فزار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، وجمع نحو : ست مئة ألف حديث ، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته . من تصانيفه : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » المعروف بـ« صحيح البخاري » ، « الضعفاء » ، « خلق أفعال العباد » ، « الأدب المفرد » . ولد سنة ١٩٤ هـ في بخارى ، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم ، فأخرج إلى خرتنك « من قرى سمرقند » فمات فيها سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) أي : لراويه .

(٤) أي : الراوي .

(٥) حينئذ : بيان .

وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول : « هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب القرع . . . .

(**وكان أحبُّ الطعام إليه اللحْمَ**) إنما كان اللحم طعامًا[1] وإنْ كان غالبًا إدامًا ؛ لِما أنه كثيرًا ما يُقْصدُ لذاته لا للتَّوصُّل به إلى إساغة غيره (**ويقول : « هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ »**) قال الزُّهري : أكْلهُ يزيد سَبْعينَ قُوّةً ، وقال الشافعي ﵁ : أكْلهُ يزيدُ في العَقْل ، وعن عليّ ﵁ : أنه يُصفِّي اللَّوْنَ ، وَيُحسِّنُ الخُلُقَ ، ومَنْ ترَكهُ أربعين يومًا ساء خُلُقُهُ .

تنبيه : قال ابنُ القَيِّم[2] : ينبغي عدمُ المُداوَمة على أكل اللحْم ، فإنه يُورث الأمراضَ الدَّمويّةَ والامْتِلائيَّة .

(**« وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »**)[3] وصح أيضا خبر : « سَيِّدُ الإدَامِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اللَّحْمُ » ، والسيدُ : بمعنى الفاضِل ، وإنما فَضِلَ ؛ لأن به تَعْظُمُ قُوَّةُ الحَياة في الشخْص المُتغَذِّي به ، كما تقدم آنفا .

(**وكان ﷺ يُحبّ القَرْعَ**) وهو : حملُ اليَقْطِين أي : ثَمرُهُ ، واليقطين : ما لا سَاقَ له مِن النبات كشَجَر القَرْع وغيرِه ، وسببُ مَحبَّتِهِ له : ما فيه مِنْ زِيادَة العَقْل والرُّطُوبَة المُعْتدِلَة ، ومِنْ ثَمّ استحبَّ لنا أنْ نُحِبَّ الدُّبّاءَ ،

---

(١) فيه إغماض عن التعميم السّابق في صدر الترجمة . منه .

(٢) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، المعروف بابن قيم الجوزية . سمع من الشهاب النابلسي العابر ، والقاضي تقي الدين سليمان ، وفاطمة بنت جوهر ، وجماعة . وتفقه في المذهب ، وبرع وأفتى ، ولزم شيخ تقي الدين ابن تيمية بعد عوده من القاهرة في سنة ٧١٢ هـ ، وأخذ منه علما كثيرا ، حتى صار أحد أفراد زمانه . وكان عارفا بالتفسير ، وبأصول الدين . وكان عالما بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف ، وإشاراتهم ، ودقائقهم . له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى ، وتصانيفه كثيرة . ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتوفي سنة ٧٥١ هـ .

(٣) = « وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَ » . *

ويقول : « إِنَّهَا شَجَرَةُ أَخِي يُونُسَ » ابن مَتَّى عليه السلام ، وكان يقول : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِذَا طَبِخْتُمْ قِدْرًا فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّبَّاءِ ، . . . .

وكذا كلُّ شيء كان يُحبُّه (**ويقول : « إِنَّهَا »**) أي : شجرَتَها (**« شَجَرَةُ أَخِي »**) نبيّ الله (**« يُونُسَ » بن مَتَّى**[1] عليه السلام) .

يعني : لمّا هَربَ السَّيدُ يونس عليه السلام عن أهل قَريته - حين سَلِمُوا منْ عَذاب الله تعالى الذي أَوْعَدَهُمْ به - استحياءً منهم ، ودَخل السَّفينةَ ، وَخرَجت[2] القُرْعَةُ عليه ، وَثَبَ[3] في البَحْر ؛ فَابْتلعَهُ الحُوتُ ، فبقيَ في بَطْنه مُدّةً[4] ، ثم ألقاهُ على ساحِل البَحْر ، فأنْبتَ اللهُ تعالى عليه شجَرةً من يَقْطين لِيَسْتَتر تَحْت أوْرَاقه ؛ إذ كان ضَعِيفًا لا يَقدِر تحمّلَ حَرِّ الشمسِ[5] ، ولمّا خصَّصَهُ الله تعالى بالإنباتِ على نبيّ الله تعالى يونس عليه السلام حتى وَقاهُ وترَبَّى في ظُلَله - وكان كالأمّ الحاضنَة لفَرْخِها - لَحظَ[6] نبيُّنا هذا السرَّ الذي أَوْدعهُ الله تعالى فيه فأَحَبَّه لذلك ؛ والله تعالى أعلم .

(**وكان يقول : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِذَا طَبِخْتُمْ قِدْرًا »**) أي : طَعامًا في قِدْرٍ (**« فَأَكْثِرُوا فِيهَا »**) أي : القدر ؛ وهو يُؤنَّث (**« مِنَ الدُّبَّاءِ »**) هو - بضم الدالِ وتشديد الموَحّدة وبالمد - على الأشهر ، ويجوز - القَصْر - : القَرْعُ[7] ؛ على ما في « الصحاح » و« القاموس » ، والواحِدة : دُبَّاءَة ، وفسّره الهَيْثميّ في

(١) اسم أمّه . منه .
(٢) فلما ركبها وقفت ، فبالغ الملاّحُون في إجرائها فلم تجر فقالوا : هنا عبد آبق ، فقرعوا بين أهل السّفينة فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فقال : أنا الآبق ؛ فوثب ، إلخ . منه .
(٣) وثب - جواب .
(٤) أي : أربعين يوما على قول .
(٥) فإن قيل : ما لا يقومُ على ساق يُسمى نجمًا لا شجرًا ، والشجر : ما له ساق ، فكيف قال : ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ ؟ فالجوابِ : أن الشجر إذا أطلقَ ، كان ما له ساق يقوم عليه ، وإذا قيِّدَ بشيء تقيد به ، فالفرقُ بين المطلق والمقيد في الأسماء باب مهم عظيم النفع في الفهم ، ومراتب اللغة . واليقطين المذكور في القرآن : هو نبات الدُّباء ، وثمره يُسمّى الدباء والقرع ، وشجرة اليقطين . « فصول : صـ ٣٧٠-٣٧١ » .
(٦) لحظ - جواب لما .
(٧) القرع - خبر .

فَإِنَّهُ يَشُدُّ قَلْبَ الْحَزِينِ » .

وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد . وكان يحب من الشاة : الذراع ، . . . .

« شرح الشمائل » : باليَقْطين ، فالمراد منَ الدُّبّاء هُنَا حين : ثمره أي : القرعُ ، كما يُطْلق : النّخلُ ؛ وَيُراد به : الثمرُ (« فَإِنَّهُ يَشُدُّ قَلْبَ الحَزِينِ » .

وكان يَأكل لحْمَ الطير الذي يُصَاد) وقد صح خبرُ : (أكلتُ مع رسول الله ﷺ لحم حُبَارى) ، وهو : طائر معروف كبيرُ العُنق رَمَاديّ اللوْنِ شديدُ الطيرَان ، وصح أيضا خبر : أكْلِهِ لَحْم حِمارِ الوَحْش ، ولحم الجمَل سَفرًا وحضرًا ، ولَحْمَ الأرْنب ، ولحم دَوَابّ البَحْر ؛ والله أعلم .

(وكان يحبّ منَ الشَّاة) أي : من لَحْمها (الذِّرَاع) كحمار ، هو : اليد من كل حَيوانٍ ، لكنها من الإنسان هو : المِرْفقُ إلى أطراف الأصابع ، ومن البَقر والغنم : ما فوق الكُراع ؛ وهو المراد هنا ، وإنما أحبَّه لسُرْعة نَضْجها[1] مع زيادة لِينهَا ، وبُعْدهَا من موضع الأذى ، وقلّة الزمنِ في أكلها ؛ ليتَفرّغَ لمصالح نفسه والمسلمين . ومما كان يحبّهُ أيضا : الرَّقبةُ[2] ، على ما ورد عن ضُباعَة بنتِ الزُّبَيْر : (أنها ذبحَتْ

---

(١) نضجها - بِشْمَكْ . (عجم) .

(٢) **ولحم الضأن** : الحوليّ ، يُولِّد الدم المحمود القويّ لمَنْ جاد هضمه ، ويقْوي الذّهن والحفْظ . ولحم الهَرِم والعجيف رَديء ، وكذلك لحم النِّعاج ، وكل ما علا منه سوى الرأس كان أخفَّ وأجْود . ولحم العُنق جيّد لذيذ ، سريعُ الهضْم خفيفٌ ، ولحم الذراع أخف اللحم وألذُّه وألطفهُ وأبعدُه منَ الأذى ، وأسْرعُه انهضامًا . ولحم الظهر كثير الغذاء ، يُولد دمًا محمودًا .

ولحم المَعْز : ليس بجيّد . ولحم التّيس رَديء . ولحم المَعْز يُورث الغمّ ، ويحرّك السَّوداءَ ، ويُورث النسيان ، ويفسدُ الدم ، وإناثه أنفعُ من ذكُوره .

ولحم البَقر : لا يَصْلُح إلا لأهل الكدِّ وَالتّعْب الشديد ، ويُورث إدْمانه الأمراضَ لمن لم يَعْتده به ، أو لم يدفع ضرَره بالفلفل والثوم . ولحم العجْل السّمين مِنْ أعْدل الأغذية وأطيبها وألذها وأحْمدها . ولحم الفرس مُضرّ لا يَصْلح للأبدان اللطيفة .

ولحم الجَمل : فرق ما بين الرافضة وأهل السنة . ولحم الفصيل منه مِنْ ألذ اللحوم .

ولحوم الأجِنَّة : غير محمودة لاحتقان الدم فيها ، وليست بحرام .

ولحم القَديد : يقوي الأبدان ، ويُحدث حِكة . ولحم الدَّجاج خفيف على المعدَة ، سريعُ الهضم ، جيدُ الخَلْط ، يزيد في الدِّمَاغ والمنيّ ، ويُصفي الصوْت ، ويحسِّن اللوْن ، ويَقْوي العَقل ، ويُولد دمًا جيّدا . « فصول : صـ ٣٤١-٣٤٩ » .

والكتف ، ويكره الكليتين لمكانهما من البول . وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر ، والأنثيين ، والمثانة ، والمرارة ، . . . .

شاةً ؛ فأرسَل ﷺ : « أنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَاتِكُمْ » ، فقالت : ما بقِي عندنا إلا الرَّقَبَةُ ، وإني لأَسْتحيي أن أُرْسِلَ بها إلى رسول الله ﷺ ، فرجع الرسول فأخبَره ، فقال ﷺ : « ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ : أَرْسِلِي بِهَا ؛ فَإِنَّهَا هَادِيَةُ الشَّاةِ وَأَقْرَبُ الشَّاةِ إِلَى الْخَيْرِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الأذَى ») أي : فهي كلَحْم الذراع والعَضُدِ أخفّ على المَعدة وأَسْرعُ هَضْمًا ، ومِن ثم ينبغي أن يُؤْثَرَ من الغذاءِ ما كثُرَ نفعُه ، وتأثيرُه في القُوَى ، وَخَفَّ على المعدة ، وكان أسرعَ انحِدارًا[١] عنها وهضمًا ؛ لأن جميع ذلك أفضلُ الغَذاءَ[٢] (**والكَتِفَ**) - بفتح أوله وسكون ثانِيهِ أو كسره - رأس اليَدِ ، وصح عنه أيضا : « إنَّ أَطْيَبَ اللَّحْمِ لَحْمُ الظَّهْرِ » أي : لأنه ألَذُّ ، ورُبما كان يتناوله أحيانا .

(**وَ**)كان (**يَكرهُ**) - بفتح الياء (**الكُلْيَتَيْن**) - بضم أوله - لَحْمتان مُسْتَتِرَتانِ[٣] حَمْرَاوَان لازقَتانِ[٤] بعَظْم الصُّلْب عند الخاصِرَتَيْنِ تحت الشّحْم (**لمكانهما مِنَ البَوْلِ**) أي : لكون مكانهما قريبًا من البول ، قالت الأطِبَّاء : إذا طبخ الطعام في المَعدة وَانْفَصل منها ما يَنْفصل إلى الأعضاء انْفصَلتِ المَائية إلى الكُلْيَتَيْن ، ثم إلى المَثانَةِ ، ثم إلى الإحْليل[٥] ؛ والله تعالى أعلم .

(**وكان لا يَأكل مِنَ الشاة سَبْعًا[٦] : الذَّكَرَ ، وَالأُنْثيَيْن**) أي : بَيْضَتي الذَّكَر (**والمَثانَةَ**) أي : موضع البَول (**والمَرَارة**) وهو : قشْر فيه الماء الذي إذا أصاب لَحْما أفسَده

---

(١) انحدارًا - تُبَنْ كِتْمَكْ ، (عجم) .
(٢) الغذاء - أي : الإطعام .
(٣) أي : مُنْتَبِرَتانِ . (قاموس) . *
(٤) لازقتان - يَشْغَنْ ، (عجم) .
(٥) الإحليل - وهي : رأس الذكر .
(٦) وكان لا يأكل من الشاة سبعا : إذا ذكَيْتم شَاةً كُلوهَا سِوَى سَبْعٍ فَفيهنَّ الوَبَالُ
فَفاءٌ ثمّ خاء ثمّ غَيْن وَدَال ثمّ مِيمَانِ وَذالُ .
(الفاء) فرج . (والخاء) خُصْية . (والغين) غدّة . (والدال) دم . (والميمان) مرارة ومثانة . (والذال) ذكر .

والغدد ، والحياء ، والدم ، ويكره ذلك ، وكذلك الطحال .

وكان لا يأكل الثوم ، والبصل ، والكراث ، . . . .

(وَالغُددَ) جمع غُدَّة - بضم أوله - سَلْعَة ناتئةٌ (والحَيَاء) - ممدودًا - رَحِمُ النّاقة ؛ على ما في « الصحاح » ، وفي « القاموس » : الحيَاء - الفَرجُ من ذَوات الخُفِّ والظِّلْفِ والسِّبَاع ، ويحتمل هنا : إرادة كِلا المَعْنَيَيْن (والدّم) ولعل المرادُ بالدم هنا : الكبدُ ؛ لأنه دَمٌّ غيرُ مَسْفُوح[١] ، لكنه مُباح لقوله ﷺ : « أُحِلَّتْ لَنَا دَمَانِ الْكَبَدُ وَالطِّحَال »[٢] بقَرينَةٍ (ويكْرهُ ذلك) إذ المَسْفوحُ حَرام بنصّ القرآن ، فلا معنى لعَدِّه بين ما لا يَحْرمُ أكْلُهَا ، ويندب تركها تأسّيًا به (وكذلك) كان يكره (الطِّحال)[٣] ككتاب ؛ قِطعَة منَ الدم الغير المسفوح مُلتصقةٌ بالكَرش[٤] ، وهو : مَحل الفَرْث[٥] أي : السِّرْجِين .

(وكان لا يأكل الثُّوم) - بالضم (والبَصل) - محرَّكةً (وَالكُرَّاث) في « الصحاح » هو : بَقْلَةٌ معروفة ، وفي « القاموس » : كرُمَّانٍ وكَتَّانٍ ، وكسَحاب : شجَر كبارٌ رأيتها بجبال الطائف ؛ انتهى ، أي : كان ﷺ يَتْرُك الثلاثةَ دائما ؛ لأنه يَتوقعُ مَجيءُ الملائكة والوحي كلَّ ساعة ، واخْتلفُوا في حكمها في حقِّه ﷺ ، فقيل : مُحرّمة ، والأصح عندنا : أنها مكروهةٌ كراهة تَنْزيه لا محرّمَة ، ومن ثم كان آخر طعام أكْله ما فيه بَصل ، وإنما أكَلهُ حينئذٍ لبيان الجواز ، وهو واجبٌ في حَقّه على أنهم خصُّوا النَّهْيَ بالنِّيءِ[٦] لحديث : (نهى رسول الله ﷺ عن أكْل الثُّومِ إلا مَطْبُوخا) ، لكن الجلال السيوطي عَدّ في « أنموذجه » : من خَصائِصه ﷺ :

---

(١) غيرُ مَسفوح - خُخ هـِجُـكُن ، سَفحَ - تُكْدِي ، (عجم) .
(٢) قال ﷺ : « أحِلَّتْ لنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ : السَّمَكُ والجَرَادُ ، والكَبِدُ والطِّحَالُ » . *
(٣) كان يكره الطحال - فيه تأمل .
(٤) الكِرْشُ ، بالكسر وككَتف ، لكل مُجْتَرٍّ : بمَنْزِلَة المعِدَة للإنسان ، مُؤنَّثة . (قاموس) .
(٥) الفرث - فَكُلِ ، قَرِينْ . (عجم) .
(٦) النيءُ : بكسر النون وتخفيف الياء وبهمزة ممدودة ، « تصحيح التنبيه » . بمدّ النون والهمزة ، « مطالب » . النيءُ - عَطْكُيَبْ ، (عجم) . أي : الذي لم يطبخ .

وما ذم طعاما قط ؛ لكن إذا أعجبه أكله ، وإن كرهه تركه .

وكان لا يأكل متكئا ، ولا على خوان ، . . . .

تحريمُ أكلِ مَا لَهُ رائحةٌ كَريهة . فينبغي لمحبّيه مُوافقتهُ[١] في تَرْك الثوم ونحوه ، وكراهةُ ما كان يكرَههُ[٢] ، فإن مِن أوصاف المحبّ الصادِق : أن يُحبّ ما أحبَّ مَحْبُوبُه ويكره ما كرهَهُ ؛ هذا . ولكن الثوم ونحوه في دِيارنا قد اختَلط بلُحُومنا ودِمَائنا لاضطرارنا إليه للإدام ؛ فلعل الضرورَةَ تُبيحُ المحذُورات .

(**وما ذمَّ طعامًا قطّ**) إلا أن يكون حرامًا ؛ فكان يُعيبُه ويذمُّه ويَنهى[٣] عنه[٤] (**لكن إذا أعجبَه**) أي : أحبّه (**أكلهُ ، وإن كرههُ تركهُ**) وهذا مِن آداب الطعام المتأكّدة ، ولا فرْق بين عَيْبِهِ مِن جِهَة الخِلقَة ولا من جهة الصَّنْعة مِثْل أن يقال : مَالحٌ ، حَامض ، قليل الملح ، غير نَاضِج ، إلا إن قُصد تأديبهُ[٥] بذلك فلا بأسَ .

(**وكان لا يَأكل مُتّكئا**) أي : مائلاً مُسْتندا إلى شيء مِن الجانبَيْن ، ولا مُعْتمدا على وِطاء تَحْته ؛ لأن هذا فعْل مَن يُريد الاستكثارَ مِن الطعامِ ، فيُكرَهُ كل منهما في حَقّه وحقّنا أيضا ، ويكره أيضا : الأكْل مُضْطَجعًا إلا في نحو الفاكهَة ، ولا يُكرَه قائمًا لكنَّه قاعدا[٦] أفضل ، والسّنة : أن يَجْلس جَاثيًا[٧] على رُكبتَيْه وظهُور قدمَيْه أو ناصبًا رِجْلَهُ اليُمْنى ومفترشَ اليُسْرى (**ولا على خُِوَان**)

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم . ❋

(٢) أي : صلى الله عليه وسلم . ❋

(٣) فضلا عن تناوله . منه .

(٤) وكان ﷺ إذا عافت نفسه الطعامَ لم يأكله ، ولم يحمِّلها إياه على كُره ، وهذا أصل عظيم في حفظ الصّحة ، فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه ، ولا يشتهيه ، كان تضرّره به أكثر من انتفاعه . قال أنس ﷺ : ما عاب رسول الله ﷺ طعَامًا قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه ، ولم يأكل منه . ولمّا قدِّم إليه الضَّبُّ المشويُّ لم يأكل منه ، فقيل له : أهو حرام ؟ قال : « لا ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْض قَوْمِي ، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ » . فراعى عادته وشهوته ، فلما لم يكن يعتاد أكله بأرضه ، وكانت نفسه لا تشتهيه ، أمسك عنه ، ولم يمنع من أكله مَن يشتهيه ، ومن عادته أكله . « فصول : صـ ١٩٩ » .

(٥) تأديبه – صانع .

(٦) قاعدا – حال .

(٧) جاثيا – للأكل .

ولا في سكرجة قط ، قيل لأنس : فعلى ما كنتم تأكلون ؟ قال : على السفر .

وكان إذا أكل يستعين باليدين جميعا ، أكل يوما رطبا بيمينه . . . . .

- بكسر أوله المُعْجم ويجوز ضَمّه - : المائدة ؛ ما لم يكن عليها طعام[١] ، وهو - مُعْرَبٌ - يَعْتاد بعض المتكبّرينَ والمُترفينَ[٢] الأكلَ عليه احْترازًا عن خَفْض رُؤوسهِمْ ، فالأكلُ عليه بِدعة لكنها جائزة (**ولا في سُكُرَّجَة**) - بضم السين والكاف وتشديد الراءِ المُهْملة المفتوحة ، وقيل : المضمُومَة - : إناءٌ صَغير يُجْعل فيه ما يُشْتهَى ، ويُضَمُّ على المَوائد[٣] حول الأطعمَة ، وقيل : قد يُطْلق على الكبيرةِ . وعدم الأكل فيها ؛ لأن في الأكل منها تكبّرا ؛ ولأنها مِن علامات البُخْل ، والعَرَبُ طُبِعُوا على السَّماحَة[٤] والسَّعة بخلاف العَجَم - الفاعِلينَ لذلك - فإنهم طُبعُوا على الضِّيق والعُسْر والشُّحِّ[٥] ؛ إلا مَنْ شرحَ الله تعالى صَدْرَهُ وطَهّر خُلْقَه (**قطّ ، قيل لأنسٍ**) بنِ مالك خادمِ رَسُولِ الله ﷺ : (**فعَلى ما كنتم تَأكلون ؟**) استفهام ، والخطابُ لأنسٍ رضي الله عنه ، والمراد : هو والنبي ﷺ والصحابة المتأسُّون بأحواله (**قال**) أنسٌ : كُنَّا نأكل (**على السُّفرِ**) جمع سُفْرة[٦] ، وهي في الأصل : طَعامٌ يَتَّخذه المُسَافر ، والغالبُ أنه يحْملهُ في جلدٍ مُسْتدير ، فنُقِل اسمُهُ[٧] إلى ذلك الجِلدِ وسمّي به ، واشتهرتْ لِما يُوضَعُ عليه الطعامُ جِلْدًا كان أو غيرهُ ، ما عدا المائدة لِما مرَّ أنها شِعَارُ المُتكبّرينَ أي : غالبًا .

(**وكان**) ﷺ (**إذا أكلَ يَسْتعينُ باليدين جميعًا**) لأن ذلك شأنُ المُتواضع ، وهو ﷺ رَأس المتواضعينَ (**أكلَ يومًا رُطبًا بيَمينهِ**) والأكل باليمينِ أدَبٌ من آداب

---

(١) والمائِدَةُ : الطعامُ ، والخِوانُ عليه الطعامُ . (قاموس) . المائدة بأنها خوان عليه الطعام . « فتح الباري : ٧٢٧/١٠ » . *

(٢) أي : النعمة .

(٣) على الموائد - تِفْسِ ، (عجم) .

(٤) أي : الجود .

(٥) أي : البخل .

(٦) سُفرة - بضم أوّله . منه .

(٧) أي : الطعام .

وحذف النوى في يساره ، فمرت شاة فأرى إليها النواة فجعلت تأكل ما في يده اليسرى حتى إذا فرغ انصرفت الشاة .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل يلعق أصابعه . . . .

الطعام[١] لقوله ﷺ : « كُلْ بِيَمِينِكَ » أي : نَدْبًا على الأصح ، وقيل : وُجُوبا ، ويدل له ما في « مسلم » : أنه ﷺ رَأى مَنْ يأكل بشِمالِهِ فنَهاه ، فقال : لا أَسْتطيعُ ، قال : « لاَ اسْتَطَعْتَ » فَشُلَّتْ يَمينُهُ ، فلم يَرْفعها إلى فيه حتى مات[٢] ، وورد : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ بِشِمَالِهِ »[٣] (**وحَذف النوَى**) أي : عُجْم الرُّطب (**في يَساره**) وهذا أيضا أدبٌ منها[٤] ؛ لأن تَميُّز النّوى والعُجْم مِن غير مخالطة ما يُؤكل مُسْتحبٌّ (**فمرّتْ شَاة**) برسول الله ﷺ (**فأرَى إليها النواةَ**) - عُدِّيَتْ أرَى بـإلَى - لتضمّن معنى الإمالةِ (**فجعَلتْ تأكل ما في يَده اليُسرى حتى إذا فَرغ**) رسول اللهِ ﷺ من الأكل (**انصَرفت الشَّاة**) وهذا أيضا من كمال تواضعهِ ﷺ وتمام رَأفته للخَلْق .

(**وكان ﷺ إذا أكل يَلعَق**) - بفتح العينْ[٥] - مضارع لَعِقَ - بالكسر - أي : يَلْحَسُ بعد الأكل ، فيُسنّ - قبل المَسْح أو الغَسْل وبعد الفراغ من الأكل لا في أثنائهِ ؛ لأن فيه تَقْذيرَ الطعام - أن يَلعَقَ[٦] (**أصابعَه**) الثلاثَ : الإبهام والسَّبابةَ والوُسطى ، يَبدأ بالوُسْطى لكونها أكثرَ تَلْويثا إذ هي أطْول ، ثم بالسبابة ثم الإبهامِ ، ويُسْتحبّ تَثْليثُ اللعَق بأن يَلعَق كلَّ إصْبَع ثلاثًا مُتوالية لاستقلالِ كلٍّ ، فناسبَ كمالُ تَنْظيفها قبل الانتقال إلى البَقيّة ، ولَعْقُ الإناءِ أيضا لخبر : « مَنْ أكَلَ فِي قَصْعَةٍ ثُمَّ لَحِسَهَا استغْفرَتْ لَهُ القَصْعَةُ » ، وَأكْلُ ما سقَطَ من الخِوان أو القصعة[٧] لما رُوي : « أَنَّ

---

(١) المتأكدة . منه .
(٢) أكل عنده رجل بشماله فقال : « كُلْ بِيَمِينِكَ » قال : لا أستطيع ، قال : « لاَ اسْتَطَعْتَ » ما منعه إلا الكِبْر ، فما رفعها إلى فيه . « بهجة : صـ ٤٨٨ » . *
(٣) = « وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ » . *
(٤) أي :أدب من آداب الطعام المتأكدة . *
(٥) وبضم الياء وكسر العين أي : يُلحسها لمن لا يستقذره من زوجة أو ولد أو خادم أو حيوان طاهر . منه .
(٦) أن يلعق - فاعل يسن .
(٧) إن بقي طاهرا ؛ وإلا فيطعمه هرة أو كلبا . منه .

ولا يمسح بالمنديل حتى يلعق واحدة واحدة ويقول : « لا يُدْرَى فِي أيِّ الطَّعَامِ الْبَرَكَةَ » ، . . . .

مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَمِنَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ[1] وَعُوفِيَ فِي وَلَدِهِ » ، والأكل بثلاث أصابعَ لحديث : (كان ﷺ يأكل بأصابعهِ الثلاثِ) أي : إنْ كَفَتْ ؛ وإلا كما في المائع زاد بحسَب الحاجة ، وذلك لأن الأكل بأَصْبَعٍ أكلُ المتكبّرينَ ، لا يَسْتلِذُّ به الآكلُ ، وبأصْبعَيْن من الكبر أيضا ، وبأربعٍ وخمسٍ من الشَّرَه[2] ، وأما ما رُوي عنه من الأكل بخمسٍ فمحمُول على المائع ، ويُؤخذ من هذا : أن الأكل بالملاعِق بدعة وهو كذلك ؛ لكنه مُباح (**ولا يَمْسَحُ بالمِنْديل**)[3] قال في « الإحياء »[4] : منديلهُ[5] باطن قدمَيْه (**حتى يَلْعق**) أصابعَه (**واحدةً**) ثم (**واحدة**) بالاسْتقلال كما مر ، والأصبع - يُذكّر ويُؤنّثُ[6] (**ويقول : « لا يُدْرَى فِي أَيِّ الطَّعَامِ الْبَرَكَةَ »**)[7] أي : استمراؤُه على الآكِل ونُموُّه ، وحصولُ مَنافعه له ، وزَوال مُضارِّه عنه .

تنبيه : ينبغي عدم الاستقذار مما صح عن النبي ﷺ ، وعدم استقباحهِ ، فإنه رأسُ أصحاب المروّة ، وأُولي الألباب ؛ إذ ليس في اللعق أكثرُ من مصِّ الأصبع ، ولا فرْق بين ما عُلِق بالأصْبَع وبين ما يأكُله ؛ لأنه جُزْؤُه ، ولا يلْتفتُ إلى ما سَنَّ السُّفهاء من المتكبّرين حتى أنهم عَدُّوا البدعةَ سُنةً والسنةَ بدعة ، ومثلُه كثيرٌ في الدِّيار ، نسأل الله الغفار أن يُنقذنا من الوبار .

---

(١) الجذام داء . منه .
(٢) الشَّرَهُ : غَلَبَةُ الحِرص . (ص) .
(٣) أي : بكسر الميم .
(٤) وهو كتاب « إحياء علوم الدين » ، لأبي حامد الغزالي .
(٥) لكن فيه حلّ التمندل بعد الطعام ؛ والله أعلم . منه .
(٦) وفيه عشر لغات تثليث همزه مع تثليث الباء . « حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح : ٨٦/١ » . *
(٧) أي : في أيِّ جزء من أجزائه البركة ؛ أي : فيما أكل أو في الباقي بأصابعه أو الباقي بأسفل القصعة . منه .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ الله يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ » . وروي عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى الله مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الأَيْدِي » اهـ . « فتوى المخلص » .

وإذا فرغ قال : « أَللَّهُمَّ ؛ لَكَ الْحَمْدُ أَطْعَمْتَ وَأَشْبَعْتَ وَسَقَيْتَ وَأَرْوَيْتَ ، لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ » .

وكان إذا أكل الخبز واللحم - خاصة - غسل يديه غسلا جيدا ، . . . . .

(**وَإذا فرغ**)[١] ﷺ (**قال : « اللَّهُمَّ ؛ لَكَ الْحَمْدُ »**) على ما (**« أطْعَمْتَ وَأشْبَعْتَ وَسَقَيْتَ وَأرْوَيْتَ »**) - بتاء الخطاب في الكل (**« لَكَ الْحَمْدُ »**) حمدًا (**« غَيْرَ مَكْفِيٍّ »**) - بفتح الميم وإسكان الكاف وتشديد الياء - مَفْعُول مِن كفى يكفي ، إذا دَفع شيئًا أي : غير مَدْفُوع عَنا ؛ أي : لا نَتركهُ بل نُلازمُه أو هو مكفُورٌ لمعنى حَمْدا مُعْترفًا به على نِعَمِه (**« وَلاَ مُودَّعٍ »**) - بتشديد الدال المفتوحةِ - أي : غيرَ مَتْرُوكٍ (**« وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ »**) - بفتح النون - أي : غير مَفْروغٍ عنه . وهذا الأخيرُ يُشْعِر أن لا اسْتغناءَ لأحدٍ عن الحمد لوُجوبه على كل مكلّف ؛ إذ لا يخلوا عن نعمة بل نعمٍ لا تُحْصَى ، وهو في مُقابلَة النِّعَم واجبٌ أي : يُثابُ ثوابَ الواجب .

ومما ورَد فَضْله إذا أكَل طعامًا : « الْحَمْدُ لله الَّذِي أطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ » ، فقد صح : « أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

(**وكان**) ﷺ (**إذا أكل الخبزَ واللحمَ خاصّةً**) لأن في اللحم ريحًا وزُهُومةً وسَخًا يُطلبُ زوالُها ، وقد صح خبرُ : « مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غمَرٌ لَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ » (**غسَل يدَيْه غسْلا جيّدا**) وهذا أيضا من آداب الأكل ، فقد صح : « أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ » أي : غَسْلُ اليدين ، وقيل : حَقيقةُ الوضوء ، وصح أيضًا : « أَنَّ الْوُضُوءَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ يَنْفِي الفَقْرَ » ، وغير ذلك ، وهو من سُنن المرسلينَ ؛ إذ الأكلُ بقَصْدِ الاستعانة على الدين عبادةٌ ، فهو جَديرٌ بأن يُقدِّم ما يَجْري مَجْرَى الطهارة

---

(١) أي : من الأكل .

ثم يمسح بفضل الماء على وجهه .

منَ الصلاةِ ، لكن ذهب النووي ﷺ : أن الغَسْل بعده إذا عُلِّق بهما شيءٌ ؛ وإلا فلا يُسنّ ، وكذا قبْلَهُ إن تحققَ نظافتُهمَا أي : لو كان يأكل وحده ؛ وإلا فيُظهَر سَنُّ غَسْلِهِمَا مُطْلقا تَطيُّباً لخاطِر جليسه[١] ، وأما ترتيب الغَسْل فالسنةُ : تَقديمُ الصِّبيان في الغَسْل قبْلَه ، وكذا صاحب الطعام ؛ لكن يتأخّر بعده ليَدْعوَ الناسَ إلى كرَمه (**ثم يمسَحُ بفضْل الماء على وَجْهِهِ**) أي : يَمْسح بِبَلَل اليَدَيْن لوصُولِ البَرْكة إلى وَجْهِهِ . وبقي للأكل آداب كثيرةٌ ، اسْتَوْعبها وبلَّغهَا إلى قريب مِن سَبْعين شيخُ الإسلام القاضي زكريا ﷺ في « شرح البَهْجَة »[٢] ، في باب الصَّداق ، فارجعه إن تكُنْ تُريد الأدبَ .

وكان على المصنف ﷺ أن يُبيِّن إدامَ رسول اللهِ ﷺ ، وهو : بكسر الهمزة - ما يُؤكل مع الخُبْز مائعًا أو غيره لحديث : « سَيِّدُ إدَامِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اللَّحْمُ » ، لكن لما كان مَوْضوع الكتابِ الاختصارَ اكْتفى بالإشارة في باب الطعام .

فمِنْ إدامه ﷺ : اللحْمُ واللَّبَنُ والعَسَلُ والتَّمْرُ والعِنَبُ والخَلُّ والزَّيْتُ .

ومنْ مَأكولاته أيضا : الثَّريدُ ، وهو : بفتح المثلثةِ - أن يُثْرِدَ الخُبْزُ بِمرَقِ اللحم ، وقد يكون معه اللحمُ[٣] ، ومنها : الأَقِطُ ، وهو : ككَتْفٍ لَبن يُجْمَدُ بالنارِ بلا نَزْع زَبَدِهِ ، ومنها : المَرَقَةُ التي فيها الدباء[٤] ، وهذه تَصلُح للإدام أيضًا ، وأكلُ الخبزِ بالإدام من أسباب حفْظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدِهما ؛ والله أعلم .

(١) لكن وَرد عن مالك : أنه (أي : الغسل) ليْس من الأمْرِ المعمُول به . منه .
قال البَيْهقيّ : وكذلك صاحبنا الشافعيّ ﷺ استحبّ تركهُ . « زواجر : ٥٨/٢ » .
(٢) وهو كتاب « الغُرر البَهيَّة في شرح البهجة الوَردية » وهو شرح زكريا الأنصاري على « البهجة الوردية » لعمر بن مظفر الوَرْدِيِّ .
(٣) والثريد وإن كان مركبًا ، فإنه مركب من خبز ولحم ، فالخبزُ أفضلُ الأقوات ، واللحم سيد الإدام ، فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية . وتنازع الناس أيُّهما أفضل ؟ والصواب : أن الحاجة إلى الخبز أكثر وأعم ، واللحم أجلُّ وأفضل ، وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه ، وهو طعام أهل الجنة . « فصول : صـ ٢٧١ » .
(٤) أي : والقديد أيضا . منه .

فصل في بيان شربه

وكان رسول الله يشرب في ثلاث دفعات له فيها : ثلاث تسميات ، وفي أواخرها : ثلاث تحميداتٍ ، وكان يمص مصا ولا يعب عبا ، وربما يشرب بنفس حتى يفرغ ، وكان لا يتنفس في الإناء .

فصل
(في بَيان شُربِهِ) وشَرابِهِ ﷺ

مرَّ تفسيرُ الشرب .

(وكان رسول الله) ﷺ عَطْف على كان السابق ، وأما الترجمةُ فمُعْتَرَضة للفَصْل (يشرب) كيَعْلَمُ (في ثَلاثِ دَفعاتٍ) في « الصحاح » : الدُّفْعَة - بالضم - من المَطر وغَيْرِه ، والدَّفعة - بالفتح - المرة (له فيها : ثلاث تَسْمِيات وفي أواخرها : ثلاثُ تَحْمِيداتٍ) أي : كان ﷺ يَشْرَبُ في ثلاثة أنفاسٍ إذا أدْنى[١] إلى فيه سَمَّى اللهَ تعالى ، وإذا أَخَّر حَمِدَ الله تعالى ، يفعل ذلك ثلاثا ، قالوا : يقول[٢] بعد الشُّرْبة الأُولى : الحمد لله ، والثانيةِ : الحمد لله رب العالمين ، والثالثةِ : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، وحكمة التثليث : أنه إذا شرب دَفعَةً واحدةً يُخْشى منه الغَصُّ في الحُلْقوم لكثرة الوارد عليه ، وإذا شرب على دفعات أَمِنَ مِن ذلك (و)لذلك (كان يَمصّ[٣] مَصًّا ولا يعبُّ عبًّا)[٤] أي : لأن العبّ يُورِثُ الكُباد ؛ كما صح به الخبر ، والكباد : - بضم الكاف وتخفيف الموحَّدة - وَجْعُ الكَبِدِ (وربّما) كان (يَشربُ بِنَفسٍ) محرّكة العَيْن (حتى يفْرغَ) من الشرب ، كأنه لبيان الجواز (وكان لا يتنفّسُ في الإناءِ) لأنه يُغيِّر الماء ، إما لتغيّر الفَمِ بمَأكُولٍ أو ترك سواكٍ أو لأن النَّفَسَ يَصْعدُ ببُخارِ المَعدَة .

---

(١) أي : الإناء . *
(٢) أي : الشارب .
(٣) يمصّ - سُرُق ، (عجم) .
(٤) يقال : عبّ إذا شرب شربا عَنيفًا ، العَبُّ : شُرب الماء من غير مَصٍّ .

وكان يدفع فضل سؤره إلى من كان على يمينه ، وأتي بإناء فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال : « شُرْبَتَانِ فِي شُرْبَةٍ ، وَأُدْمَانِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ » ، . . . . . .

(وكان يدْفعُ) أي : يُعْطي (فَضْل سُؤْره) الإضافة بيانيّة ؛ لأن السُّؤْر - بضمّ السين - البَقِيَّة ، وهو معنى الفضل ؛ أي : كان يُناولُ ما بَقي مِن شرابهِ (إلى مَنْ كان على يَمينه) كما في حديث ابنِ عباس رضي الله عنهما قال : (دَخلتُ مع رسول الله ﷺ أنا[1] وخالد بنُ الوليد على مَيْمُونةَ[2] ، فجائتْنا بإناء من لَبَن ؛ فشرِبَ رسول الله ﷺ وأنا على يَمينهِ وخَالدٌ عن شِمالهِ فقال لي : « الشُّرْبَةُ لَكَ ») أي : لأنك صاحبُ اليَمين ؛ فالحقّ له ، (« فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ[3] بِهَا خَالدًا ») أي : لكوْنهِ أشرف منك ، (فقلتُ : ما كنتُ لِأُوثِرُ على سؤرِكَ) أي : ما بقي منك (أحدا) ، وأستَفيد من هذا الحديث : تقديمُ الأيمن[4] ولو صَغيرًا مفضولا ، وأن لِمَن على اليَمين الإيثارَ[5] وأنه لا ينافي الكمال ، وقد يُسْتشكل بكراهَةِ الإيثارِ بالقُرَبِ[6] ! ويجاب : بأن مَحلَّ الكراهة حيث آثر مَنْ ليس أولى منه بذلك ؛ وإلا كما هنا ، وكتَقْديم غيرِ الأفقهِ الأفقهَ في الإمامة فلا كراهةَ (وأُتِي بإناء فيه لبنٌ وعَسل) مَخْلُوطَيْن (فأبَى) أي : امتنَعَ (أن يَشربَه) أي : ما في الإناء (وقال :) هذه (« شُرْبَتَانِ[7] فِي شرْبَةٍ ») أي : دُفْعَةٍ واحدةٍ (« وَأُدْمَانِ ») والأدمُ - بضم فسكونٍ ، والإدام - بالكسر - بمعنى واحدٍ ، وجمعُ الإدام : أُدُمٌ - بضم أولَيْه كائنانِ (« فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ ») فكيف أشْربَه مع ما به من سَرف . ولا ينافي هذا ما صح : (أنه كان أحبُّ الشرابِ إليه) ﷺ (الحلوَ الباردَ) ، وأنه : (كان يَشْربُ العَسلَ المَمْزُوج بالماءِ البارِدِ) ؛ لأنه ليس هنا جمعُ الأُدْمَيْن ؛ وإنما فيه استعْذابُ الماءِ ، وهو

---

(١) تأكيد ؛ بتاء دخلت .
(٢) أي : أمّ المؤمنين . *
(٣) أي : اخترت .
(٤) الأيمن - ندبا .
(٥) أي : إيثار غير .
(٦) أي : الطاعات .
(٧) أي : مشروبان . منه .

ثم قال : « لا أُحَرِّمُهُ ؛ وَلَكِنْ أَكْرَهُ الْفَخْرَ وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غَدًا » .

وروي : أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها ، فإذا التمر المنقع في الحياض وهم يتناولون منه ويشربون منه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اسْقُونِي » ، فقال العباس : يا رسول الله ؛ إن هذا النبيذ شراب قد معكه أيدي الناس ، أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا في جرة مخمرة في البيت ؟! فقال : « لاَ ؛ . . . .

لا يُنافي الزُّهْدَ ؛ لِمَا أنْ لَيْس في المالِح فَضيلَةٌ ، بخلافهِ ثمّة ؛ فإن فيه جَمْع الأُدْمَيْن المُسْتقلُّ كلُّ منهما أيَّ استقلال إذ لا خيْرَ من اللبن كما مر ، وسِيادَة العسل غيرُ خفيٍّ ، فكرهَ ﷺ جمعَ هذين الأدمين النفيسَيْن لاكتفاء كل منهما

(**ثم قال : « لا أُحَرِّمُهُ »**) أي : لأنه زينَةُ الله التي أخرجها لعباده ؛ ولم يَعْرِضْهُ[1] مُحرَّمٌ شَرْعيٌّ (**« وَلَكِنْ »**) عَدم شُرْبي إياه : لأني (**« أَكْرهُ الْفَخْرَ »**) أي : الافتخارَ بأكل الملاذِّ النفيسَة وشرْبِها (**« وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غدًا »**) أي : أخشى أن يكون إسرافًا وهو مَحلُّ الحساب يومَ القيمَةِ .

(**وروي : (أنه ﷺ لمّا طاف بالبَيْتِ)**) العَتيقِ (**(عَدَلَ)**) أي : مال (**(إلى)**) ماء (**(زَمْزَمَ لِيَشْربَ منها ، فإذًا التمرُ المنْقعُ)**) اسم مفعول من أنْقَعْتُ الدواءَ وغيرَه في الماء ، فهو مُنْقعٌ ، والنقيع : شرابٌ يُتّخذ مِن زَبيب ينْقعُ في الماء من غير طبخٍ (**(في الحِياضِ)**) جمع حَوْض (**(وهُمْ)**) أي : والحال أن الناس (**(يَتناوَلون)**) أي : يأخذون بأيديهم (**(منه)**) أي : من ذلك الماء (**(ويشْرَبون منه ، فقال ﷺ : « اِسْقُونِي »)**) - بوَصْل الهمزة وقطْعِهَا - من سقاهُ الله تعالى يَسْقيه وأسْقاهُ (**(فقال)**) عَمُّه (**(العباس)**) رضي الله عنه : (**(يا رسول الله ؛ إن هذا النَّبيذ شرابٌ قد مَعَّكهُ)**) من مَعكه في التراب كمَنَعَهُ دَلَكَهُ (**(أيدي الناسِ ، أفلا آتِيك بشراب أنظفَ من هذا)**) كائنٌ (**(في جَرَّة)**) أي : ظَرْفِ خزَفٍ (**(مُخَمَّرة)**) بوَزْن مُمدَّدَة أي : مُغطّاة بغطاء مَحْفوظة (**(في البيت ؟ فقال : « لاَ »)**) أي : لا تأت ،

---

(١) ولم يعرضه - حال .

اسْقُونِي مِنْ هَذَا الَّذِي شَرِبَ النَّاسُ ، أَلْتَمِسُ بَرَكَةَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ » ، فشرب .

وكان له مطهرة من فخار يتوضأ منها ويشرب ، فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا ، فيدخلون عليه ولا يدفعون عنه ، فإذا وجدوا فيها ماء شربوا منه ، ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ، يبتغون بذلك البركة .

بَلْ ((« اسْقُونِي مِنْ هَذَا الَّذِي شَرِبَ) مِنْهُ (النَّاسُ ، أَلْتَمِسُ »)) استئناف ، كأنه سُئل : ما الحكمةُ في شُرْب ذلك بتَرْك الأنظَف ؟ فأجاب : بأنه يَطلبُ ((« بَرَكَةَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ »)) أي : زيادةَ خير بمُباشرة ما باشرُوهُ ؛ إذ في بقيّة آثار الصالحين بَركة لا تَخْفى ، فناوَلوا منه فتناول ((فَشرِبَ)) وفي هذا من عظيم تواضُعهِ ما لا يخفى .

(وكان له مَطْهَرة) - بفتح الميم وكسْرها - إناء يُتَطهَّر به ، وهي : الإداوة[١] (مِنْ فَخّارٍ) بِوَزن شَدَّادٍ أي : خَزَفٍ (يَتوضّأ منها ويَشربُ ، فيُرْسِل الناسُ أولادَهُمْ الصِّغارَ الذين قد عَقَلوا ، فيدخلون عليه) أي : على رسول الله ﷺ (ولا يُدْفَعُون عنه) أي : لا يُمْنَعونَ إذ لم يكن له بَوَّابٌ ولا حاجبٌ (فإذا وَجدوا فيها) أي : المَطهرة (ماء شَربوا منه ، ومَسَحوا على وُجوههم وأجسادهم ، يبْتغُون) أي : يَطلبُون (بذلك) الشرب والمسْح (البركةَ) وفي هذا من عظيم لُطْفه ما لا يخفى .

ومِن آداب الشُّرْب : كونُهُ قاعدًا للنهي عن الشرب قائمًا[٢] ، وإنما فعَل ﷺ ذلك لبَيان الجواز ، ومنها : أن لا يشربَ على الطعام لئلا يُفْسدَه لا سيّما إن كان حارّا أو باردًا[٣] .

---

(١) الإداوة ، بكسر الهمزة وهي : المِطْهَرة . (قاموس) .

(٢) أي : بقوله ﷺ : « لا يَشْرَبَنَّ أَحَدُكُمْ قَائِمًا ؛ فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ » . وأما شربه ماء زَمْزم قائما كما رواه ابن عباس ﵄ فلبَيان ، أن النهي ليس للتحريم بل للتنزيه ، وأن الأمر بالاستقاء ليس للإيجاب بل للندب ، فيكون مُبيّنا للجواز ؛ فهو كَوْله قائما في بعض الأحيان . منه .

(٣) ويكره شرب الماء عقيبَ الرياضة ، والتعب ، وعقيبَ الجِماع ، وعقيب الطعام وقبله ، وعقب الحمام ، وعند الانتباه من النوم ، فهذا كلُّهُ مُناف لحفظ الصحة ، ولا اعتبار بالعوائد ، فإنها طبائع ثوانٍ . « فصول : صـ ٢٠٥ » .

فصل في بيان جلوسه صلى الله عليه وسلم

وكان أكثر جلوسه : أن ينصب ساقيه ويمسك بيديه عليهما ، وكان يجلس عند الأكل جامعا بين ركبتيه وبين قدميه ، كما يجلس المصلي ؛ إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم تكون فوق القدم ، . . . .

فصل

(في بَيان جُلوسِه ﷺ

وكان أكثر جُلوسه : أن يَنْصِبَ سَاقيْه ويُمْسِكُ بيَدَيْه) أو بثوْب (**عليهما**) أي : مُحْتويًا على السَّاقَين ، وهذا هو الإحْتِباءُ ، ويُرادِفه القُرْفُصاء - بتثليث القاف والفاءُ مقصورًا أو بالضم ممدودًا - ، والإقْعاءُ[١] ، وهذه الهيئة مَكروهة في الصلاة ، وإنما لم يُكرَهْ هنا ؛ لأنه ثمّة تَشبُّهٌ بالكلابِ وهنا تَشبُّهٌ بالأرِقَّاءِ ، فَفيه غاية التواضُع ، ومن ثمة قال ﷺ : « إنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ، وَآكُلُ كَمَا يَأكلُ الْعَبْدُ » .

(**وكان يجلسُ عند الأكل جامعًا بين رُكْبتَيْه وبين قدمَيْه ، كما يجلسُ المصَلي**) في صلاتِه (**إلا أن الركبة تكون فوق الرُّكبَةِ والقدمَ تكون فوق القدمِ**) أي : تكون إحدى الركبتين ناصبةً والأخرى مُفْترشةً ، وكذا القدمُ الواحدةُ تكون مُنْبسطَةً على بَطْنِهَا والأخرى مُفْترشةً ، إلا أن المصنف عَبّر بالفَوْقيّة تسامحًا ؛ وإلا فلا يُتصوَّرُ الجُلوسُ على تلك الهيئة ؛ والله أعلم .

لكن قال ابن القيم : إنه ﷺ كان يجلسُ للأكل : مُتورّكًا على رُكبتَيْه ، ويضعُ بَطْن قَدمه اليُسْرى على ظهْر اليُمْنى تواضعًا لله تعالى وأدبًا بين يَدَيْه ،

ونهى رسول الله ﷺ عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة وقال : « الَّذي يَأكُلُ ويَشْرَب في آنِيَةِ الذَّهبِ والفِضَّةِ إنَّما يُجَرْجِرُ في بَطنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ » . « بهجة المحافل : صـ ٤٩٤ » . *

(١) الإقعاء : أن يلصق أليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره . « مواهب : ٤٠٩/٢ » . *

ويقول : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ، وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ » .

وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في أمر الآخرة تكلم معهم ، وإن تكلموا في أمر الدنيا تكلم معهم ، وإن تكلموا في الطعام والشراب تكلم معهم رفقا بهم ، . . . .

قال : وهذه الهيْئةُ أنفع هَيْئاتِ الأكل وأفضلها ؛ لأن الأعضاء كلَّهَا تكون على وَضْعها الطبيعيّ الذي خلقها الله تعالى عليه ، وتقدم الجُلوسُ المُسْتحَبُّ ؛ والاتِّكاءُ المَكروهُ . وأما الجلوسُ المَنْهيّ عنه فهو : أن يأكل الرَّجُلُ وهو مُنْبَطِحٌ[1] على وَجْهه .

(**ويقول : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ »**) لاخْتياره العُبوديّةَ المحْضةَ حتى في أفضل ليلةٍ شَرَّفه الله تعالى فيها أي : ليلة الإسراء ، كما في خبر : أن الله تعالى قال له ﷺ في تلك الليلة : بِمَ تُريد أن أُشرِّفَكَ في هذه الليلة ؟ قال : « بِكَوْنِي لَكَ عَبْدًا » فقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[2] ، وصح : أنه أتَى النبيَّ مَلَكٌ لم يَأتِه قبْلُ فقال : إن ربَّك يُخيِّرُكَ بين أن تكون نبيًّا عبدًا أو نبيًّا مَلِكًا ، فنَظر إلى جبرائيل عليه السلام كالمُسْتَشير له ، فأوْمَأ إليه أن تَواضَعْ ، فقال : « بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا » ، فمِن ثمة قال : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ (**أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ، وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ »**) فما رُؤيَ ﷺ يَأكلُ متّكئًا .

وَلمّا بيّن كَيْفية جُلوسهِ ﷺ تعرَّض لكيفية أحواله حين الجلوسِ مع الناس فقال : (**وكان إذا جَلس مع الناسِ**) يُلاطِفهُمْ ويُوافِقهُمْ ، فإنهم (**إن تَكلّمُوا في أمْرِ الآخرة تكلم معهم**) بحَسب أحوالهِمْ (**وإن تكلموا في أمر الدنيا تكلم معهم**) ما لم يكن فيه إثمٌ ؛ إذ لم يَتكلم إلا فيما رَجَا ثوابَه ؛ وإلا فهو من أزْجَر الناس (**وإن تكلموا في**) أمر (**الطعام والشراب تكلم معهم رِفْقا بهم**) علّةً

---

(١) بَطَحَهُ ، كمَنَعَهُ : ألقاهُ على وجْهِهِ فانْبَطَحَ . (قاموس) .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١ .

وإذا قام من المجلس يقول : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « عَلَّمَنِيهِنَّ جَبْرَائِيل عليه السلام » .

تكلمَ الثلاثِ ، ولأن ذِكرَ الدُّنيا والطعام قد يَقْترن به فوائد عِلْميّةٌ أو أدبيّةٌ ، وفي ذلك دليل ظاهرٌ على كمال خُلُقه ، وحُسْن مُعاشَرته ، وغاية تلطُّفه بأصحابه ليزيدَ إقبالُهُمْ عليه واسْتفادَتُهُمْ منه ، ومِن ثمة كان كلامهُمْ معه على غايةٍ مِنَ الخضوع والأدب ، فإذا تكلم ﷺ أطرقَ جُلساؤُه كأنما على رؤوسهم الطيْرُ ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديثَ ، مَن تكلم عنده أنصَتوا له حتى يَفْرغ ، ففي هذا كله مِن غاية أدبِهِمْ وإجْلالهِمْ له ، وهَيْبَته عندهم ، وتَوْقيرهمْ[١] ما لا يخفى (**وإذا قام**) أي : أراد القيام (**مِنَ المجلس يقول :**) أي : ثلاث مراتٍ (« **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ** ») أي : أُنزّهُك مع حَمْدي إياك (« **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ** ») فقد صح : « أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ ؛ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ » (**ثم قال** ﷺ **:** « **عَلَّمَنِيهِنَّ** ») أي : هذه الكلماتِ (« **جَبْرائيل** عليه السلام ») إشارةً إلى الحثّ إلى الاعتناء بها .

---

(١) أي : تعظيمهم . (لغة) .

فصل في بيان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه

كان أفضل الناس منطقا ، وأحلاهم كلاما ، وكان كلامه كخرزات النظم أي : يتوقف بين كلاميه ، ولا يتبع بعضه بعضا . . . .

فصل
(في بَيان ضَحْك النبي ﷺ وكلامهِ)

اعلم : أنه ﷺ كان أفصَحَ الخلق لِسانًا ، وأعْذبَهُمْ كلامًا ، وأسْرعهُمْ أداءً ، وأحكمهُمْ جَنانًا ، وأوْضحَهُمْ بَيانًا ، كيف لا ولسانُه أعظمُ سَيْفٍ مِن سُيوف الله يُبيِّن عنه مُرادَه ، ويَقْصِمُ بسَاطِع نُوره حُجَجَ أهل الفَساد ، ويَهدي به الله تعالى عباده ، وقد قال : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ » ، « وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةِ مُحَمَّدٍ » ﷺ ، ولو استَقْصينا في فصاحة كلامه ، وبلاغة ألفاظه ، وجوامع كلمهِ لَمَّا قدرْنا على عَشْرِ مِعْشار عَشيره ، كيف وقد ارتقى في كل ذلك الغاية القُصْوَى التي لم يُدْركها مخلوق ، حتى قال بَعْضُ العلماء : إن كلامه مُعْجزٌ كالقرآن ، ولكن المصنف رحمه الله أشار إلى جُمْلةٍ منْ أوصاف كلامهِ فقال :

(**كان**) ﷺ (**أفضَل الناس مَنْطِقا**) مَصدر ميميّ بمعنى النُّطقِ (**وأحْلاهُمْ كلامًا**) وإثباتُ الحُلْو للكلام مجاز لأنه من خواصِّ الأجسام (**وكان كلامُه كخَرزاتِ النَّظم**) الخَرَزَة – بتحريك الراء المهملة : الجَوْهَر ؛ وما يُنتظَمُ أي : كالعُقودِ المَنْظومَةِ في استقلالِ كلٍّ بالزينَة ، واكْتساب الجمال بالانضمام (**أي : يَتوقف بَيْن كلامَيْه ، ولا يُتْبعُ بَعْضه بعضًا**) أي : لم يكن يَسْتعجل ويُوالي بين جُمَلِ كلامهِ بحيث يَأتي بعضُهَا إثْرَ بعضٍ ، فإن ذلك يُورثُ لَبْسًا أيَّ لَبْسٍ على السامعِينَ ، بل كان يَفصُل بينها بحيثُ : لو أراد المُستمعُ عَدَّهَا أمْكنَهُ بل كان يُعيدُ الكَلِمَة[1] ثلاثًا – إذا احتاج إليها لتُعْقَل عنه – لكمال هدايته وشفقتِهِ على أمّته ، ومن هنا قالوا : يُنْدبُ للمُعَلِّم أن يَتأنَّى في كلامِهِ ، ويَتحرَّى في إيضاحهِ وبيانهِ ، ويُعيدَه ثلاثًا حتى يُفْهَمَ عنه .

(١) كان يعيد الكَلِمة – الصادقة بالجملة أو الجمل ؛ ويجزء الجملة . منه .

وكان جهير الصوت ، وطويل السكوت ، ولا يتكلم في غير حاجة ، ولا يقول إلا حقا ، ويعظ الناس بالجد والنصح .

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تبسما ؛ ما لم ينزل عليه قرآن أو لم يذكر الساعة ، وكان يضحك من غير قهقهة ، . . . .

(**وكان جَهير الصَّوت**) أي : كان صوْته أحسنَ الأصْوات ، لخبر : (مَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى نَبِيًّا قَطُّ إلاَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ حَتَّى بَعَثَ الله تَعَالَى نَبِيُّكُمْ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ) ، وكان إذا خَطبَ يَسْمع صَوْته الجَواري في البيوت وراء أسْتارِهنَّ (**وطَويل السُّكوت**) أي : الصُّمْت (**ولا يتكلم في غير حاجة**) لِمَا أن الله تعالى عصَمهُ عن أن يَنْطقَ عن الهَوَى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] (**ولا يقول إلا حقًّا**) حاشاهُ أن يَخطُر باطلا (**ويَعِظ الناسَ بالجِدِّ**) أي : العَزْم والنَّشاطِ لا التَّواني (**والنَّصْح**) أي : إخلاص الرَّأي مِنَ الغِشّ للمَنْصُوحِينَ ، وإيثارِ مَصْلحتهِمْ .

(**وكان ﷺ أكثر الناس تَبسُّمًا**) أي : كان تَبسُّمه أكْثَرَ من ضحكهِ ، بخلاف سائر الناس فإن ضِحْكهُمْ أكْثَرُ من تبسُّمهِمْ ، لخبر : (أنه كان مُتواصل الأحْزانِ) ، والتبسمُ هو : مَباديء الضحْك من غير صَوْتٍ ، والضحك : انبساط الوَجْه حتى تَظهَر الأسنانُ من السُّرور مع صَوْتٍ خَفيٍّ ، فإنْ كان معه صَوْتٌ يُسْمعُ من بَعيد فهو القَهْقَهَةُ (**ما لم يَنزل عليه قرآنٌ**) أي : فإن إنزال القرآن أمْر عَظيمٌ ؛ لأنه قَوْلٌ ثقيلٌ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[2] ، حتى كانت ناقتُه تَبْرُكُ به حين نُزولِ الوَحْي ، وكان يُؤْخذُ من الدنيا حينئذ فَلِتجَلِّي نُور إلههِ لم يَقدِر للتبسُّم حينئذ (**أو لم يَذكر الساعة**) إذ يَنكشِفُ له حينئذ أحْوالَ أمّتهِ فلا يَقدر للانبساطِ ، وصح خبرُ : (لمّا نزلت آية : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[3] شمّر رسول الله ﷺ ، فما رُؤي ضاحِكا) (**وَ**)ربّما (**كان يَضْحَكُ من غير قَهْقَهة**)

---

(١) سورة النجم : الآية ٣ .
(٢) سورة المزّمِّل : الآية ٥ .
(٣) سورة هود : الآية ١١٢ .

وربما يضحك حتى بدت نواجذه ، وعند تبسمه يضحك أصحابه اقتداء به وتوقيرا له ، وإذا ضحكوا لم يزجرهم إلا عن حرام .

وكان إذا ضَحكَ يَشْرق نُوره على الجُدور كإشْراق الشمس عليها (**ورُبّما يَضحَك حتى بَدَتْ**) أي : ظهَرتْ (**نَواجِذه**)[١] - بالجِيم والذال المعجمة - أي : أضْراسُه ، وهي لا تكادُ تَظْهَرُ إلا عند المُبالغة[٢] ، ويُعلم منه : أن الضِّحْك في مواطن التعجُّبِ لا يُكرهُ ولا يَخْرِمُ المروَّة إذا لم يتجاوَزْ به الحدَّ المُعْتاد ؛ لأن الإفراطَ منه يُذهِبُ الوقارَ ويُميت القَلب (**وعند تَبسّمِه يَضْحَك أصحابُه اقتداء به وتَوقيرًا له**) كما أنه يُوافقهُمْ فيما مرَّ رِفقًا بهم (**وإذا ضحِكُوا لم يَزْجرهُمْ إلا**) إنْ ضحكوا (**عن**) أمرٍ (**حرامٍ**) .

واعلم : أنه ﷺ كان مع أهْله وأصحابه وغيْرهِم على غايةٍ مِن سَعَةِ الصَّدْر ، ودَوَامِ البِشْرِ ، وحُسْنِ الخُلُق ، وإفشاء السلام ، والبَداءة على مَن لقيه ، والوُقوفِ مع مَن استوْقَفهُ ، والمَشْي مع مَن أخذ بِيَده حتى مِنَ الوِلدان والإماءِ ، والمَزْح بالحقّ أحيانًا ، وإجابة الدَّاعي ، وَلِينِ الجانب حتى يَظُنَّ كلُّ أحدٍ مِن أصحابِه أنه أحبُّهمْ إليه . وهذا مبدأ أنْ ليْس فيه إلا واجبٌ أو مُسْتحبّ ، فنسْأل الله تعالى أن لا يُفوِّتَ علينا في الآخرةِ رُؤيةَ وَجْههِ الكريمِ وإن فات مِنّا في الدُّنْيا ، إنه هو الكريمُ .

---

(١) كما في قصّة الأعرابي الذي جائه - وهو عليه السلام متغيّر اللون ينكره أصحابه - فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا أعرابي ، فإنا ننكرِ لونه فقال : دَعُوني فوَالذي بعَثه بالحق نبيا لا أدعهُ حتى يتبسَّم ، فقال : يا رسول الله ؛ بلغنا أن المسيح - يعني الدجال - يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جُوعا أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتىٍ إذا تضلعت شعبا آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : « لا ، بَلْ يُغْنِيكَ الله بِمَا يُغْنِي بِهِ الْمُؤْمِنينَ » . كذا في « الإحياء : ٣٢٩/٢ » . منه .

(٢) في التبسم .

فصل في بيان لباسه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد ، . . . . .

فصل

(في بَيانِ لِباسِهِ) ﷺ

اللباس كرِجال ما يُلْبسُ (وَ)كما (**كان رسول الله** ﷺ) يَأكل مِن الطعام ما وُجد كان (**يَلبسُ مِنَ الثياب ما وُجد**) فقد صح : أنه كان له كساءٌ مُلَبَّدٌ يَلبسُهُ ويقول : « إنَّمَا أنَا عَبْدٌ ألْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ » ، وأنه كان ﷺ يَلبسُ الصُّوفَ ، وسببُ ذلك : أنه لم يكن يَقتَصرُ مِن اللباس على صنفٍ بعَيْنِه ، ولم تطلُبْ نَفْسُهُ الشريفةُ العالِيَ منه ؛ لأن المباهاةَ في الملابسِ والتزيُّنَ بها إنما هي مِن عادة النساء ، والمحمودُ للرجل : نَقاوَة الثَّوْب ، والتوسُّطُ في جنْسِهِ ، وعدمُ إسْقاطِهِ لمروّة لابِسهِ ، ومِن ثمة اقتصَر ﷺ على ذلك مما تدعو إليه ضرورَتُه ، ورغبَ عما سواهُ ، وكان يلبَسُ غالبًا الشَّمْلةَ[1] ، والكساء الخَشِنَ ، والأَرديةَ ، والأُزْرَ ، ويقسِمُ أقبيَة الدِّيباج المُخَوَّصَةِ[2] بالذهب في أصحابه .

ولا ينافي هذا ما أحْدثه العلماءُ والكبراء مِنَ الهَيْئة البَهيّة بالعمائِم الكبيرة والثياب الفاخِرة ؛ لأن بِبُعْد العَهْد مِن النبي ﷺ قد قسَتْ القلوبُ ، وانْعكسَ الأمر ، ونُسِيَ المعنى الذي كان السَّلف يُعظِّمون به وهو : التقوى ومكارم الأخلاقِ ، فحَدث زمانٌ لا يُعْرف العلماءُ إلا بالهيئة الحَسَنة ، ولا يُميَّز الصُّلحاءُ إلا بسِمَتهم الجَميلةِ ، فصار اللائق بمحاسِن الشريعةِ أن يَلْبسُوا نَفائسَ الثياب ونظيفَ اللباس بل لو تَوقفَ إزالةُ مُحرّمٍ أو فعْل واجبٍ على ذلك أو صار شِعارًا للعلماء ، وجبَ أن يُلْبَسَ ما يَلبسُ أقرانُهُ بإصْلاحِ النِّيةِ وقَصْدِ أن يُقْتدى به .

---

(١) الشملة : بالفتح – كِساءٌ دونَ القَطيفَةِ يُشتمَل به . (قاموس) .

(٢) بضم الميم فمعجمة مفتوحة فواو مشددة مفتوحة أي : المنسوجة بالذهب كخوص النخل . « مزيل الخفاء » .

من رداء أو إزار أو قميص أو جبة أو غير ذلك . وكان أكثر لباسه البياض ، وكان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ، والإزار فوق ذلك . . . .

(مِنْ رِداء) – في « القاموس » : الرِّداءُ – مِلحَفة معروفة ، وفيه : المِلْحَفَةُ – كاللِّحاف مِثْل كِتاب – لباس فَوْقَ سائر اللباس من دِثار البُرْد ونحوه (أو إزارٍ) فسَّره أيضا في « القاموس » : بأنه مُلْحفَة ؛ ويُؤنّث ، لكنهما مَفقودانِ في ديارنا ؛ لأن العربَ يقولون للإحْرام الذي يُلبسُ على الكتف : رِداءً ، وللذي يُشدّ فوق الخاصِرَة إزارًا ؛ إلا أن الإزارَ قد يُطلق على السَّراوِيلِ (أو قميصٍ) وهو أحبُّها[1] إليه ؛ لأنه أسْترُ للبَدن مِن الرداء والإزار ، وكان قميصُهُ : قُطْنًا ، قَصيرَ الطُّولِ والكُمّيْن ، وكان جَيْبُه[2] مِن جِهَة صَدْره (أو جُبّةٍ) قيل : هي ثوبانِ بيْنهما قُطنٌ إلا أن يكون مِنْ صُوفٍ ، فقد تكون واحدة غير مَحْشُوَّة (أو غيرِ ذلك) كما ذكرنا .

(وكان أكثر لباسِهِ البَياضَ) أي : الأبيض ، البالغَ في البياض حتى كأنه عَيْنُ البياضِ ، وقد صح أنه ﷺ قال : « عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ مِنَ الثِّيَابِ لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ، فإنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ » ، وحكمة الحَثِّ عليها أنها : « أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ » كما صح عنه في رواية أخرى ؛ أي : لأنها تَحكي ما يَصل إليها مِن النجاسةِ وإن قَلَّ ؛ بخلاف غيره ، فكانت أطْهر ولِدَلالتها غالبًا على عَدم الكِبْر والخُيَلاء والتواضع فكانت أطيبَ ، ولذلك[3] نُدبَ إيثارُها في المجامع ، لكن قال في « الإحياء » : إنه ﷺ كان يُعجبُهُ الثيابُ الخُضر ؛ انتهى ، وحكمتُهُ : أن ثياب أهل الجنة خُضْرٌ ؛ والله أعلم .

(وكان ثيابُه كلُّهَا مُشمَّرةً) أي : مَرفُوعةً مِن الأرض ، من شمَّرَ إزارَهُ رَفعَهُ (فوق الكعبَيْن) أي : قريبًا إلى أعْلاهُمَا (و)كان (الإزارُ فوْق ذلك) أي : أعلى

---

(١) أي : ثياب .
(٢) الجيب : بفتح الجيم وسكون التحتانيّة بَعدها موحّدة – هو ما يقطع من الثوب ليخرج منه الرأس . « فتح الباري » .
(٣) أي : لذلك الأطيبية ندب إيثارها . *

وكان له ثياب تخصه يوم الجمعة ، . . . .

مِن تلك الثيابِ ؛ فكان إلى أنْصاف سَاقَيْه ، فقد صح حديث : « مَا أَسْفَلُ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزَارِ فِي النَّارِ » أي : محلها فيها ، وحديثُ : « إزْرَةُ الْمُؤْمِنِ » - بالكسر - اسم للهَيْئة ، « إلَى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَرَجٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَمَا أسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَفِي النَّارِ » ، وحديث : « كُلُّ شَيْءٍ لَمَسَ الأرْضَ مِنَ الثِّيَابِ فِي النَّارِ »[١] ، وهذا إن قُصدَ به الخُيَلاء ، فجَعْل الرجُلِ الثوبَ والإزار والسَّراويلَ والقميص إلى نصف السَّاق سُنةٌ ، وإلى الكَعْب مُباح ، وإلى ما تحته مكروهٌ تَنْزيهًا ؛ إذا لم يُقْصَد به الخُيلاءُ ، وإلا فحرامٌ . قال القاضي عياض[٢] : ويُكره كُلُّ ما زاد على الحاجةِ والمعْتادِ في اللباس من الطول والسَّعَةِ . وقضيّته : أن ما اعْتيدَ لا يُكرَه وإن جاوز الكَعْبَيْن . وأما المرأة : فيجوز لها تَطويلُه ذِراعًا بِذراع الآدميّ ، وابْتداؤه مِن أول ما يَمسُّ الأرضَ ، ومتى قَصدَتْ به خُيلاءَ أثِمتْ كالرجل ، وإنما جاز لهنّ سترًا بهنّ ؛ لأن المرأةَ كلَّها عَوْرَة إلا ما اسْتثنِي .

فائدة : كان ﷺ لا يَتّسخُ له ثوْبٌ لِمَا أنه لا يبْدُو منه إلا طِيبٌ ، ولا يَقْمُلُ ثوبه ولا يَقعُ على ثيابه ذُبابٌ . وكان طُولُ رِدائه : أربعَةُ أذْرُعٍ ، وعَرضه : ذِراعينِ وشِبرًا ، والإزارُ كذلك ، وقيل : غيرُ ذلك ، ولم يَتحرّز في طُول عمامتهِ وعَرْضُها شيءٌ ، وفي لُبْسِه السراوِيلَ خلاف .

(**وكان له**) ﷺ (**ثيابٌ تَخصُّه يَوْمَ الجُمُعة**) وقد صح : « مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إنْ وَجَدَ أنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَة » ، وورد : (أنه كان يلبَسُ يوم الجُمعة الأبيضَ) ، ورواية : (أنه لَبِسَ فيه البُرْدَ الأحْمر) ، فلعَلّه لبيانِ الجواز وإن كان الأفضل لُبسَ البياضِ . وإنما كان الأفضلُ في يوم العِيد : لُبْس الأرْفعِ قيمةً وإن كان غيرَ أبيضٍ ؛ لأن القَصْد في ذلك اليوم إظهارُ مَزيد الزِّينَة

---

(١) قال النووي : وظواهر الأحاديث في تقييدها بالخيلاء يدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء . « مواهب : ٤٣١/٢ » . *

(٢) رحمه الله تعالى .

ويلبس القلانس تحت العمامة وبغير العمامة ، . . . .

وآثارِ النعْمة وهما بالأرْفع قيمةً ألْيقُ ، وحكمة الأمر بلُبْس أحْسنِ الثياب في يوم الجُمعة : أن مَنْ حسُنَ ثيابهُ يَحْسنُ ظنُّه ويطيبُ قلبهُ لسائر الناسِ .

ومَقصُودُ[١] الشارع مِن الجُمْعةِ والجماعةِ : إيتِلافُ القلوب ، ولذلك أُمر بالاجتماع في كل يوم خَمْسَ مَرَّات للصلوات لأهل المَحلّةِ ، وفي كل أسْبُوع للجُمْعة لأهل البَلدِ ، وفي كل سَنة لِلعيد لأهل البَلد وما حَوْله ، وفي العمر للحج لجميع الناسِ ، فكان حُسْن الثياب مَظِنّةً للايتلافِ ، كذا في « الميزان » للعارف الشعراني نفعنا الله تعالى بأنفاسهِ .

(وَ)كان (**يلبسُ القَلانِسَ**) جَمْع قَلَنْسُوَةٍ ، وهو : غِشاء مُبطَّنٌ أي : له جَوْف يُسْتَر به الرأسُ (**تحتَ العِمَامة**) في « القاموس » هي : بالكسر - المِغْفر[٢] والبَيْضة وما يُلَفّ على الرأس (**وبغير العمامةِ**) قد يَتأيّد بهذا ما إعْتادَهُ بعضُ النواحي كدِيارِنا منْ ترك العِمامة مِن أصْلِهَا ؛ إلا ما ظَفِر بها الحاجُّ بالأخْذِ مِن الأمْصار ، لكن الأفضلَ لبسُ العِمامةِ للأمر بها وبِعَذبَتها[٣] في الأحاديثِ ، وصح : (أنه كان له عِمامة تسمّى السّحاب) ؛ إذ مِنْ دَأبه كما يأتي تسْميَةُ أمْتعَته وأثوابِهِ وآلاتِه ، وورد أيضًا : « فَرْقُ مَا بَيْننَا وبَيْنَ المُشْرِكِينَ العَمَائِمُ عَلَى القَلانِسِ » ، وصح أيضا : (أنه لَبِسَ عِمَامةً سَوْداءَ يَوْمَ فَتْح مكة) ، وحكمته[٤] : الإشارةُ إلى سيادَتهِ ، وسيادة بلَدهِ الأمينِ ، وسيادة الإسلامِ . وأما حديث : « صَلاةٌ بِعِمَامَةٍ تَعْدِلُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلاَةً ، وَجُمْعَةٌ بِعِمَامَةٍ تَعْدِلُ سَبْعِينَ جُمُعَةً[٥] » ، وَ« الصَّلاةُ فِي الْعِمَامَةِ بِعَشَرَةِ آلافِ حَسَنَةٍ » ،

(١) مقصود - حال .
(٢) هو : بكسر الميم وسكون المعجمة وبالفاء - زَرَدٌ يُنْسَجُ مِن الدُّروع على قدر الرأس ، يُلبَسُ تحت القَلنسوة . (لغة) .
(٣) أي : طرفها المرسلة . منه .
(٤) أي : لبس السوداء .
(٥) أي : بلا عمامة . منه .

وإذا لبس ثوبا يبتدئ من ميامنه ويقول : « الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي ، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاس » ، وإذا نزع خرج من مياسره ، وإذا لبس ثوبا جديدا . . . .

فقال علي القاري[١] في رسالة « المَوْضُوعَات »[٢] : قال المَنوفيّ : كُلُّه بَاطِلٌ[٣] ، إلا أن السُّيوطي نقل عن ابن عساكر في « جامِعه الصَّغير » حديثَ ابن عمر رضي الله عنهما[٤] : « الصَّلاةُ فِي الْعِمَامَةِ بِعَشرَةِ آلَافِ حَسَنَةٍ »[٥] مع أنه التزم[٦] أنه لا يذكر فيه الموضوعَ ؛ انتهى .

(و) كان (إذا لَبِس ثوبًا يبْتدِئ منْ) قِبل (مَيامِنِه) جمْعُ مَيْمَنَةٍ ، وهو : خلاف المَيْسرَة ؛ أي : يَبْتدئ بلبْس العُضْو الأيمن أوّلا ؛ لأنه من باب التكريم ، والتيمّن فيه مَنْدُوب كما سبقَ (ويقول : « الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي ») أي : أَسْتُر (« بِهِ عَوْرَتِي ، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ ») إذ في لُبْس اللباس جمالٌ أيُّ جمالٍ ، ومن ثم سَماهُ الله تعالى زينةً في قوله تعالى : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٧] على ما فسَّروه ، وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[٨] (وإذا نزَع) ثوبَهُ (خَرج مِنْ مَياسِرِه) جمع مَيْسرة أي : يبتدئ أوّلا بنَزْع الأيسر ؛ لأن إبْقاء العُضْو في الملبُوس كرامةٌ ، واللائقُ بضِدّها اليَسار (وإذا لبس ثوْبا جَديدًا) سمَّاه باسْمه وقال : « اللَّهُمَّ ؛ لَكَ الحَمْدُ كَمَا كَسَوْتَنِيه ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنعَ لَهُ ،

---

(١) هو : الإمام العلامة الفقيه المحدث علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن ، نور الدين ، الهروي المكي الحنفي ، المشهور بملا علي القاري ، عالم مشارك في أنواع من العلوم . من تصانيفه الكثيرة : « تفسير القرآن » ، « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » ، « جمع الوسائل شرح الشمائل » . ولد في هراة ، ورحل إلى مكة ، واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٠١٤هـ .
(٢) وهو كتاب « المصنوع في معرفة الحديث الموضوع = الموضوعات الصغرى » ، لملا علي القاري .
(٣) باطل - انتهى .
(٤) وليت شعري لم خص هنا الحديث مع أن السيوطي نقل الحديث المتقدم كذلك . منه .
(٥) والظاهر أن المراد ما يسمى عمامة عرفا فلو صلى بقلنسوة ونحوها لا يكون مصليا بعمَامة . « فيض القدير : ٢٩٧/٤ » .
(٦) وقال القُدُقي رحمه الله : إنما التزم أن لا يذكر ما انفرد به وضاع . فتأمل . منه .
(٧) سورة الأعراف : الآية ٣١ .
(٨) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

وأعْطى منزوع ثيابه مسكينا .

وكان له فراش من أدم حشوه ليف ، طوله : ذراعان ، وعرضه : ذراع وشبر ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ » (**وأعْطَى مَنْزوعَ ثِيابه**) أي : مَا نَزعَهُ لِلُبْس الجَديد (**مسْكينًا**) وهو يذكر ثوابهُ ، وممّا ورَد فضْلَه أيضًا إذا لَبِسَ قولُ : « الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةَ » ، فقد صح : أَنَّ مَنْ قالَ ذلكَ « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

تتمّة : قال العلماء : تَجْري في اللباس الأحْكامُ الخَمْسةُ ، فيكون : وَاجبًا ومَنْدوبًا وحَرامًا ومَكرُوهًا ومُباحًا ، **فالواجبُ** : ما سَتر العَوْرةَ عن العُيون ؛ وهو حقُّ الله تعالى ، **والمندوبُ** : ما يَقي الحَرَّ والبَرْد ويَدْفع الضَّررَ ؛ وهو حقّ الآدميّ فله تركُه ، ومنه : الثوبُ الحَسنُ للعِيد ، والأبيض للجُمْعةِ ، **والمحرَّم** : يكون عامًّا وخاصًّا وراجعًا للمَلبُوس وراجعًا لسنَّة اللبْسِ ، **والمكرُوه** : كلبْس الخَلِقِ دائمًا للغنيّ ، ولباسِ الشّهرة ، **والمباحُ** : ما عدا ذلك .

(**وكان له فِراش**) فِعال - بكسْر أوله - بمعنى مفعول ، اسمٌ لِما يُفرش ، وكذا لباس كما مرّ (**مِنْ أَدَم**) - بفتحتين - جمع أدَمَة أو أدِيم ، وهو : الجلدُ المَدبُوغ أو الأحمرُ أو مُطْلق الجِلْد ، أقوالٌ (**حَشْوُه**) الضمير للأدمِ باعْتبار لَفْظه وإن كان معناهُ جَمْعًا ، فالجملة : صفة لأدم (**لِيفٌ**) أي : مِن ليف النخْل ؛ أي : قشرُه ؛ لأنه الكثيرُ بل المعروفُ عِنْدهُمْ . ويؤخَذ من هذا : أن النوم على الفِراش المحْشوِّ واتّخاذَه لا يُنافي الزهدَ ، سَواءٌ كان من أدَم أو غيره حَشْوُه لِيفٌ أو غيرُه ؛ لأن عَيْن الأدَم والليفَ ليْست شرطا ، بل لأنها المألوفةَ عندهم ؛ فيلحَقُ به كلَّ مَألوفٍ مُباح ، نَعَم ؛ الأوْلى لمن غلب عليه الكسَلُ ، ومَيْلُ نفسه إلى الدَّعَةِ والتَّرَفه أن لا يُبالغ في حَشْو الفراش ؛ لأنه سَببٌ ظاهرٌ في كثرة النوم والغَفْلة (**طُولهُ :**) أي : الفراش (**ذِراعانِ ، وعَرْضهُ : ذراع وشبْرٌ**) وفيه عَدم مُبالاتهِ[1] بتوسعَة الفراش كما هو دأبُه في حُظوظ النفس .

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم .

وله صلى الله عليه وسلم عباء تفرش له حيثما تنفل ، وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء .

(و)كان (له ﷺ عَباء) – بفَتْح العَيْن – ضَرْب منَ الأكْسية[١] (تُفرَش له) أي : يُبْسَطُ للصلاة عليه (حَيْثما تنفّل) أي : صَلى النفلَ ، وفيه جَواز بَسْط المُصَلى[٢] وإن كانت الصلاةُ[٣] على الأرض للتواضُع أوْلى .

(وكان يَنام على الحَصير) وهو : ما يُتخذ مِن نحو : القَصَب ويُبْسطُ في الدار والمساجد (ليس تحته شيءٌ) أي : غيرُ الحَصير مِن لِبْدٍ أو نحوِه ، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه : (أنه دخل على النبي ﷺ وهو نائم على حَصيرٍ أثَّر في جَنْبه فبَكى ، فقال ﷺ : « مَا يُبْكِيكَ يا عَبْدَ الله ؟ » قال : يا رسول الله ؛ كِسْرى[٤] وقَيْصَر[٥] يَنامُون على الديباج والحَرير وأنت نائم على هذا الحَصير قد أثَّرَ بجَنْبك ، فقال : « لاَ تَبْكِ يَا عَبْدَ الله ؛ فَإنَّ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ ») .

واعلم : أنه ﷺ كان قد أخذَ مِن الفراش ما يحتاجُ إليه وتَرك ما زاد على ذلك ، روى مسلم : « فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لامْرَأتِهِ وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ » ، يعني :[٦] إنه إسرافٌ يُتَّخذ للخُيلاءِ والمباهاة ، وهو فِعْلُ الشيطان ، وتعدُّد الفراش للزوج والزوجة لا يُنافي أن السُّنةَ بَياته معها في فراشٍ واحدٍ ؛ لأنهما قد يَحْتاجان لذلك لنحو مَرضٍ . ويُروى : أنه ﷺ ما عاب مُضْجَعا قطُّ ، إنْ فُرِشَ له[٧] اضْطجَع عليه وإلا اضطجع على الأرض وتَغَطَّى باللحافِ[٨] .

---

(١) الأكسية – جمع كساء .
(٢) المُصلى – بفتح اللام . منه .
(٣) وإن كانت الصلاة – بلا بسط شيء . منه .
(٤) كِسْرى – ملك فارس .
(٥) قَيْصَر – ملك الروم .
(٦) يعني – من كونه للشيطان . منه .
(٧) له – شيء .
(٨) هذا شِعر فاطمة رضي الله عنها على قبر النبي ﷺ :

يَا مَنْ لَمْ يَلبَس الحَريرَ . . . وَلَمْ يَنمْ على الفراشِ الوَثيرِ
يا مَنْ خرجَ عَن الدُّنْيا . . . وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبزِ الشَّعير
يا مَنْ اخْتارَ الحَصير على السَّرير . . . يا مَنْ لم يَنَمْ مِنْ خوْف السَّعير . تم .

فصل في بيان سخاوته

وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم ، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة . . . .

فصل

(في بَيان سَخاوتِه) ﷺ

السَّخاوَةُ والسَّخاءُ : الجُودُ ، وهو إعطاءُ ما يَنْبغي لِمَنْ ينبغي ، وبعضهم فَرَّق بينهما وفَصَّل ؛ ليس هذا مَحلَّه[١] .

(وكان ﷺ أجْوَدَ الناس وأسْخاهُمْ) وسببُ ذلك : أن نفسَه ﷺ أشرفُ النفوس ، ومِزاجَهُ أعدل الأمْزجَة ، ومَنْ هو كذلك ففعْلُهُ أحْسن الأفعال ، وخُلقهُ أحسنُ الأخلاق ، ومَنْ هو كذلك يكون أجودَ الناسِ أي : لأن جُودَهُ لم يقصُرْ على نوع ؛ بل كان بجميع أنواع الجود ، مِن بَذل العِلم والمال ، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينِه ، وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريقٍ أمْكنَ ، من إطعام جائعِهمْ ، ووَعْظ جاهِلهم ، وقضاءِ حَوائجهم ، وتَحمُّل أثقالِهِمْ ، وكان جُودُه كلُّه لله تعالى ؛ وفي ابْتغاء مَرْضاتِه ، وكان يُؤْثر على نفسِه وأولادِه ، فيُعْطي - عَطاءً يَعْجز عنه الملوكُ - إيثارًا لِمَلِك الملوكِ ، وليتَأسّى به مَنْ بَعْدَه من الخلفاء والملوك وأهل الرياضة والسُّلوك ، ويَعيشُ في نَفْسِهِ عَيْشَ الفقراء ، فربما مر عليه الشهرانِ لا يُوقدُ في بَيته نارٌ بالاكتفاء بالتمر والماء ، وربّما رَبطَ الحَجرَ على بطنه الشريفِ مِنَ الجُوع ، كل ذلك لا ينْقصُهُ عن مرتَبته عند الله تعالى ؛ بل هو رُفْعَةٌ بها فَضّلَه الله تعالى .

(وكان[٢] في شهر رَمضان كالرِّيح المرسَلةِ) - بفتح السين - أي : المُطْلَقة ، بمعنى أنه في الإسراع بالجود أسْرعُ منها ، في نشْر السَّحاب ، وإمْلائها ماءً ،

---

(١) أي : محل بيان الفرق ؛ لأن الكتاب وضع على الاختصار . منه .
(٢) أي : صلى الله عليه وسلم .

لا يمسك شيئا ، فما رد سائلا على الإسلام إلا أعطاه ، وحمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعها على الحصير ، ثم قام إليها فقسمها حتى فرغ منها ، وقال لسائل : . . . .

وبَسْطِهَا في جميع الأرض ، فمن ثم كان (**لا يُمْسِك شيئا**) لنَفْسه ، وأما لعياله فكان يَدّخرُ لهم قُوتَ سَنةٍ ؛ لكن كان يُخرج ما ادَّخر لهم لشيء نَابَهُ كما مرَّ . والتعْبير بالمرسَلة : للإشارة إلى دَوَام هُبوبها بالرحمة ، وعموم النفع بجُوده كما يعُمُّ الرِّيحُ المرسَلةُ جَميعَ ما هبّتْ عليه ، وحكمةُ ازدياد جُوده في شهر رمضان : أنه ﷺ كان يأتيه جبرائيلُ عليه السلام كلَّ ليلةٍ منه بما لا عَيْنَ رأتْ ، ولا أُذنَ سمعَتْ ، ولا خَطَر على قلب بَشَرٍ ، ومنه أنه المتولِّي لِقسْمَة مواهِبِهِ وعطاياه كما قال[1] : « إنَّمَا أنَا قَاسِمٌ وَاللهُ مُعْطٍ » ، فأوْجبَ ذلك نهايةَ الأجْوديّة . وأيضًا : إذا جاءَهُ جبرائيل عليه السلام وعَرض عليه القرآنَ تجدّدَ خُلقهُ[2] بأخلاقِ رَبِّه ، وَأُفيضَ عليه غاية جُودهِ ، فناسبَ بمَنْ هو مُتَخلِّقٌ بخُلق الله – أي : الصوم الذي هو إمساك عن الأقذار – تخلُّقُه بذلك الخلق الذي هو الجود أداءً لحقِّ إكرامهِ على العالمينَ ، ومِن ثمة كان رَمضانُ مَحلَّ إفاضة رحمةِ الله تعالى على عباده ، وأمرَهُمْ بمَزيد الإنفاق فيه على المُحتاجينَ ، والتوسِعَةِ على العيال والأقاربِ والمُحبّين .

(**فما رَدّ سائلا على الإسلام**) أي : معه (**إلا أعطاهُ**) وقد صح عن جابر رضي الله عنه : (ما سُئِل رسول الله ﷺ شَيْئًا قطُّ فقال : لاَ) أي : بل إما أن يُعْطيهُ أو يقولَ له مَيْسورًا منَ القول فيَعِدُه ، أو يَدْعُوَ له أو يسكتَ إنْ قَنع به السائل ، فمعنى[3] – إلا أعطاه – أي : إن كان[4] عنده ما سَألهُ وساغ الإعطاءُ أعطاهُ ؛ والله أعلم (**وَحُمل إليه**) أي : جاء إليه محمولا مِنَ البلاد (**تِسْعُون أَلْفَ دِرْهمٍ ، فوَضعَهَا على الحَصير ، ثم قام إليها فقَسمَهَا حتى فرَغ منها ، وقال لسائل :**)

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم .
(٢) أي : تخلقه .
(٣) فمعنى – مبتدأ .
(٤) إن كان – خبر .

« مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ ، فَإِذَا جَائَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ » ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ وما كلفك الله تعالى ما لا تقدر عليه ؟ ! فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل : أنفق يا رسول الله ؛ ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فتبسم النبي ؛ وعرف السرور في وجهه .

وكان لا يمسك عنده دينارا ولا درهما ، وإن فضل ولم يجد من يعطيه إياه ؛ وفاجائه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج ، . . . . . .

جاء بعد ما نفدَ ما بِيَده (« **مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلَكِنِ ابْتَعْ** ») – بموحدةٍ ثم تاء فوْقيّة أي : اشترِ شيئًا بثمنٍ في الذمّة (« **عَلَيَّ** ») أداؤه أي : (« **فَإِذَا جَائَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ** ») عنك منه (**فقال عمر** رضي الله عنه **: يا رسول الله ؛**) قد أعْطيتَهُ قبْلُ (**وما كَلّفكَ الله تعالى ما لا تَقْدر عليه**) فكيف تجعل في ذِمَّتكَ دَيْنًا ؟ ! (**فكرهَ النبي** صلى الله عليه وسلم **ذلك**) أي : قَوْلَ عمر ؛ أي : مِنْ حَيْثُ اسْتلزامه قُنوطَ السائل وحِرْمَانهِ لا لمُخالَفتهِ للشرع (**فقال رَجُل**) مِنَ الأنصار : (**أنْفِقْ يا رسول الله ؛ ولا تخفْ مِنْ ذِي العرْش**[1] **إقلالاً**) أي : شيئا من الفَقْر (**فتبسَّم النبي**) صلى الله عليه وسلم (**وعُرِف السُّرورُ في وَجْهه**) وقال : « وَبِهَذَا » أي : الإنفاقِ وعدمِ الخَوْف « أُمِرْتُ » لا بما قال عمر ، كما أفادَه تقديم الظَّرْف المفيدُ للقَصْر ، وإنما فعَل ذلك[2] للمصلحة الدّاعيَة لذلك كالايتلافِ ونحوه . وفي هذا دلالةٌ على أن الكمالاتِ فيه صلى الله عليه وسلم غَريزِيّةٌ لا كَسْبيّة ؛ لأن الإنسان مَجْبُولٌ على الشُّحّ وحُبّ المِرْحَة إليه ، فَلمْ يَصل إليه في هذا الخُلق كما في غيره أحدٌ ولو بلغَ ما بلغَ ؛ والله أعلم .

(**وكان لا يُمْسِكُ عندهُ دِينارًا ولا دِرْهمًا وإنْ فَضَل**) أي : بَقي شيْءٌ بعد إعطاء ما يَليق لمَنْ يَليقُ (**ولم يَجدْ**) أي : لم يُصادف (**مَنْ يُعْطيه إيّاهُ وَفاجَائَه**) أي : أقْبل (**الليلُ**) فُجاءةً (**لم يأو**) أي : لم يَرْجع (**إلى مَنْزله**) أي : بيتهِ (**حتى يَبْرأ منه**) أي : يخلِّصَ نَفْسَه من وَبَاله بإخراجه (**إلى مَنْ يحْتاج**) إليه

---

(١) ذِي العرْش – أي : الله تعالى .
(٢) أي : الضمان للدين للسائل .

ولا يأخذ مما أتاه الله تعالى إلا قوت سنة فقط ، من أيسر ما يجده أو الشعير .

(**وَلا يأخذ**) عَطْفٌ على لا يُمْسكُ (**ممّا أتاهُ الله تعالى**) أي : أنعم الله تعالى به عليه (**إلا قُوتَ سَنةٍ فقط ، مِنْ أيْسر ما يجدهُ**) مِنَ التمر (**أو الشَّعير**) أي : كان يَفعل ذلك أواخِر حَياتهِ ، لكن تقدم : أنه تَعْرِض له حَوائجُ المُحْتاجين فيُخْرِجُهُ فيها ؛ فصَدق أنه ادَّخرَ قُوتَ سنَةٍ ، وأنهم لم يَشبعُوا .

واعلم : أن رسول الله ﷺ كما لم يلحَقْه أحدٌ في سائرِ صفات الكمال لم يلحَقْه في الإعراضِ عن الدُّنيا ، والاجتناب عنها ، والزهدِ فيها ، وكفاك مَنْقبةً له : أنه عُرِض عليه خزائنُ الأرض فَنأى عنها وأباها ، كما أشار إليه العارف البُوصيري بقوله في « بُرْدَةِ المَديح » :

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

. . . الأبيات الثلاثة[١] ، مع أنه لو أخَذَها لم يُنْفقها إلا في طاعة الله تعالى ، وخيّر بين أن يكون نبيًّا مَلِكًا ونبيًّا عبدًا فاختار العبوديّةَ المَحْضَةَ ، ولم يَعْبَأ بزَخارفِ الدنيا لمَا أنها عدُوٌّ للهِ تعالى ، ولذلك لم ينظر إليها مُنذ خَلقها ، ولم يَهْتمَّ بحُظوظ نفسه في مأكلٍ ومَلبسٍ ، وأنفقَ ما في يَدهِ بغير رياءٍ ولا فخر ؛ بل لمَصْلحَة تامّةٍ ، فهو مَنْبعُ كلِّ جُودٍ وقاسمُ خَزائنِ المَعْبود ، وناهيك أنه ما قال : لا ؛ قَطُّ[٢] كما مر .

---

(١) = . . . عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو عَلَى العِصَمِ
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ لَوْلاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ .
أي : كَيْف تَدْعُو ضرورة سيّد المعْصُومين إلى زخرف الدُّنْيا ، وهي وما فيها إنما برَزتْ لأجْله ، فكَيْف يَضْطر إليها . « مواهب : ٢/٣٩٠ » .
(٢) أي : لفظه .

. . . .

قال الفِرَزْدَقُ[١] :

مَا قال : لا قَطُّ إلاَّ في تَشَهُّدِهِ لَوْلاَ التشَهُّدُ كَانَتْ لاَؤُهُ نَعَمُ

وفي رواية : بدَلَ الأخير[٢] – لم يُعْرف له لاء .

فسُبْحانَ مَن أطلعَ أنوارَ الجَمال من أُفُق جَبِينِهِ ، وأنشأ أمْطار السحاب من غمائمِ يَمينهِ ، فصَلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم تَسْليمًا كثيرًا .

---

(١) هو : هَمام بن غالب بن صعصعة بن ناجية الدارمي التميمي البصري ، أبو فِراس ، الشهير بالفرزدق ، شاعر من شعراء العصر الأموي ، والتابعي المعروف ، وجده صعصعة بن ناجية صحابي . عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . يشبه بزهير بن أبي سلمى ، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى ، زهير في الجاهليين ، والفرزدق في الإسلاميين . ولد سنة ٣٨ هـ ، وتوفي سنة ١١٠ هـ في منطقة كاظمة بالكويت .

(٢) أي : نصف المصراع الأخير .

فصل في شجاعته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم ، فإذا أمر الناس بالقتال تشمر ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو ولشدة بأسه ، وقالوا : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة . . . . .

فصل

(في شُجاعتهِ) ﷺ

وهي : شدة القلب عند البأس أي : شدة الحَرْب ، وقد يُطلق على ثبوت القلب عند حُلول المَصائب ، كما حَصل للصديق ﷺ عند وَفاةِ النبي ﷺ ؛ وقد دَهِشَ[١] أصحابه ، ففيه[٢] أَدَلُّ دليلٍ على شجاعة الصديق ﷺ .

(**كان رسول الله ﷺ أَنْجدَ الناس وأشجعَهُمْ**)[٣] عطف تفسير (**فإذا أمَر الناسَ بالقتال تَشَمَّر**) أي : تهيَّأ (**وكان الشجاع**) في الصحابة (**هو الذي يَقرُب منه**) أي : إليه (**في الحرب لقُرْبه مِنَ العَدُوّ ولشدّة بَأسِه**) وعدم قدرتهم إلى الإقدام[٤] قبْلَهُ ، ومِن ثمة قالوا : كُنَّا إذا احْمَرَّ البأسُ اتَّقيْنا برسول الله ﷺ أي : جَعلناهُ بَيْنَنَا وبين العَدُوِّ ، وقُمْنا خَلْفهُ مُحْتَمِينَ به (**وقالوا :**) أي : الصحابة ﷺ (**ما لقِيَ رسول الله ﷺ كَتِيبَة**) - بالتاء المثناة الفوقانية - : الجَيْشُ .

فائدة : لجماعة الجيش أسماءٌ باعْتبار الأعدادِ ، فالقِطعَة التي تخرُج مِن الجيش وتعود إليه من مائة إلى خَمْسِمائةٍ تسمّى : سَرِيّةً أي : بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية ، وما زاد على ذلك يقال له : مَنْسَر - بالنون

---

(١) أي : تحير .
(٢) أي : في حصول الثبات له حينئذ . منه .
(٣) وفرق القاضي عياض في « الشفا » بين الشجاعة والنجدة من حيث المفهوم . فراجعه : « الشفا : صـ ٧٥ » . منه .
(٤) إلى الإقدام - على الحرب .

إلا كان أول من يضرب ، قالوا : وكان قوي البطش ، ولما لقيه المشركون وغشيته جعل يقول :

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

فما رؤي يومئذ أشد بأسا منه ، . . . .

ثم المهملة ، فإن زاد على ثمانِمائةٍ سُمِّي : جَيْشًا ، فإن زاد على أربعة آلاف سُمّي : جَحْفلاً ، والخميسُ : الجَيْشُ العظيم ، وما افْترقَ مِنَ السَّريّة يُسمّى : بَعْثًا ، والكتيبة : ما اجْتمَع ولم يَنْتشِر ، كذا في « فتح الباري »[1] .

(**إلا كان أول مَنْ يَضربُ ، قالوا : وكان قويَّ البَطْش**) أي : الأخْذ بعُنْفٍ إذا باشر حَرْبَ العَدُوّ (**ولمّا لقيهُ المشركون**) أي : أهل هَوازن وثقيف يومَ حُنَيْنٍ (**وغَشِيَتْهُ**) أي : أحاطوا به ، وانكشفَ الناسُ عنه ولم يَبْق معه إلا بضعَة عشر ، وأبو سفيان ابنُ عمِّه آخِذٌ بِلجام بَغْلتهِ البيضاءَ - وهي : الدُّلْدُل - ليكُفَّها عن أن تقعَ به في نَحْر العَدُوّ (**جَعل يقول : « أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ »**) أي : حقا لا أفرُّ ولا أزُول ؛ إذ صفَةُ النبوة يَسْتحيل معها الكذبُ ، فكأنه قال : أنا النبيّ والنبيُّ لا يَكذبُ ، فلَسْتُ بكاذب فيما أقول حتى أنْهزمَ ، بل أنا مُتَيقِّنٌ أن ما وَعدني اللهُ تعالى مِن النصر حَقّ ، فلا يجوز عَليَّ الفِرارُ (**« أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ »**) انْتسَب لجدّه دُون أبيه ؛ لأن أباه توفي شابًّا فلم يَشتهر كاشْتهار جدِّه إذ كانت شُهْرتُه ظاهرةً شائعةً ، وفيه دليل لجواز قول الإنسان في الحَرْب : أنا فلان بنُ فلان ، ومنه قول عليّ رضي الله عنه : أنا الذي سَمَّتْني أمّي حَيْدرًا أي : أسَدًا ، والمنهيُّ عنه : قولُ ذلك على وَجْه الافتخارِ كما كانت الجاهِليّة تَفعَلُهُ .

(**فما رُؤِيَ يَوْمئذٍ**) أي : يوم حُنَيْن - قيّد به لكون الكلام فيه - (**أشدَّ بأسًا منه**)[2] إذ ثبتَ راكبًا على بَغْلةٍ ثباتا باهرًا يُنوِّه باسمه ، ويُجْريها إليهم مع أنها لا

---

(١) وهو كتاب « فتح الباري شرح صحيح البخاري » ، لابن حجر العسقلاني . ٣٨٠/٨ .
(٢) صلى الله عليه وسلم .

وكان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ، ولا يهوله شيء من أمور الدنيا .

تصْلحُ لكَرٍّ[1] ولا فَرٍّ ، ومع تفرُّق الناسِ عنه ، وإحاطةُ ذلك الجمْعِ العظيم به ، فنَزل إلى الأرض وأخذ كفًّا مِن تُرابٍ فرماهُ إلى وُجُوهِهِمْ وقال : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » أي : قبحَتْ ، فامْتلأت عَيْنا كُلٍّ مِنَ المشركينَ ؛ فانهزموا ، ورَكبت الصحابة أكتافهم ، ففي كل ذلك أقوى دليل على شجاعته وثِقته بنَصْر الله تعالى ، ومن ثمة كانت الصحابة يَسْتترون وَرائهُ إذا اشتدّ الحَرْبُ ، وكان الشجاعُ هو الذي حَاذاهُ أو دَاناهُ .

(**وكان يَمْشي وَحْدهُ بين أعدائهِ بلا حارِس**) أي : كان يَمْشي في المحافل والمجامع وحده ، ويَسُبّهُمْ وآلِهَتهُمْ ، ويأمرهم بعبادة الله تعالى ويَنْهاهُمْ عن عبادة الأصنام ، ويَزجُرهم ولا يخافُ منهم ثقةً بالله تعالى وتوكّلا عليه (**ولا يُهوِّلهُ شيء مِن أمُور الدُّنيا**) الهَوْلُ : المَخافَة مِن الأمر بحيث لا يَدْري ما هَجَم عليه منه أي : كان ﷺ لا يخاف غيرَ الله تعالى مِن شيء نابَهُ مِن أمور الدنيا لسَعَة نور قلبهِ وشدة يَقينهِ ، بأنه لا يُصيبُه إلا ما قدّرَه الله تعالى .

وقد صح : أن أهل المدينة فَزِعُوا ليلة فخرجوا ، فرأوْهُ راجعًا مِن جِهَة الصَّوْت مُتقلّدًا بسَيْفهِ على فرس لأبي طلحة ، فقال لهم : « لَنْ تُرَاعُوا ، مَا رَأَيْنَا مِنْ بَأسٍ » أي : لن تخافوا خوفًا فيه ضررٌ ؛ والله أعلم .

---

(١) أي : رجوع .

فصل في بيان غضبه

كان رسول الله يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، . . . .

فصل

(في بَيان غَضبِهِ) ﷺ

قيل : الغَضَبُ نارٌ كامِنَةٌ في طَيِّ الفُؤادِ يُؤجِّجُهَا طُرُوُّ السَّبب المُحرِّك لها ، فإن لم يَقْدِرْ على إنفاذِ شيء في المغضوب عليه سُمّي غَيْظا ، وفي « القاموس » : الغَيْظ - الغَضَبُ أو أشَدُّه .

(**كان رسول الله**) ﷺ (**يغضبُ**) من غَضِبَ - كسَمِعَ - عليه ، وله : إذا كان حيًّا ، وغضِبَ به : إذا كان ميِّتًا ، غَضَبًا - بالتحريك - كذا في « القاموس » (**لربّه**) أي : انْتهكَتْ حُرُمات الله تعالى امْتثالاً لقوله تعالى : ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] ، ومن ثمّة غَضِبَ في أماكِنَ مَعْدُودَة لأسباب مُختلفة ، مَرْجعُهَا إلى أنه غَضِبَ لربّه ولم يُهْمل حقَّ الله تعالى (**ولا يغضبُ لنفْسه**) بل كان يَعْفو ويَصْفَحُ امتثالا لقوله تعالى : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] .

فإن قلتَ : إنما سبَبُ الغضب إيذاءٌ وإيذاؤه كُفْرٌ - وهو حقُّ الله تعالى - فكيف يَسْقط بعفوه ؟ ! قلت : لا نُسَلِّم إن مُطْلَقَ إيذائهِ ﷺ كُفْرٌ ؛ بل إيذاؤه : إما أن يصدرَ مِن مسلم جافٍ كالأعرابيّ ؛ الذي جَذب رِدائَهُ حتى أثّر في عُنقهِ الشريف ، فعفا عنه وأعطاه حِمْلَيْ بَعيرَيْه ، فهذا له نوْعُ عذرٍ فلم يكفُرْ وعفا عنه . أو مِن مُنافق ، وقد أُمر بتحمُّل أذاهُمْ لئلا يَنْفرّ الناسُ عنه كما قال ﷺ - وقد قيل له : ألا تَقْتلهُمْ ؟ - « لا يُتحَدَّثُ[3] النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » . أو مِن كافرٍ مُعاهد ، فمَصْلحَة تألُّفهِ اقْتضَتْ عدم مُؤاخَذته بجَريمته . أو حَرْبيٍّ ، وهو غيْرُ مُلْتَزمٍ للأحكام ، صرح بهذا ابن حجر الهيمي في « شرح الشمائل » .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٧٣ . (٢) سورة المائدة : الآية ١٣ .
(٣) لا يُتحدث - مقول قال .

وكان يعرف في وجهه صلى الله عليه وسلم غضبه ورضاه .

وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه ، ودخل عليه صلى الله عليه وسلم رجل وعليه صفرة ، فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل له شيئا حتى خرج ، فقال لبعض القوم : « لَوْ قُلْتُمْ لِهَذَا أَنْ يَدَعَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ » ، . . . .

(**وكان يُعرف في وَجْهه ﷺ غَضَبُه**) إذ كان له في وجهه عِرْقٌ يَرْتفعُ ويَظهر إذا غضب (**ورِضاهُ**) إذ كان يَرْتفعُ النورُ في وجهه إذا سُرَّ ويَتلألأ تَلألؤَ القمر ليلة البدر ، فكان يُرَى شخصُ الجُدُرِ في وجهه لشدة نوره وصَفائهِ .

(**وكان**) ﷺ (**لا يشافهُ أحدًا بما يَكْرهُه**) أي : لا يَتكلم في وجهه بما يَكرهُهُ ، ولله دَرّ الحافظ العراقيّ حيث قال في « ألفيّته » :

يُجَالِسُ الْفَقِيرَ وَالمِسْكِينَا وَيُكْرِمُ الكِرَامَ إِذْ يَأْتُونَا

لَيْسَ مُوَاجِهًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ جَلِيسُهُ ، بَلْ بالرِّضَا يُشَافِهُهُ[١]

ويؤيّدهُ ما صح : (أن رجُلا استأذن عليه ﷺ ، فلما رآه قال : « بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، وَبِئْسَ ابنُ الْعَشِيرَةِ » ، فلما جلس إليه أَلاَنَ له القولَ وانْبسط إليه ، فلما مضى سأَلَتْهُ عائشة رضي الله عنها عمّا قال وعمّا فَعَل ، فقال : « مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا ؟ ! إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله تَعَالَى مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ ») ، الحديث ؛ أي : لأن انبساطَه إليه كان تألّفًا ؛ لأنه رئيسُ قومهِ ، وتعليمًا للأمّةِ (**و**)ما صح أيضا : من أنه ((**دَخل عليه ﷺ رجل وعليه صُفْرة**))[٢] وهي : لَوْن الأصفر كالذهب والزّعفرانِ ((**فكرهَه رسول الله ﷺ ، فلم يَقل له**)) أي : في وجهه ((**شيئًا حتى خرج ، فقال لِبَعْض القوم : « لَوْ قُلْتُمْ لِهَذَا أَنْ يَدَعَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ »**)) شَرْط ؛ والجوابُ محذوف أي : لكان أحْسن ؛ أي :

---

(١) في « ألفية » : يُواجهُهُ . صـ ٨٣ .
(٢) أي : أثره .

وكان لا يغضب إلا بحق ، ومع ذلك كان يكظم الغيظ والغضب .

لأن فيه نَوْع تَشبُّهٍ بالنساءِ ، وهو مِن غير قَصْدِ التشبيه بهنّ مكروهٌ ومع القصْدِ حرامٌ ، ويجوز كون لَوْ للتمني ، والظاهرُ أن ذلك الأثرُ لم يكن مُحرَّمًا وإلا لم يُؤخِّر أمْرَهُ بتركهِ إلى مُفارَقته المجلسَ ؛ لأن الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكَر فوريٌّ على القادر بلسانهِ أو يَدهِ ، ولا يجوز له أن يَسْتنيبَ غيرَه إن أدَّتْ إلى التأخير ولو لحظة .

(**وكان لا يَغْضَبُ إلا بِحقٍّ**) وحاشاهُ أن يغضَبَ لباطلٍ ، وقد عُجِنَ بِطِينِ الأخلاق الطيبة والأحوال الزكيّة (**ومع ذلك**) أي : مع غضبه الحقَّ (**كان يكظمُ الغَيْظ والغَضَبَ**) سَبق تفسيرُهما أي : إن أدَّتْ مَصْلحةٌ إلى ذلك ، وكان في غير حَقّ الله تعالى لِما تَقرَّر أنه كان لا يُهْملُ ولا يُمْهِل حَقَّ الله تعالى ، ولا يُقاوِمُه شيء إن غضب لربه ، ومن ثمّة سُنَّ لكل ذِي وِلايةٍ التخلُّقُ بهذا الخلق الكريم ، فلا ينتقمَ لنفسهِ ولا يُهْمِلَ حقَّ اللهِ تعالى ، في « القاموس » : كَظَمَ غَيْظَهُ - رَدَّهُ وحَبَسَهُ ، وفي « الصحاح » : اجْترَعهُ .

واعلم : أن في ذَمّ الغضب أحاديثَ كثيرةً بَيَّنها ابنُ حجر في « الزَّواجر »[١] . وإنما يُذَمُّ حيث لم يكن لله تعالى وإلا فهو محمودٌ . وفي مدح كظم الغَيْظ أيضا أحاديثُ كثيرةٌ ، فقد صح : « مَا تَجرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أفْضَلَ عِنْدَ الله تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغاءَ وَجْهِ الله تَعَالَى » ، و« مَا كَظمَ عَبْدٌ جُرْعَةَ غَيْظٍ لله تَعَالَى إلاَّ مَلأ الله تَعَالَى جَوْفَهُ إيمَانًا » ، وغيرُ ذلك ؛ والله أعلمُ .

(١) وهو كتاب « الزواجر عن إقتراف الكبائر » ، لابن حجر الهيتمي . انظر : ٨٣/١ .

فصل في بيان عفوه

كان رسول الله أحلم الناس ، وأرغبهم في العفو مع القدرة . وروي : أنه أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال :

فصل

(في بَيان عَفْوِه) ﷺ وحِلمِهِ

العَفْوُ : تَرْكُ عُقوبة المُسْتحقّ ، يقال : عفوْتُ عنه ذَنْبَهُ ، وعفوتُ له ذنبَهُ ، وعن ذَنْبه ، والحلم - بالكسر - الأناةُ والعقل وعدمُ الانتقام مِمَّنْ أتى بمكروه وإن عَظُمَ . ولما كان في الحِلم معنى العَفْو مع زيادةٍ قال[1] :

(كان رسول الله) ﷺ (أحْلَمَ الناسِ) إذ ما مِن حَليم قطُّ إلا وقد عُرِفَتْ له ذَلَّةٌ[2] أو هَفْوةٌ تَخْدِشُ في كمال حِلمه إلا نبيُّنا ﷺ ، فإنه لا تزيدُه شِدّةُ الإيذاءِ له والجهل عليه إلا حِلْمًا وعَفْوًا وصَفْحا ، وأرْدَفَ ذلك بقوله : (وأرْغبُهمْ في العَفو مع القُدْرَة) ولم يقل : أعفاهُمْ لإفادة الأول ، أنه أشدُّ رَاغبيّةً ؛ لأنه ﷺ كان يَرْغبُ العفو أي : يُحبُّه عن مَن أساء إليه مُتخَلِّقًا بِخُلُقِ الله الذي يُحبُّ العَفْوَ ، وأنه أشدُّ مَرْغُوبيّةً ؛ لأنهم يَرْغبُونَ أي : يرجُون أن يعْفوَ عنهم لِما عُرف من حالِه ، أنه كان يُلاطِفهُمْ ويَلِينُ لهم إذ لم يكن فظًّا غَليظًا ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ الآية[3] ؛ والله أعلم .

وَيؤيّد ما ذُكر مِن الحِلم والعَفو ما روي عنه فيما سبق من قوله : - لما شجَّ وَجْهُهُ وكُسرَتْ رَباعِيتُهُ - « اللَّهُمَّ ؛ اغفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » .

(و)ما (رُوي : (أنه أُتِي بقلائد)) جَمْع قِلادَة ، وهي : ما يُجْعل في العُنقِ ((مِنْ ذَهبٍ وَفضّة ، فَقَسَمَها بين أصحابِه ، فقام رجل من أهل الباديَة فقال :

---

(١) أي : وإن لم يناسب الترجمة . منه .
(٢) وفي بعض النسخ : زِلَّة . *
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

يا محمد ؛ والله لئن أمرك الله تعالى أن تعدل فما أراك تعدل ، قال صلى الله عليه وسلم : « وَيْحَكَ ، مَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي ؟ ! » ، فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم : « رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْدًا » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم من فضة خيبر فقال له رجل : أعدل يا نبي الله ، قال : « وَيْحَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ ! فَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ كُنْتُ لا أَعْدِلُ » ، فقام عمر وقال : أفلا أضرب عنق هذا المنافق ؟ ! . . . .

يا محمد ؛)) وحرْمةُ ندائهِ باسْمهِ الصَّريح لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1] كما سبق ، إنما[2] يمتَثِلهُ المتأدِّبُون ؛ لا مِثْلُ أجْلاف الأعراب الذين هم كالوُحوش ((**واللهِ لَئِنْ**)) - مخففة ، واسمُه ضَمير الشان محذوفًا ((**أمركَ الله تعالى أن تَعْدِل**)) في القَسْم ((**فما أراكَ**)) صيغة مُتكلم ((**تَعْدل ، قال ﷺ : « وَيْحَكَ »**)) وَيْحٌ : كَلِمةُ تَرحُّم تقال : لمن وَقعَ في مهْلكَةٍ لا يَسْتحقّهَا ، ووَيْل : كلمة عذاب ، وقيل : هما بمعنى واحدٍ ((**« مَنْ يَعْدِلُ »**)) استفهام إنكاريّ أي : لا يَعدل ((**« عَلَيْكَ بَعْدِي »**)) أحدٌ إن لم أعدل ؛ فإنِّي نبيّ مأمونٌ ((**فلمّا وَلَّى**)) البَدَويُّ ((**قال ﷺ : « رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْدًا »**)) أي : بالرِّفق لا بالعُنْفِ .

(**و**)ما رُوي : أنه ((**كان النبي ﷺ يَقْسِمُ من فِضّة خَيْبَرَ**)) مدينةٌ كانت كبيرةً ، ذات حُصون ومزارِعَ ، على ثمانيةِ بُرْدٍ مِن المدينة إلى جهة الشام ((**فقال له رجل : أعْدِل يا نبيّ الله ، قال**) ﷺ :) استئناف ((**« وَيْحَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟! فَقَدْ خِبْتُ »**)) - بتاء المتكلم - من خاب الرجل خَيْبةً إذا لم ينَلْ ما طلب ((**« وَخَسِرْتُ »**)) أي : ضَلَلْتُ وما فُزْتُ ((**« إِنْ كُنْتُ لا أَعْدِلُ »**)) لأني مأمورٌ بالقسط بين الناس ، فإن لم أقسِط فلا أحدٌ يُقْسط ((**فقام عُمرٌ**) رضي الله عنه (**وقال : أفلا أضْربُ عُنُقَ هذا المنافِقِ ؟!**)) يحْتمل أن ذلك الرجل كان مَعْلومَ

---

(١) سورة النور : الآية ٦٣ .
(٢) إنما - خبر .

فقال : « مَعَاذَ الله أَنْ أَتَّهِمَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي » .

وروي : إن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ، . . .

النفاقِ بينه وبين أكابرِ أصحابهِ بقَرينة ((فقال[1] : « مَعَاذَ الله أَنْ أَتَّهِمَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي »)) لأن الظاهرَ إنه في المنافقينَ ويحْتملُ أنه كان مسلمًا ، وإنما اجْترأ عمر رضي الله عنه على ضرْبِ العُنقِ لِمَا فَهِمَ من قوله : أعْدِلْ – نسبةَ النبي ﷺ إلى عدم العدل وهو الجَوْرُ ، وهو نقْص عظيمٌ على الرسول الكريم ، ومَنْ نقَص من الرسول شيئًا يكفُرُ ، فاجتهادُ عمرَ رضي الله عنه أجاز ضَرْب عُنُقِهِ لو لا نَهْيُ الرسولِ عليه السلام ؛ والله أعلم . ففي هذا كما في ما قبْلَه مِن عظيم عفوه وحلمه ، وجميل صبره ، وتحمّلِهِ ما لا يخفى ؛ إذ لم يَزِدْ في جوابه إلا أن وَعَظ نفسَه وبيَّن ما جَهلهُ .

(و)مَا (روي) : أنه لمّا كان غَزْوةُ خيْبر سَنة سَبْعٍ منَ الهجرة شاوَرَتْ زينبُ اليَهُودِيّةُ[2] – لمَّا قَصدَتْ أنْ تسُمَّ النبي ﷺ – يَهُودَ[3] في سُمُومٍ ، فاجمعوا لها على السَّمِّ المُعيّن القاتلِ لوَقته ، فسَمّتْ به الشاةَ جميعها ، لكنها أكثرَتْ في الذراع والكَتِف لما قيل لها[4] : إنه يُحبُّهمَا ، فوضَعَتْها بين يَديه وحاضري أصحابهِ ، فَتناوَلَ ﷺ الذراعَ وتناول بِشْرٌ[5] عَظْمًا آخرَ ، فلما ابْتلعا لُقْمَتيْهمَا قال ﷺ : « ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، فَإِنَّ هَذِهِ الذِّرَاعَ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ » ، فأرْسلَ إليها فقال : « سَمَّمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ ؟ » فقالت : مَنْ أَخْبرَك ؟ فقال : « هَذِهِ » يعني الذراعَ ، قالت : نعم ، قلتُ[6] : إنْ كان نبيًّا لم يَضرُّه السّمُّ وإلا اسْترَحْنا منه ، فعُفِيَ عنها ولم يعاقبْهَا ، كما أشار إليه المصنف بقوله :((إن يَهُوديّةً أَتَتِ النبيَّ ﷺ بشاةٍ مَسْمُومةٍ)) أي : مَجْعُولٍ فيها السمُّ

---

(١) أي : صلى الله عليه سلم .
(٢) صفة زينب . هي : زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم . « منح : صـ ٢٥٩ » . *
(٣) مفعول يهود .
(٤) لها – زينب .
(٥) أي : بِشر بن البراء رضي الله عنه . *
(٦) قلت – مقول .

فجيء بها إلى النبي فسألها عن ذلك فقالت : أردت قتلك ، فقال : « مَا كَانَ اللهُ تَعَالَى لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ » فقالوا : أفلا نقتلها يا رسول الله ؟ فقال : « لاَ » .

وسحره رجل من اليهود . . . .

((**فجيء بها**)) أي : بتلك المَرْأة ((**إلى النبي**)) ﷺ لمّا أخبَرته الذِّراعُ ((**فسألها عن ذلك**)) السَّمّ ((**فـ**))ـاعترَفَتْ و((**قالت : أردْتُ قتْلك ، فقال : « مَا كَانَ اللهُ تَعَالَى لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ »**)) أي : على قتلي ، لكنه أثَّرَ في جَسَده الشريفِ وَاحْتجَمَ على كاهلِه ثلاثةً ، وقال قُبيْل وَفاته ﷺ : « مَا أَزَالُ أجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ » ، والأَبْهَرُ - بفتح الهمزة وسكون الموحّدةِ - عِرْقٌ مُسْتَبَطَنٌ بالصُّلْب يَتصل بالقلب ؛ إذا انقطع مات صاحبُهُ ، فكانت الصحابةُ يرَوْنَ : أنه ﷺ مات بذلك السَّمِّ شهيدًا ليُسْتكْمَل بالنبوة والشهادة جميعًا ((**فقالوا : أفلا نقْتُلهَا يا رسول الله ؟ فقال : « لاَ »**)) أي : لا تقتلوها لأجْلي ؛ لأنه كان لا ينْتقمُ لنَفسهِ ، فلما مات بِشرٌ بذلك السَّمِّ دَفعَهَا إلى أوليائهِ فقتلوها قصاصًا ، على ما فيه مِنَ الخلافِ المبيَّنِ في « شرح الهَمْزيّة » عند قولها :

وَبِخُلْقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ   لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا العَجْمَاءُ

أي : المرأة الجاهلةُ . وفي هذا أيضا من كريم خُلقه وعظيم حِلمهِ ما لا يخفى .

(**و**)مَا روي : أنه ((**سحرَهُ رجُل منَ اليهُودِ**)) أي : إن غلامًا مِن اليهود - يقال له : لَبِيدُ بنُ أعْصَم - كان يخْدمُ النبي ﷺ ، فَسألتِ اليهودُ منه أن يُعْطيهُمْ مُشاطَةَ رأسِ النبي ﷺ وعِدّةَ أسنانٍ من مُشْطِه[1] ، فَسَحرُوهُ بها[2] ، ووَتْرٍ مَعْقُود فيه إحدى عَشرةَ عُقْدة مغرُوزَةً بالإبْرَةِ ، فدَسَّهَا[3] لَبيد في بئْرٍ ، فمَرِضَ النبي ﷺ

---

(١) فأعطاها اليهود . *
(٢) وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي . *
(٣) أي : أخفاها .

فأخبره جبرائيل بذلك حتى استخرجه ، وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط .

وروي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا ، وعلق سلاحه بشجرة ، وتفرق الناس عنه ، فجاءه أعرابي فسل سيفه . . . .

وانْتشر شَعرُ رأسهِ واشْتدَّ عليه ذلك ثلاثَ ليالٍ ، فجعَل يَذُوبُ ولا يَدْري ما عَرَاهُ ((فأخبره جبرائيل)) عليه السلام ((بذلك)) السحر ، فأرسل عَليًّا وزُبَيرًا وعَمَّارًا فأخرجوه ولم يَزل مَرِيضًا ((حتى استخرجَه)) فأنزل الله تعالى : المُعَوِّذَتَين ، فجَعَل يَقْرأ آيةً وتَنْحَلُّ عقْدَةٌ فحلّ[1] عُقدَهُ فقام كأنما نشط مِن عِقالٍ[2] ((وما ذكر ذلك)) أي : ما عاتبهُ فضلا عن العقابِ ((لليَهودي)) أي : لَبِيد ((ولا أظْهرهُ عليه قط)) وفي هذا كلّه عظيمُ عفوه وصَفْحهِ الذي لا يُطاق مَن القادِرَ على الانتقام ، ولا ينافي ما مر من الأعراضِ التي تَعْتَريه عِصْمَتَهُ من الناس ، كما قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] ؛ لأن المرادَ : العِصْمَةُ عمّا يُخِلّ بأمر نبوّتهِ ؛ ولأنه بَشرٌ يجوز عليه ما يجوز على سائر البَشر من الأمراض والأعراض التي لا تُخِلُّ بعَقلهِ ونبوتهِ ، ولا يسْتلزمُ أيضًا صِدْقَ الكفّارِ في قولِهِمْ : أنه مَسْحُور ؛ لأنهم أرادوا به ، أنه مجنون ؛ أُزِيلَ عَقلُه بسبب السِّحرِ ، فحاشاهُ الله تعالى عن ذلك .

(و)مَا (رُوي : (أنّ رسول الله ﷺ نَزل مَنْزِلا ، وعَلَّق سِلاحَهُ بشجَرةٍ)) وكانوا[4] يختارُونَ له شجرةً تُظِلُّه ، فَبيْنما هو تحتها قائلٌ[5] ((وتفرَّق الناس عنه)) قائلين ((فجاءَهُ أعْرابيّ)) لِمَا رأى غفلة الناسِ عنه ((فسَلّ سيْفهُ)) أي : أخذ سيْفَ رسول الله ﷺ وَسَلَّه ، فلم يَنْتبِهْ إلا وهو قائِم والسيْف مَسْلولٌ في يَدهِ

---

(١) أي : نقضها .
(٢) أي : حُلّ مِن حَبْلٍ . منه .
(٣) سورة المائدة : الآية ٦٧ .
(٤) أي : الصحابة .
(٥) أي : نائم وقت القيلولة . منه .

فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : « الله » ، فأسقطه جبرائيل عليه السلام من يده وأخذه الرسول فقال : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ » فقال : لا أحد ، فأسلم ثمة .

وأما أخبار حلمه ورأفته فلا يضبطها ضابط ، ولا يكتبها ناسخ ، . . . .

((فقال)) الأعرابيُّ : ((مَن يَمْنعُك مِنّي ؟ فقال :)) يمْنعُك ((« الله » ، فأسْقَطهُ جبرائيل عليه السلام مِن يده وأخذهُ الرسول فقال : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ » فقال : لا أحَدَ) كُنْ خَيْرَ آخِذٍ (فأسْلَم ثَمّة) فعفا عنه رسول الله ﷺ ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومِهِ وقال : جئتكُمْ مِن عند خير الناسِ) . وما روي : أن أعرابيًّا جَذبه حتى أثّرَتْ حاشيةَ البُرْد في صَفحة عُنُقهِ الشريف مِن شدة جَذْبَتهِ ، وقال : مُرْ لي يا محمد من مالِ اللهِ الذي عندك ، فضحك ثم أمر له بعطاء .

وما ذكرنا إشارة قليلة إلى بيان عفوهِ (وأما أخبار حِلمهِ ورَأفتهِ) على الخَلْق (فلا يَضْبطها ضابطٌ ، ولا يكتبُهَا ناسِخ) لأنه ﷺ مجْبُولٌ على الأخلاق الكريمة في أصْل جِبِلَّتهِ بالفضل الوَهبيِّ ، والجُود الإلهيِّ ، مِنْ غير رياضة ولا تَعَبٍ ، بل لم تَزَل أنوارُ المعارف تُشْرِقُ في قلبه حتى اجْتمع فيه من خصال الكمال ما لا يُحيط به حدٌّ ولا يحْصُرهُ عَدٌّ ، ومن ثمّة أثنى تعالى عليه في كتابه العزيز فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2] ، كيف وقد أُدِّبَ بالقرآن ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : (كان خلقهُ القرآنُ) ، فأوصافُ خُلقه العظيم لا تتنَاهَى كما أن معانيَ القرآن لا تتناهى ، ومن ثمّة وسِعَتْ أخلاقه أخلاقَ العالم ، فلذا أرْسَلهُ إلى كافة الخلق . وحَسْبك في صَبْره وحلمه وعفوه عند القُدْرة ما روي : (أنه لمّا فَتح مَكة جمع أهلَهَا فقال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ » قالوا : خيْرًا ، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كَرِيمٍ ، قال ﷺ : « أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ .
(٢) سورة النساء : الآية ١١٣ .

ولا يتسع في هذا المختصر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب ما أمكنه ، مرة فرسا ، . . .

لإخْوَتِهِ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ الآية[١] ؛ إذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ »)[٢] أي : مِن الأَسْرِ والاسْترقاقِ ، فعفا عنهم مع ما صدَرَ منهم مِن شدّة إيذائه ، ورَمْيه بالسِّحْر والجُنونِ ، وغيرِ ذلك ممّا لَوْ تحمَّل الجبالُ لَصَارَتْ هَباء ؛ هذا .

(وَ)استقصاءُ آثارهِ (**لا يَتّسعُ في هذا المختصَرِ**) فإن أردت الاطلاعَ على أخلاقهِ الطيِّبة ، وشِيَمهِ المرْضيّة ، فعليك بكتبِ الحديث التي تُنوِّرُ قلوبَ المحبّينَ ، ولا تُكبِبْ على العلوم التي تُطْفِئ أنوارَ قلوبِ المُجِدِّين ، وبالله التوفيقُ ومنه رجاءُ التحقيق .

ولمّا فرغ المصنف ﵀ منَ الإشارة إلى نَبْذةٍ مِن أحوال رسول الله ﷺ أدْرَك ما فاتتِ الإشارةُ إليه في الفصول المتقدّمَة في أوصاف معانيهِ قبْل الدخول في أوصاف ذاتهِ العَليّة ، فقال :

(**وَكانَ رسول الله ﷺ يركَبُ ما أمكنهُ ، مَرّة فَرَسًا**) وكان له فرس أشْقَر يُسمّى : المُرْتَجِزَ ؛ سمي به لحُسْن صَهِيلهِ ، وفرسٌ أدْهَمُ تسمّى : السَّكْبَ[٣] أي : كثيرَ الجَرْي ، وآخَرُ يُسمّى : الظَّرِبَ - بالظاء المعجمة[٤] وكسر الراء[٥] ، وآخرُ يُسمّى : اللَّحِيفَ[٦] - بالمهملة - سُمّي به لسَمَنهِ ، وآخرُ يُسمّى : اللِّزاز[٧] ؛

---

(١) سورة يوسف : الآية ٩٢ .
(٢) بضم الطاء المهملة وفتح اللام جمع طَلِيق وهو : الأسير إذا أطلِقَ وخُلِّيَ سَبيلُه . (لغة) .
(٣) بفتح فسكون . منه .
(٤) المفتوحة .
(٥) وموحّدة .
(٦) اللحيف : بحاء مهملة كرَغيف ، وقيل : بالتصغير - سمي به لطول ذَنبه ، فعيل بمعنى فاعل كأنه يلحف الأرض بذنبه ، وقيل : هو بخاء معجمة ، وقيل : بجيم . « فيض القدير : ٢٢٥/٥ » .
(٧) أي : بزائين . ولَزَّ به الشيءُ أي : لَصِقَ به كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته . لَزَّهُ يَلُزُّهُ لَزًّا ولَزازًا ،أي : شدَّه وألصقه . (لغة) . *

ومرة بعيرا ، ومرة بغلة ، ومرة حمارا ، ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ، ولا عمامة ، ولا قلنسوة .

وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى . . . .

سُمّي به لشدَّة تَلَزُّزه ، وهذه أهْداها له المُقَوْقِسُ . وآخرُ يُسمّى : الوَرْدَ ، وآخرُ يُسمَّى : السَّبْحَة – بالموحَّدة – سُمّي لحُسْن جَرْيِهِ كالسَّابح ، وهذه سَبْعةٌ مُتّفَقٌ عليها ، وقيل : كان له آخرُ يُسمَّى : البَحْر ، وقيل : كانت له خَمْسةَ عَشرَ .

(**وَمرَّةً بَعيرًا**) والبعيرُ من الإبل بمنزلة الإنسان مِن الناس ، يقال : للجمل بَعير وللناقة بَعيرٌ ، والجمعُ : أبْعِرَة وأباعِر وبُعرانٌ (**ومرّةً بغْلةً ، ومرّة حمارًا**) ومرّ بيانُ رُكُوبه الحمارَ (**ومرّة يمْشي راجِلاً**) الراجل : خلافُ الفارس ، والمشيُ في الحقيقة[١] في الراجل مَجازٌ في الراكب . ومَشْيُهُ كان هَيّنًا في تُؤَدَةٍ وسُكونٍ ، وحُسْنِ سَمْتٍ ووَقارٍ وحِلم ، لا يَضربُ بقَدَمهِ ولا يَخْفق نَعْلَهُ أَشِرًا وبَطِرًا ؛ لأن سرعة المشي تَذهبُ بِبَهاء الرجل أي : الإسراع الخفيف الذي يُخِلّ بالوَقارِ لِمَا أنه كان ذَرِيعَ المَشْيةِ ؛ أي : واسع الخَطْوة لا يلحقهُ أحدٌ بجَهْدٍ ، وإنما خيرُ الأمور أواسطها (**حَافيًا**) ومِنْ ثمّة نُدِبَ[٢] في بعض الأحوال إنْ أمِنَ الأذى والنجاسةَ ، ومَرَّ نظمُ العراقيّ في هذا المعنى (**بلا رداءٍ ، ولا عِمامَةٍ ، ولا قلنْسُوةٍ**) وفيه غاية تواضعهِ ﷺ .

(**وكانَ ﷺ يَعُود المرضَى**) حتى لقد عاد غلامًا يهوديًّا كان يَخْدمُه ، وعاد عمّه[٣] وهو مُشْركٌ ، وعَرَضَ عليهما الإسلامَ ، فأسلم الأولُ ، وكان[٤] يدْنُو من المريض ، ويجلسُ عند رأسهِ ، ويسأل عن حالهِ ويقول : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » ، ويُطيبُ نفسَ المريض ويَذكرُ بعض ثوابهِ ، وربما يَضعُ يَدَه على المكان الذي

---

(١) في الحقيقة - حقيقة . خ .
(٢) أي : الحفاء .
(٣) أي : أبا طالب .
(٤) أي : صلى الله عليه وسلم . *

في أقصى المدينة ، وكان يردف عبده أو غيره .

وكان من خلقه تسمية دوابه ، ومتاعه ، وسلاحه ، فكان اسم رايته : العقاب ، واسم سيفه الذي يشهد به الحرب : ذا الفقار ، . . . .

يَألَمُ ويقول : « لا بَأسَ عَلَيْكَ ، طَهُورٌ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى » ، إلى غير ذلك مما ذَكروهُ (في أقْصَى المدينة) أي : أبعَدِهَا دَارًا .

(وكان يُرْدِفُ عَبْدَه أو غيرَهُ) ومرّت قصّة إرداف أبي هريرةَ على حمارهِ ، وعد بعضهم من أردفهُ النبي ﷺ على فرسٍ أو غيره فبلغ بهم نيفًا وأربعين . وفي هذا كلِّهِ من عظيم تواضُعهِ وكمال رَأفتِهِ وتعليم أمّته ما لا يخفى .

(وكان مِن خلقه) ﷺ - بالضم (تَسْمِيَة دَوَابّه) الدَّابة لغةً : لكُلّ ما يَدِبُّ[1] ، وعُرفا : ذوات القوائم الأربع وإن خصَّهُ عُرْفٌ خاصٌّ للفَرَس أو الحمار أو غيره ، وحكمتُهَا : لتُمَيّزَ عند اسْتدعاء الحاجة إلى التمييز (ومَتاعِهِ) المتاع : ما تمتّعت به (وسلاحه) وبدأ في التفصيل بعَكْسِ تَرْتيب الإجمال ، فقال :

(فكان اسم رَايَتهِ :) - صرّحَ جَمْعٌ : بأن الرَّايَةَ وللّواءَ مُترادِفانِ ، لكنْ صح : أنه كانت رَايَةُ رسول الله ﷺ سَوْداءَ ، ولِواؤُه أبيضَ ، وفي رواية زيادة : مكتوبٌ فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ ﷺ ، واللواءُ : هو العَلَمُ الذي يُحْمل في الحرب ، يُعْرَف به موضع صاحب الجَيْشِ ، وقد يَحمِله أميرُ الجَيْشِ ، وقد يَدْفعهُ لمُقدّم العَسْكر - (العُقابُ) لأن رَايَته سَوْداءُ ، ولَوْنَ العُقابِ أسْودُ ، وكانت بُرْدًا لعائشة رضي الله عنها ، ولم تُعْرَفِ الرَّايات إلا بخَيْبرَ ، وقبلها كانت الألْويَة .

(وَاسمُ سَيْفهِ الذي يَشهدُ به) أي : يحضر (الحرْبَ : ذا الفِقَارِ) سُمّي به ؛ لأنه كان في وَسَطهِ مِثْل فَقَراتِ الظهْر ، ويجوز في فائِهِ - الفتح والكسرُ - ،

---

(١) بكسر العين أي : يمشي على الأرض . منه .

وكان له سيف يقال له : المخذم ، وآخر يقال له : الرسوب ، وآخر يقال له : القضيب . وكان قبيعة سيفه من الفضة . . . .

وصار إليه يَوْمَ بَدْرٍ ، وكان للعاصِ بن مُنَبِّه ، وكان هذا السَّيْفُ لا يُفارِقُه في كل حَرْبٍ يَشْهَدُهَا ، وكانت قائِمتُه[١] وقبيعتُه[٢] وحَلْقته وذُؤابتهُ ونَعْلُه[٣] مِن فضّةٍ .

(**وَكانَ له سَيْف**) آخر (**يقال له : المِخْذَمْ**) - بالمُعْجمتين وكسر أوله - أي : القاطِعُ (**وَ**)سيف (**آخرُ يقال له : الرَّسُوبُ**) أي : الذي يَمْضي في الضريبَة[٤] ويَغيبُ فيها (**و**)سيف (**آخرُ يقال له : القَضِيبُ**) كما روي : أنه وُصِف نبيُّنا ﷺ في الإنجيل بأن معه قَضِيبٌ[٥] مِن حديد يقاتل به ، وأمّتُه كذلك ، وكان له سيف آخر يسمّى : بمأثور[٦] ، وهو : أول سيف مَلكَه[٧] ، وهو الذي يقال : إنه قَدم به إلى المدينة في الهجرة ، وآخَرُ يُسمّى : العَضْب[٨] أي : القاطعُ ، وآخرُ يُسمّى : القُلَعِي - بضم القاف وفتح اللام - وهو الذي أصابهُ مِن قُلَعَ ، موضعٌ بالبادية ، وآخر يُسمّى : البَتَّار أي : القاطعُ ، وآخَرُ يُسمّى : الحَتْفَ أي : الموتَ ، فجملةُ أسْيافه : تِسْعَة .

(**وَكانَ قَبيعَةُ سيْفه مِن الفِضّةِ**) القبيعة - بقاف فموحدةٍ فتحتيّة فمهملة - كسَفينَةٍ ؛ ما على طَرَف مَقْبِضه . وفيه حلُّ تحْليَةِ آلة الحَرْب بالفضة للرَّجُل ، أما بالذهب فيَحْرمُ ، كهُمَا للنساء ، وخبرُ : أن سيْفَه ﷺ يوم الفتح كان عليه ذهَبٌ وفِضّةٌ ؛ يُحتَمل أنه تَمْويهٌ يَسِيرٌ بغير فعْلهِ قبل مِلكه له .

---

(١) القائمةُ ، من السيف : مَقْبِضُه . (قاموس) .
(٢) سيأتي معناها .
(٣) النعل : حديدةٌ في أسفَل غِمْدِ السيف . (قاموس) .
(٤) والضريبةُ المَضروبُ بالسيفَ ، وإنما دخلته الهاءُ ، وإن كان بمعنى مفعول ، لأنه صار في عِدادِ الأسماء . (لسان العرب) .
(٥) والقضيب : السّيف القَطاع . (قاموس) .
(٦) وفي نسخ : مأبور . *
(٧) أي : ورثه من أبيه . *
(٨) أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر . « مواهب : ١٦٤/٢ » . *

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة .

وكان اسم قوسه : الكتوم . واسم جعبته : الكافور . وكان اسم ناقته : القصوى ، وهي التي يقال لها : العضباء ، وبغلته : الدلدل ، . . . .

(وَكانَ) ﷺ (يَلْبسُ المنْطَقة) كَمِكْنَسَةٍ ؛ مَا يُنْتَطَقُ به أي : يُشَدُّ به الوسَطُ (مِنَ الأدَمِ) مرّ تفسيرُه (فيها ثلاث حِلَقٍ مِن فضّة) .

وكان اسمُ قَوْسِهِ : الكَتُومَ) كُسِرَتْ يوم أُحدٍ فأخَذهَا قَتادَةُ ، وكان له قوسٌ آخرُ يُسمّى : الرّاوز[١] ، وآخرُ تُدعى : الرَّوْحَاءَ ، وآخر تدعى : الصَّفْرَاء ، وشَوْحَط[٢] ، وَذا السَّدَاد ، فجُمْلة أقواسهِ : ستّة .

(و)كان (اسمُ جَعْبتهِ :) وهي : كنانة النُّشَّابِ ، والكِنانة - بكسر الكاف - جَعْبَةُ السِّهام (الكافُور ، وكان اسْم نَاقته : القَصْوَى) - بفتح القاف ، بعدها مُهْملة ومَدٌّ ، وقيل : بالضم والقصر (وهي التي) هاجر عليها ، والتي (يقال لها : العَضْبَاءُ) وقيل : هي غيرُهَا ، ولم يكن بها عَضْبٌ وإنما هو اسم لها ، وكانت له ناقة أُخرى يقال لها : الجَدْعاء ، ولم يكن بها جَدْعٌ وإنما هو اسمٌ لها ، وقيل : العَضْباء والجَدْعاء واحدةٌ ، والعضباء هي التي كانت لا تُسْبَقُ - بضم أوله - فجاء أعرابي على قَعود فسبقَها فشقَّ ذلك على المسلمين فقال ﷺ : « إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ لا يَرْفَعَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلاَّ وَضَعَهُ » .

(و)كان اسم (بَغْلَتهِ : الدُّلْدُل) - بضم فسكون ثم مثله - سُمِّيت به ؛ لأنها تَضْطَرِب في مَشْيِها مِن شدَّة الجَرْيِ ، وكانت شَهْباء ، أهداها له المقوقس . وذكر المحب الطبري : أنها كبُرَت وبَقِيَت إلى زمان مُعاوية . وكانت له بغلة أُخرى تُدْعى : فِضَّة ، وثلاثةَ بِغالٍ أُخَرَ مُهداةٍ له .

---

(١) الراوز - رَازَهُ رَوْزًا : جَرَّبَهُ . (قاموس) . وفي كتب السير : الزَّوْراء . *

(٢) والشَّوْحَطُ : شجرٌ تُتَّخَذُ منه القِسِيُّ أو ضَرْبٌ مِن النَّبْع ، أو هما والشِّريانُ واحدٌ ، ويَختلفُ الاسمُ بحَسَب كَرَم مَنابِتِها ، فما كان في قُلَّة الجَبل ، فَنَبْعٌ ، وفي سَفحهِ شِرْيانٌ ، وفي الحَضيض شَوْحَطٌ . (قاموس) .

واسم حماره : يعفور ، واسم شاته التي يشرب لبنها : عيبة .

(و)كان (**اسمُ حِمارِه : يَعْفُور**) - بسكون المهملة وضمِّ الفاء - اسم ولَدِ الظَّبْيِ كأنه سُمِّي به لسُرْعتِه ، ويقال له : عُفَيْر - بضم العين المهملة وفتح الفاء وسكون التَّحتِية ، بعدها راءٌ مهملةٌ - تصغير أَعْفَرَ مِن العُفْرَة ، وهي حُمرةٌ يخالِطُها بياض . وقيل : هو غيرُه ، وكان[١] أسودَ ؛ أصابَه يومَ خيبرَ ، فكَلَّمَه : بأنه من نسل سِتِّين حمارا لم يَركِبْها إلا نبيٌّ ، وأنه كان يَعْثُر بصاحبه اليهوديِّ عَمْدًا ، وكان يَتَوقع ركوبه ﷺ ، وكان يَركَبُه في حاجته ويُرسلُه إلى الرجل فيَقرَع بابَه برأسه فيَعرِف أنه أرسله إليه ، ولما تُوفي رسول الله ﷺ رمَى نفسَه في بئرٍ حُزنا عليه ، وقيل : هو الذي أهداه المقوقس مع مارية كما سبق ، وكان له حمارٌ آخر أعطاه له سعد بن عبادة فركِبَه .

(و)كان (**اسم شاتهِ التي يَشرَب لبنَها : عيبة**) وهي : وِعاء يُجعَل فيه الثِّيابُ .

تكملة : اقتصَر المصنف على مُقتضى إشارتهِ ببيان بعضِ ما سمَّاها رسول الله ﷺ ، ولا بأسَ علينا بأن نُشِير إلى بيان بقيّة الأشياء المنسوبة إليه ﷺ وإن أخرَجْنا الكتاب عن موضوعه ، فنقول : وبالله التوفيقُ .

كانت له أدراعٌ سبعةٌ : ذَات الفُضُول - بالضاد المعجمة - سمِّيت لطولِها ، أرْسَل بها سعد بن عبادة حين سار إلى بدرٍ ، وكانت من حديد ، وهي التي رَهَنَها عند أبي الشحم اليهوديِّ على شعير حين قرُب وفاتُه ، وكان ثلاثين صاعا . وذات الوِشاح . وذات الحَواشي . والسّعدية[٢] ، قيل : وهي درع داود عليه السلام التي لبِسَها حين قتَل جالوت . وفِضَّة ، وكان قد أصابها من بني قينقاع . والبَتْراءُ ؛ سمِّيت لِقِصَرِها . والخِرْنِق ؛ باسم ولَدِ الأرْنب . وكان عليه يوم أُحُد درعان : ذات الفضول وفضة ، ويومَ خيبر درعان : الأُولى[٣] والسعدية .

---

(١) أي : يعفور . *

(٢) ويقال : السُّغْدِيَّة - بضم السين وسكون الغين المعجمة ، وهي درع عكبر القينقاعي . *

(٣) أي : ذات الفضول . *

. . . .

وأتراسٌ ثلاثةٌ : الزَّلُوق ؛ أي : يَزلُق عنه السِّلاحُ . والفُتُقُ[١] . وآخر أُهدِي إليه ، وكان فيه تِمثالُ صورة عُقاب أو كبشٍ ، فوضع ﷺ يدَه عليه فأذهبه الله تعالى ، قيل : وآخر يسمَّى : الذِّقنَ .

وأرماح أربعة : المُثْوي ، سمِّي به ؛ لأنه يُثبِتُ المطعونَ به ، من الثُّوى ، وهو : الإقامة . وَالْمُثْنِي . ورُمْحان آخَران . وكانت له ﷺ حَرْبَة كبيرة اسمُها : البَيْضاء ، وصغيرةٌ دون الرمحِ شبه العُكاز يقال لها : العَنَزَة[٢] ، وكانت تُرْكَز أمامَه ويصلي إليها[٣] ، وقيل : يسمَّى هذا : النَّبْعَاء - بنون مفتوحةٍ فموحَّدةٍ ساكنة فعين مهملة ، وقيل : - بباء موحدَةٍ ثم نون ساكنة - شجر يُتَّخَذ منه القِسِّيُّ .

وكان له مِغفَرٌ[٤] من حديد يُسمَّى : السَّبُوغَ ، وآخر يسمَّى : المُوَشَّح .

وأما مَتاعُه :

فكان له بساط يُسمى : الكزَّ - بزاء معجمة . ومِحْجَن - كمنبر - العصا المُعَوَّجُ ، وكان قدرَ ذراعٍ أو أكثرَ يَمشي ويركب به ويُعلِّقُه بين يديه على بعيره . ومِخْصَرَة كمكنسة ما يَتَوكأ عليه كالعصا ونحوه ، تسمَّى : العُرْجُون . وقضيبٌ من الشَّوْحَطِ يُسمَّى : المَمْشُوق ، قيل : هو الذي كان الخلفاء يَتَداولونَهُ .

وقَدَحٌ - بفتح أولَيْه - يسمى : الرَّيَّان . وآخرُ يسمى : مُغِيثًا . وآخرُ : مُضَبَّب ؛ بسلسلةٍ من فضةٍ في ثلاثةِ مواضعَ . وآخرُ من عَيْدان - بفتح العين المهملة وسكون التحتية ودال مهملة - جمع عيدانة ، وهي : النخلةُ ، وكان يوضع تحت سريرِه يبول فيه بالليل . وآخر : من زُجَاج .

---

(١) بالفاء والتاء والقاف . منه .
(٢) بفتح العين المهملة والنون المفتوحة والزاء المعجمة المفتوحة . منه .
(٣) ليمرّ المارّ خلفها . منه .
(٤) بكسر الميم وسكون المعجمة وبالفاء - زَرَدٌ يُنْسَج مِن الدِّرْع على قدر الرأس . منه .

. . . .

وتَوْرٌ – بالتاء المثناة – إناءٌ يُشرَب منه من حجارة يسمى : المِخْضَبَ ، وهو[1] كمِنْبر : المِرْكَنُ[2] ، وهو مثلُه : آنيةٌ معروفةٌ . ورَكْوَة تسمى : الصَّادِرَة ، سمِّيت به ؛ لأنه يُصدَر عنها بالرِّيِّ . ومِخْضَب من نُحاس . ومُغْتَسَل من صُفْرٍ . ومُدْهُن .

ورَبْعَة إسكندرية يُجعَل فيها المِرآة وتسمى : المُدِلَّة . ومِشْط من عاج . والمُكحُلَة يكتحِل منها عند النوم ثُلاثًا في كل عينٍ . وكان في الرَّبْعَة أيضا : المِقْراض – بكسر الميم – ويسمى : الجامِعَ . والسواك . وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية مع ماريةَ .

وكانت له قَصْعَة – بفتح القاف – تسمى : الغَرَّاءَ – تأنيث الأغر من الغُرَّة – لها أربعُ حِلقٍ يَحمِلُها أربعةُ رجالٍ لعظمها . وصاع[3] ، ومُدّ ، وقَطِيفَة ، وسَرير قوائمُه من سَاج[2][4] ، وكان في زمن بني أميَّةَ ، قد بقيَت منه خشبات مشدودةٌ بالليف ، فاشتراها رجلٌ بأربعةِ آلاف درهمٍ . وخاتمٌ من حديدٍ ؛ مَلويٍّ بفضة . وخاتمُ فضة يَجعَلُه في يَمينِهِ . وسَرْج يسمى : الدَّاجَ .

وكانت له خمسةٌ وأربعون لِقْحَة أرسل بها إليه سعد بن عبادة ، ومائةُ شاة ، وستةُ أعنز منائح ترعاهنَّ مولاته وحاضِنتُه أم أيْمَن .

فهذه المعدوداتُ أموالُ سيدِ الكونين الذي خلقاهما لأجله ، فاعتبر يا أخي عدمَ اهتمامهِ ﷺ لزينة الدنيا ، فإنه لم يأخذ منها إلا ما يُحتاجُ إليه كلَّ حين ، وأما تعدّد أسلحتهِ فمِن إعدادِ العُدَّة لأعدائهِ ، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ الآية[5] ، نسأل الله تعالى أن يَمُنَّ علينا بالهداية ويعصمنا من الغَواية .

---

(١) مبتدأ . * (٢) خبر . * (٣) أي : يُخرَجُ به زكاة الفطر . *

(٤) بعث به أسعد بن زُرارة إلى رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة في دار أبي أيوب ، فكان ينام عليه حتى توفي فوُضع عليه وصُلِّي عليه . وكان الناس يحملون عليه موتاهم يطلبون بركته ، وحُمل عليه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . « المختصر الكبير في سيرة الرسول : ٨٤/١ » . *

(٥) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

فصل في بيان لون النبي صلى الله عليه وسلم وصفته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالطويل ولا بالقصير ؛ بل كان رَبعة متوسطة ، كما مدح حسان . . . .

فصل

(في بَيان لَوْن النبي ﷺ وصِفَتهِ)

لمَّا فرغ المصنف رحمه الله من بيان أوصافه المَعْنوية شَرَع في بيان أوصافه الذاتية ، تتميمًا لكمالاته بحَسب مقدار الكفاية لإرشاد الصِّبْيَةِ ، وإنما قدَّم المعنويةَ مع أن الذاتية أقْدَمُ ؛ لأن كمال المرء إنما هو بحُسن السيرة لا بحسن الصورةِ ، وإن كانت المحاسنُ الظاهرةُ دالةً على الباطنة ، ألا يُرى أن سيدَنا يوسف عليه السلام كم ابتُلي بحُسن الصورة ؛ وكم اجتُبي بحسن السيرة ، ولأن احتياجَنا إلى أوصافه المعنوية أشدُّ لنتأسى به في شمايله وسيره ، لكن لمَّا وجب علينا معرفةُ نبينا ﷺ بأوصاف بدنهِ الشريفِ أيضا قال رحمه الله :

(**كان رسول الله ﷺ لم يكن بالطويل**) البائن أي : المُفْرِطِ (**ولا بالقصير**) أي : المُتردِّد ؛ أي : الداخِل بعضُه على بعضٍ قِصَرًا (**بل كان رَبْعةً**) - بفتح فسكون وقد يُحرَّك - وتأنيثه باعتبار النفس ولذلك استوى فيه المذكَّر والمؤنَّث أي : (**متوسطة**) لكنه إلى الطول أقرَبُ ، وهذا إن مشى وحده أو مع قصيرٍ ، وإلا طال على مَن ماشاهُ ، وهو يُنسَب إلى الطول ، بل لو اكتَنَفَهُ طويلان طالَهُما ، فإذا فارقاه نُسِب إلى الرَّبْعَة ، وذلك من معجزاته كي لا يتطاولَ عليه أحد صورةً كما لا يتطاول معنًى ، فَمُثِّل ارتفاعُه المعنويِّ في عين الناظِر ، فرآه فرفعَه حِسُّه .

ثم استدل على ما ذكره بأبيات من قصيدة الصحابي فقال : (**كما مدَح حَسَّان**) بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصاريُّ ، عاش مائةَ وعشرين سنةً ؛ نصفُها في الإسلام ، وكذا عاش أبوه وجده وجدُّ أبيه المذكورون ،

في بيته :

له قامة حسناء لا بطويلة تجاوز حد الطول عن كل صاحب
ولا قصر فيه يعار كغيره ولكنه بدر أتى بعجائب

وتوفِّي رضي الله عنه سنةَ أربعَ وخمسين ، وهو شاعرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يَنصِب هو[1] له منبرًا في مسجده فينافِح - بالحاء المهملة - أي : يُدافع لهَجْو المشركين ، ويَرُد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدعو له بقوله : « اللَّهُمَّ ؛ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ » ، فأعانَه جبرائيل عليه السلام بسبعين بيتا ، وكان من بلاغتهِ : أنه لما أراد أن يَهْجُوَ قريشا أخبَرَه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه : « مَا مِنْ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلاَّ وَلَهُ إِلَيْهَا قَرَابَةٌ » ، فقال[2] : لَأَسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ مِن العَجين .

(في بيته) من قصيدة له يَمدَح بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بكمالات صفاته الذاتية ، ولا علينا أن نَنْقُل تلك القصيدة هنا وإن أخرجَ الكتابَ عن موضوعه الذي هو الاختصار ؛ إذ إنشاءُ وإنشاد واستماع محاسنِ المحبوب يُقَوِّي السببَ الباعِثَ على محبته كما يعرِفُه أهلُ الذَّوْقِ ، قال رضي الله عنه :

أَلاَ صَاحِ إِنِّي صادقٌ غيرُ كاذبٍ بوَصفِ رسولِ الله خيرِ الأعارِبِ
وأكرَمِ مبْعوثٍ إلى خيْرِ أمَّةٍ وأصْدَق قوْلا في لؤيِّ بنِ غالبِ
(لهُ قامَةٌ حَسْناءُ لا بطويلَةٍ تُجاوِزُ حَدَّ الطولِ عَن كلِّ صاحِبِ
ولا قِصَرٌ فيه يُعارُ كغَيرِهِ ولكنَّه بَدْرٌ أتى بعَجائِبِ)
له طلعَةٌ كالبدرِ نُورًا وبَهْجَة وكالشَّمْسِ إشراقا على كلِّ جَانِبِ
بعَيْنيْنِ دَعْجاويْنِ من تحت حاجِبٍ أَزَجَّ كمُشْقِ النونِ من خَطِّ كاتِبِ
وأنفٍ كحَدِّ السيفِ في حُسْنِ رَوْنَقٍ كنورِ صَباحٍ في سوادِ غَياهِبِ
له لحيةٌ سَوْداءُ كَثَّ نباتُها تَكامَلَ فيه الحُسنُ مِن خطِّ شارِبٍ
له عُنقٌ نَصْبٌ كإبْرِيقِ فضَّةٍ على بَهْجةٍ مِن كاهِلٍ وترَائِبِ

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم . * (٢) أي : حسان بن ثابت . *

. . . .

قوله : **صَاحِ** – مُنادى مُرَخَّمٌ أي : صاحِبِي ، قوله : **الأعَارِبِ** ، في « القاموس » و« الصحاح » : يُجمَع الأعْرابُ : وهم سكانُ الباديةِ ؛ لا واحِدَ له ، على أعاريبَ ، ولعل حذف الياءِ هنا للضرورة ، قوله : **وأكرَم** – مجرور عطفا على **خَيْرِ** ، قوله : **وأصْدَقَ** – بالفتحة في حال الجر معطوف عليه أيضا ، قوله : **في لؤيٍّ** – أي : كائنًا في قبيلةِ لؤي ؛ جدُّه التاسعُ ، قوله : **لا بطَويلَةٍ** – صفة **قامةٌ** أي : ليست بطويلةٍ ، ولكون لا بمعنى ليس دخل الباءُ في خبَرِه ، قوله : **تُجاوِزُ** – صفةُ **قامةٌ** بصيغة المضارع ؛ وإلا لَقيل : تجاوزت ، قوله : **ولا قِصَرٌ** – عطف على جُملةٍ **له قامَةٌ** ، وقصرٌ بالتنوين مِن قبيل لا براح ، قوله : **فيه** – الضمير لرسول الله ، قوله : **يُعارُ** – أي : يذم ، قوله : **كغَيْرِهِ** – أي : كما يكون القِصَرُ في غيرهِ ، أو ليس فيه قصرٌ كما أنه ليس فيه غيرُه من المثالِب أو كما أراد ، قوله : **طلعَةٌ** – أي : وجهٌ ، قوله : **نورا** – تميزٌ للتشبيه لبيان وجه الشبَهِ ، وكذلك قوله : **إشْراقًا** – أو مرفوع خبر لمحذوف ، والجملةُ صفةُ **طَلْعَةٌ** أي : طلعة هو نور ؛ فالإسنادُ مجازيٌّ ، قوله : **عَلى كلِّ جانِب** – إذ إشراقُ نورهِ لم يَزَل هَطَّالا من الأزَل إلى الأبدِ على كل موجود ، بل تشبيهُ بالأشياء على عادةِ العرب والشُّعراء ، أو على سبيلِ التقريب والتمْثيل ، وإلا فلا شيءَ يُعادِلُ شيئا من أوصافهِ إذ هي أعلى وأجلُّ من كل مخلوقٍ ، قوله : **بعَيْنَيْنِ** – أي : مُلتَبِسةً تلك القامةُ ، قوله : **دَعْجاوَين** – أي : شديدَ السواد ، قوله : **أَزَجَّ** – صفةُ **حاجِب** أي : مُقوَّسِ الحواجبِ مع طولٍ وامتدادٍ ، قوله : **كمُشْقِ النون** – أي : شكلِ كتابتهِ ، قوله : **وأَنْفٍ** – عطف على **عينين** ، قوله : **رَوْنَقٍ** – رونقُ السيْفِ ، ماؤُه وحُسنُه من رنَق الماء أي : كان أنفه دقيقًا يَشبَه حدَّ السيفِ في بهْجتهِ وإضائتهِ واستقامته ، قوله : **كنورِ صَباحٍ إلى غياهبِ** – جمع : غيْهب ، وهو : الشديدُ السواد أي : كان أنفُه بين شعور الوجه السود كضوء الصباح في ظلمة الليل ، قوله : **من خطِّ شاربٍ** – أي : بسببه ؛ أي : كمَّلَ خطُّ شاربهِ جمالَ

وكان أحسن الناس وجها ، وأنورهم لونا ، لم يصفه واصف . . . .

لحيتهِ ، قوله : **نَصْبٌ** - أي : منصوب مستقيم من غيرِ اعْوِجاج ، قوله : **كإبريق** - أي : كعُنقه ، والإبريق : إناءٌ له عُرْوَة وخُرطوم بخلاف الكُوب ، فهو : ما ليس له ذلك ، قوله : **على بَهْجةٍ** اهـ - أي : علا ذلك العنقُ على كاهلهِ وترائبهِ الجميلة كأعْلا عنقُ إبريق الفضة على بطنِ الإبريق ؛ بل أعلى وأجَلُّ .

واعلم : أنا شرحنا هذه القصيدة على طبق أفكارِنا الفاترة لما لم نَظفَر بشرحها في كتاب ، فإن يكن صوابا فمِن أمّ الكتاب ؛ وإلا فارحَم على هذا الفقيرِ الفريدِ عن الأصحاب الوحيد عن أولي الألباب ، ولا حول ولا قوّة إلا بالوهاب .

ثم إن المصنف رحمه الله لمَّا بَيَّن سَوْرَةَ ذاتهِ ﷺ أراد أن يبين صورةَ وجههِ الذي هو أشرَف الأعضاءِ ، فقال :

(**وكان أحسنَ الناس وجها**) فقد صح عن أبي هريرة : (مَا رأيتُ شيئا أحسنَ مِن رسول الله ﷺ ، كأن الشمسَ تجري في وجهه) ، وعن البراء : (أنه قيل له : أكان وجه رسول الله ﷺ كالسيف ؟ قال : لا ، بل كالقمر) أي : لم يكن كالسيف في الطول واللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لَمعان السيف ، وعن جابر : (أنه لم يكن كالسيف ، بل كالشمس والقمر ، وكان مُسْتدِيرًا) ، نبَّه بهذا أنه جمَع بين الحسن والإشراق ، والمَلاحة والاستدارة (**وأنوَرَهم لونا**) لا سِيَّما إذا سُرَّ ؛ فإنه حينئذ يَصير وجهه كالمرآة ، فيُرى شخصُ الجُدر في وجهه لشدة نورهِ وصفائه ، فكانوا يعرِفون سرورَه من ذلك (**لم يصفه واصفٌ**) التنكير للتقليل ؛ إذ قَلَّ مَن يَصِفُه من أكابر الصحابة فضلا عن غيرهِم ، لعدم قدرةِ أحدٍ على وصفهِ حقيقةً ، وإنما وصفَه مَن وصَف مثل علي رضي الله عنه على جهة التمثيل تقريبا للطالِب ؛ وإلا فكلُّ وصفٍ يعبِّر به الواصف في حقه خارجٌ من صفتهِ ، ولا يَعلم كمالَ حاله إلا خالقُه ، ويؤيِّدُه ما صح عن عمرو بن العاص أنه قال : (صحبتُ رسولَ الله ﷺ ، فما مُلِئَت عَيْني منه قَطُّ ، حياءً منه وتَعْظيمًا له ، ولو قيل لي : صِفْهُ لمَّا

إلا شبهه بالقمر ليلة البدر ، كما في نظم حسان :

له طلعة كالبدر نورا وبهجة　　وكالشمس إشراقا على كل جانب

وكان له صلى الله عليه وسلم لحية سوداء كث نباتها ، ولم يشب منه إلا سبع عشرة شعرة ، . . . .

قدرتُه) ، وإذا كان هذا[1] - وهو من أجلِّ الصحابة كذلك - فما بالُكَ بغَيْره ؟ ! فلو لا أنه ﷺ كان يُباسِطهم ويمازحُهم ويتواضعُ لهم ويُؤنِسهم لمّا قدر أحد منهم أن يجالسَه ويحادثَه لما ألقى الله تعالى عليهم من المهابة والجلالة (**إلا شبهه بالقمر ليلة البدر**) وهي : ليلةُ أربعَ عشرة ، وسمي بَدْرًا لمبادَرَتهِ الشمسَ بالطلوع كأنه يُعجِّلُها المَغيبَ ، وإنما كان أكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس ؛ لأن القمرَ يَتمكَّن من النظر إليه ويُؤنِس مَن شاهدَه من غير أذًى يَتولَّدُ منه بخلاف الشمس ؛ لأنها تَغْشى البصرَ وتؤذي ، وخُص ليلة البدر ؛ لأن للقمر فيها نهايةُ إضاءتهِ وكمالاته (**كما**) شُبِّه وجهه بالبدر (**في نظم حسان**) في قوله :

(**لَهُ طَلْعَة كالبَدْر**) صفة (**نورا وبَهْجَةً　　وكالشَّمْس إشراقًا على كلِّ جَانِب**)

واستدل المصنف ؒ بالنظم للتشبيه بالبدر مع أن فيه التشبيهَ بالشمس أيضا ؛ لأن هذا من جهة المعنى - كما مر في شرحه - وذاك من جهة الصورة والكلام فيها ؛ والله أعلم .

(**وكان له ﷺ لحية**) - بكسر اللام ويجوز فتحها (**سَوداءُ كثٌّ**) - بفتح الكاف - أي : غيرُ دقيقها ولا طويلِها (**نباتُها ، ولم يَشِب**) من الشيب (**منه إلا سبعَ عشرةَ شعرة**) فقد صح عن أنس : (ما عددتُ في رأس رسول الله ﷺ ولحيتهِ إلا أربعَ عشَرَةَ شعرةً بيضاءَ) ، وعن ابن عمر : (إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحوا : من عشرين شعرة بيضاء) ، ولا تنافي بين هذه ؛ لأن سبع عشرَة

---

(١) أي : حاله . *

وكان من أجمل الناس عنقا كإبريق فضة يتلألأ .

وكان عريض الصدر كالمرايا في استوائه ، وكالقمر في بياضه . وكان عظيم المنكبين ، والمرفقين ، والوركين . . . .

وأربع عشرَة نحوٌ من العشرين ؛ لأنها أكثرُ من نصفِها ، لكن الواقعُ سبعَ عشرة أو ثمانِ عشرة وإنما لم يكثُر فيه الشيبُ مع كونه نورا ووَقارا - كما صح في الخبر - لأن النساء يَكرَهْن الشيب غالبا ؛ ومَن كَرِهَ من النبي ﷺ شيئا كَفَرَ ، ومن ثم قال أنس : ولم يَشِنْه الله تعالى بالشَّيْب .

(**وكان من أجمل الناس عُنقا**) - بضم العين المهملة وضم النون وسكونها - يُذكَّر ويؤنث (**كإبريق فضة**) مر تفسيرُه (**يتلألأ**) بيان وجه الشبه ، وصح : (أنه كان جِيدَ دُمْيَةٍ) كعُجمة - بمهملةٍ وتحتية - الصورة المنقوشةُ من نحو رُخام أو عاج ، (في صَفاء الفِضَّةِ) ، فعُنقُه بلغ الغايةَ القصوى من حيثُ الهيئة ، والشكلَ ومن حيثُ اللون .

(**وكان عريض الصدر**) وكونُ الصدر عريضا مما يُمدَح في الرجال (**كالمِرايا**) جمع مِرآة - بكسر أوله (**في استوائه**) وكان بطنُه مُستويا به أيضا[١] (**وكالقمر في بياضِه**) فقد صح : (أنه كان أنورَ المتجرِّدَ) أي : ما زال عنه الثياب ، (وأنه كان عَارِيَ الثَّدْيَيْن والبَطْن) من الشَّعر ؛ إلا أنه كان له شعر يَجري كالخط من نُقرة الصدر إلى السُّرَّةِ .

(**وكان عظيمَ المنكِبين**) المنكب كالمجلس : مَجمعُ عظم العَضُد والكَتِف (**والمرفقين**) المرفق كمِنبَرٍ ومَجلِس : مَوصِلُ الذراع في العَضُد (**والوَرِكين**) الوَرِك - بالفتح والكسر - وكَكَتِفٍ : ما فوق الفَخِذ - مُؤنَّثة[٢] أي : كان عظيمَ رؤوسِ العِظامِ ، وعِظمُها يدل على غاية القوة والشجاعة .

---

(١) أي : مع الصدر . *
(٢) أي : الورك والكتف والفخذ - كلهم مؤنثة . *

وكان واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة . وكان صلى الله عليه وسلم عبل العضدين ، والذراعين ، طويل الزندين ، رحب الراحتين . وكان أصابعه صلى الله عليه وسلم كقضبان الفضة ، وكفه ألين من الخز ، . . . .

(**وكان واسع الظهر**) أي : عريضَ أعلى الظهر ، وهو وعَرْضُ الصَّدْر متلازمان (**بين كَتفَيه خاتَمُ النبوة**) - بفتح التاء - كالطابَعُ لفظا ومعنًى ، سمي به لمشابَهَته للخاتَم الذي يُختَم به ، وهو الأثرُ الحاصل من خَتْم جبرائيلَ عليه السلام حين شقَّ قلبَه وغَسَلَه وأخرج منه مضغةَ سوداءَ ، وقصتُه مشهورة مذكورة في الكتب ، وقيل : وُلِد به أي : هو قطعةُ لحمٍ مُرتفِعَةٌ حمراءُ - عليها شعَراتٌ مثل بيضِ الحمامةِ - عند أعلى كتفهِ الأيسر ، وحكمةُ ختْمِهِ في هذا الموضع : أنه مَدخَل الشيطان إلى قلب الإنسان ، فسُدَّ من نبينا ﷺ بالختْم - لعصمته من وساوسه - كما يُسَدُّ المَزبُورُ عن النظَرِ فيه بالخاتم ، وإضافتُه للنبوة لدلالته عليها ، وهو من خصائص نبينا ﷺ ؛ لأن شاماتِ كلِّ نبيٍّ في يده اليمنى إلا نبينا ؛ فشامته بين كتفيه ﷺ .

(**وكان ﷺ عَبْلَ العَضُدين**) العبل - بفتح المهملة وسكون الموحدة - : الضخمُ ، والعَضُد - بفتح المهملة وضمِّ العين وسكونه[1] - : الساعدُ من المرفق إلى الكتف (**والذراعين**) والذراع : من المرفق إلى أطراف الأصابع كما مر (**طويلَ الزَّنْدين**) أي : عظمَي الذراعين ؛ إذ الزَّنْدُ موْصِل عظمِ الذراع في الكَف ، وهما زَندان أي : الكُوع والكُرْسُوعُ (**رَحْبَ الراحتين**) - بفتح الراء وسكون المهملة - أي : واسعَ الكفيْن حِسًّا ومعنًى .

(**وكان أصابعه ﷺ كقُضْبان الفضة**) - بضم أوله - جمعُ قضيب ، وهو : الغُصْن (**وكفه ألْيَنُ**) عطف على اسم كان وخبرهِ أو حال (**مِن الخَزِّ**) أي : الحرير ، ولا ينافي هذا ما صح : (أنه شَثِنُ الكفَّيْنِ) - بشين معجمة فثاء مثلثة - أي : غليظُهما ؛ لأن اللينَ في الجلد والغِلَظَ في العظام ، فاجتمع نُعومَةُ البدن

(١) العَضُدُ والعَضْدُ والعُضُدُ والعُضْدُ والعَضِدُ والعَضَد . (لسان العرب) . *

طيبا مسها إذا صافحه إنسان ، فيظل يومه يجد ريحها ، وإذا وضع يده على رأس الصبي يميز بذلك الريح من بين الصبيان ، . . . .

وقوتُه (**طيِّبا مَسُّها إذا صافحَه إنسان ، فيَظَل يومَه يَجد ريحَها**) أي : كان كفُّه طيِّبَ الرائحة إذا مسَّهُ شيء يشُم منه ريح الطيبِ ؛ لأنه ﷺ كان طَيِّبَ الرائحة دائما وإن لم يمُسَّ طيبًا ، فقد صح عن أنس رضي الله عنه : (ما شَمَمْتُ ريحا قط ولا مِسكا ولا عَنبرا أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ) ، ومن ثمة كان إذا مَرَّ بطريق فمَرَّ منه الناسُ وجدوا منه رائحةَ الطيب ، وعرفوا بذلك أنه مر منه .

وورد : (أنه كان إذا أراد أن يَتَغوط انشقت الأرضُ وابتلعت بَوْلَه وغائطَهُ وفاحَت لذلك رائحةٌ طيِّبةٌ) ، فكان لا يَطلَع على ما يَخرُج منه بَشرٌ قط ، وهذا من معجزاته . وأما البولُ : فقد شاهده كثيرٌ ، وشربَتْه مولاتُه أم أيمن ، وبه يُسْتَدَلُّ على طهارة فَضَلاتهِ وهو المختار ، وعَدَّه الأئمة من خصائصه ، قيل : وسببُه شقُّ جوفهِ الشريف وغسلُه ، وزيادَةُ تَطيُّبهِ تدل على زيادة جِماعه ؛ لأن كل مَن سُنَّ له التطيبُ سُنَّ له الجماع كما في الجمعة والإحرام ، فكما امتاز في التطيُّبِ امتاز في الجماع إذ قد صح : (أنه ﷺ أعطِي في الجِماع قوّة ثلاثين) ، وفي رواية : (أربعين رجلا) أي : من رجال الجنّة ، ويُعطى الرجلُ فيها قوة مائة ؛ وإذا ضُربَتْ في أربعين بلغتْ : أربعة آلاف ، وهذا مع قلة أكلهِ ؛ ليَخرِقَ الله تعالى العادةَ في الأمريْن ، ومع ذلك لم يَحتلِم قط ، وكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(**وإذا وضع يدَه على رأس الصبي يُميِّز**) أي : يُعلَمُ ذلك الصبيُّ (**بذلك الريح من بيْنِ الصبيان**) وكان ليدِهِ أيضا كرامةٌ أخرى ، وهي : أنها كانت كُلَّما مسَحتْ شيئا يَظهَر أثرُ بركتها فيه ، فقد صح : (أنه ﷺ مسَح بيده الشريفة الدمَ عن وجهِ وصدرِ مَن جُرِح في وجههِ ، فكان أثرُ يده الشريفة واسعةً كغُرَّةِ الفَرس) ، (وأنه مسح رأسَ ولحيةَ أبي زيد الأنصاري ثم قال :

وكان معتدل الخلق في السمن ، ثم بدن في آخر أيامه .

وأما لونه : فقد كان أبيض اللون ، لا يشوبه صفرة . . . .

« اللَّهُمَّ ؛ جَمِّلْهُ » فبلغ بضعًا ومائةَ سنةٍ وما في لحيتهِ بَياضٌ ، ولا في وجههِ انقباض) ، وغيرُ ذلك مما لا يحصى .

(**وكان معتدلَ الخَلق**) - بفتح أوله (**في السِّمَن**) أي : كان متناسب الأعضاء والتركيب (**ثم بَدُنَ**) ككَرُمَ ونَصَرَ أي : ضَخُمَ ، لا مع اسْترخاءٍ بل مع الاستمساك (**في آخر أيامه** .

وأما لونُه : فقد كان أبيض اللون) ولا يُنافيه ما صح : (أنه مُشْرَبٌ بِحُمْرة) ؛ لأنه مع ذلك يُسمى أبيضَ ، إلا أن روايةَ : (أبيضَ شديدَ البياضِ) قد تُنافيها ، إلا أن يُحمَلَ (المشربَ بحمرة) على الوجه فقط ؛ وما عداه شديدُ البياض ، وإما أن المشرب بها : ما برَزَ للشمس ، فيخالِفُه ما مر : أنَّ عُنقَه كان كأنما صِيغ من فضة - مع أنَّ العنُقَ بارِزٌ للشمس .

والحاصل : أنه كان أبيض كالفضة لكن خالَطَه الحمرةُ القليلةُ ، وهو من أحسن ألوانِ الدنيا ، ويصِحُّ وَصْفُه : بالأبيض كما مر .

(**لا يَشوبُه صُفرةٌ**) فإن قلتَ : لونُه ﷺ أشرفُ الألوان ولونُ أهلِ الجنة كذلك فَلِمَ لم يكن ألوانُهُنَّ البياضَ المشربَ بالحمرة ؛ بل بالصفرة كما يدُلُّ عليه قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[1] ؟ ! قلتُ : اللونُ واحدٌ وهو : البياضُ ، وإنما اختلفَ ما شِيبَ به ، وحكمتُه : أن الشوْبَ بالحمرة يُنْشَأ عن الدم ، وصفائه ، واعتدال جَرَيانهِ في البَدن ، وعُروقهِ ، بخلاف الشوب بالصفرَة التي تورثُ البياض صَفاء ، فلا تُنْشَأ عادةً عن غذاءٍ من أغذية هذه الدار ، فالشوبُ في كل دار بما يناسبُه ، ولما كان مزاجُه معتدلا شابَ بَياضَهُ قليلُ الحمرة ولم يَشُبْه صُفرَة

---

(١) سورة الصَّافّات : الآية ٤٩ .

ولا شيء من الألوان ، وقال الحافظ ابن حجر : من قال : أنه أسود فقد كفر .

وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ الرطب ، أطيب من المسك الأذفر .

وأما شعره : فقد كان رجل الشعر لا بالسبط ، ولا الجعد القطط ، . . . .

(ولا شيء من الألوان ، وقال الحافظ) أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني شارح « البخاري »[١] (ابن حجر :) أثابه الله تعالى الجنةَ ، - وفي « الطبقات الوسطى » للعارف الشعراني : أنه كان يَحْفظ مِأتيْ ألفٍ وعشرين ألفَ حديثٍ - (مَن قال : أنه) ﷺ (أسودُ فقد كفرَ) أي : لأن وصْفَهُ بغير صفَتِهِ نفيٌ له وتكذيب به ، ومنه يُؤخذ أن كل صفة عُلم ثبوتها له بالتواتر كان نفيُها كفرًا للعِلَّةِ المذكورة ، وقيل : لأن السواد يُشعِر بالنقصِ ؛ ومَن نقَصَ شيئا من رسول الله ﷺ يكفُرُ ، وفيه نظر ، والظاهر : أنه لا فرقَ بين ما يُشعِر النقصَ وبين ما لا .

(وكان عَرَقُه) ﷺ ، العَرَقُ - محرَّكة - رَشْحُ جلدِ الحيوان ويُستعار لغيره ، الكائنُ (في وجهه كاللؤلؤ الرَّطْب) أي : في البياض والصفاء (أطيبَ) لشدة ريحِه ، فقد صح : (أن رجلا استعانَ به في تَجهيز ابنتِه ، فاستدْعى ﷺ بقارُورَةٍ وسَلَتَ فيها من عَرقه ، وقال : « مُرْهَا فَلْتَطَيَّبْ بِهِ » فكانت إذا تَطيَّبت به شمَّ أهلُ المدينة ذلك الطِّيبَ ، فسُمُّوا بيْتَ المُطيِّبين) (من المسك الأذفر) أي : بيِّنِ الذَّفَرِ ، وهو : بالتحريك - كلُّ ريحٍ ذَكِيَّة من طيبٍ أو ريح نَتْنٍ ، والمراد هنا : الأول .

(وأما شعره) - بسكون العين - فيُجمَع على شُعورٍ كفَلْسٍ وفُلُوسٍ ، وبفتحها - فَيُجْمع على أشْعارٍ (فقد كان) ﷺ (رجِلَ الشعْرِ) - بفتح فكسر - وهو ما يَنْكسِر قليلا (لا) مُتلبِّسًا (بالسَّبْط) - بسكون الباء وكسرها - أي : عدمِ الانكسار أصلا (ولا الجَعْد) - بفتح الجيم وسكون العين (القَطَط) - بفتح الطاء الأولى وكسرها - أي : شديدَ الانكسار ؛ بل كان وسطًا بينهما

---

(١) وهو كتاب « صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » ، للإمام البخاري .

ولكن إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل ، وربما جعله غدائر أربعا ، يخرج كل أذن من بين غديرتين ، وتبدو سوالفه تتلألأ ، وقالت عائشة : إذا سرح شعر رسول الله بالمشط لا يبين شيئا من غاية التعظيم .

وما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع عمره إلا مرة واحدة في حجة الوداع ، . . . .

(ولكن إذا مشَطَه بالمِشط) - مُثلثة الميم - وككتف وعُنُق وعُتُلٍّ ومِنْبر ، آلة يُمْتَشَطُ بها ، جمعُه : أمْشاط ومِشاط ؛ « قاموس » ، كان شعرُه (كأنه حُبُكُ الرَّمْل) في « القاموس » : حُبُكُ الرَّمْل - بضمتين - خُروقه ، الواحدةُ : ككتابٌ ، ومن الماء والشَّعَر : الجَعْدُ المنكَسِرُ منهما ؛ انتهى (وربما جعلَه) أي : الشعرَ (غَدائِرَ) هي : بالغين المعجمة والدال المهملة - جمعُ غَدِيرة أي : الذُّؤابة ، وهي : بضم أوله - شَعر في أعلى ناصيةِ الفرَسِ ، جمعُه : ذَوائب (أربعا ، يخرُج كل أذن من بين غديرتين وتَبْدو) أي : تَظهَر (سَوالِفُه) جمع سالِفة ، وهي : ناحية مُقدَّمُ العنق من الأذن إلى نَقْرة النحْر وإلى المنكب (تَتلألأُ) حال من السوالِفِ ، وفي هذا حِلُّ جَعْلُ الشَّعْرِ غَدائِرَ حتى للرجال ، وليس مما يَخْتص بالنساء ؛ إلا باعتبار ما اعتِيدَ في أكثرِ البلاد ، وفي هذه الأزمنة المتأخرَةِ ولا اعتبارَ بذلك .

(وقالت عائشة) رضي الله عنها : (إذا سُرِّحَ شعرُ رسول الله) ﷺ ، وتسريحُ الشعر إرسالُهُ وحَلّه أي : إذا امتشَط (بالمشط لا يُبِين) المِشطُ ، من أبانَ أي : مَيّز (شيئا) من القذر وغيرِه (من غاية التعظيم) أي : بسبب تعظيمِه الشَّعْرِ بالدَّهن والتسريح والتنظيف ، وإنه كان لا يَقذِر بدنه لطيب ريحهِ كما مر ، وصح : (أنه كان يُكثِر دَهْنَ رأسهِ وتَسريحَ لحيتهِ) ، و :(أنه كان ينظر في المِرآة إذا سرح لحيتَهُ) .

(وما حلق رسول الله ﷺ في جميع عمرهِ) أي : رأسَه ، وحُذِف للعِلم به ، يقال : حلَقَ رأسَه أي : أزال شعرَه ، وإسنادُ الحلق إلى صاحب الرأس مَجاز عُرفي ، وإنما الحالقُ مَن يُمسِك الموسى بيده (إلا مرةً واحدة في حجة الوداع) .

. . . .

كرِه ابن عباس رضي الله عنهما أن يقال : حجة الوداع ؛ وإنما يقال : حجة الإسلام وحجة البلاغ ، وهي آخِرُ حجَجهِ .

لأنه صح عن جابر : (أنه مكث رسول الله ﷺ تسع سنين لم يحج ، ثم أذِن في العاشرة) أي : مكث بعد الهجرة ؛ لأنه صح عنه أيضا : (أنه حَج ثلاث حجج ، حجتين قبل أن يهاجِرَ ، وحجةً بعد ما هاجر معها عمرة) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أنه حجَّ قَبل أن يهاجرَ ثلاثَ حجج) ، وقال ابن الأثير[1] : (كان يَحج كلَّ سَنة قبل أن يهاجر) ؛ والله أعلم ، أي : وما حلَقَ في عمره إلا في هذه الحجة الأخيرَةِ ، بل كان يَصِلُ شعرُ رأسِهِ إلى أنصاف أُذْنَيْهِ إذا قصّرَ ؛ وإلى المنكب إذا غَفَلَ .

فتَبْقِيَّةُ الشعر في الرأس سُنَّةٌ في غير نُسُكٍ ، ومُنْكِرُها مع عِلم يُؤَدَّبُ ، ومَن تَضَرّر بها يُباح له إزالتُه ؛ ولا يُكرَه ، كذا قاله أحمد الخطيب القسطلاني وغيره . لكن نَدَر في ديارِنا تركُ حَلقِ شعر الرأس بل اللحيةِ مع الأمر بإعْفائِها ، بل يُستَهزَأ مَن بَقِي الشعرَ على رأسه ، فانعكس الأمر القديمُ ، ولم نَظفَر بما نُمسِكُه لنفي الكراهة إلا ما صح عن علي كرم الله وجهه ، أنه حدَّثَ مرفوعا : « مَنْ تَرَكَ مَوْضِعَ شَعْرَةٍ مِنْ جَنَابَةٍ لَمْ يَغْسِلْهُ فُعِلَ بِهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ النَّارِ » ، قال[2] فمِن ثمّة عادَيتُ رأسي أي : اسْتأصَلتُهُ بجَزِّ شعرِهِ ؛ والله أعلم ، والوداع اسم للتوديع .

---

(١) هو : المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ثم الموصلي الشافعي ، أبو السعادات ، مجد الدين ، المحدث اللغوي الأصولي ، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ وابن الأثير الكاتب . ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر . وانتقل إلى الموصل ، فاتصل بصاحبها ، فكان من أخصائه . وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه ، ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل ، قيل : إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه ، إملاء على طلبته ، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة . من مصنفاته : « النهاية في غريب الحديث والأثر » ، « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، « الشافي في شرح مسند الشافعي » ، « تجريد أسماء الصحابة » . ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ .

(٢) أي : علي رضي الله عنه . *

وفي رواية : أربع مرات ، ثلاث حلق جبرائيل عليه السلام ، وواحد حلق أبي طلحة الأنصاري . . . .

(**وفي رواية :**) يُشْعِر بأن ما قبلَه مرويٌّ عن الصحابة وهو كذلك ، فإن المصنف وإن لم يمش على لفظ الحديث للتسهيل والاختصار ، لكن جميع ما أخبَر به عن النبي ﷺ في هذا الكتاب مروي في كتب الحديث كما لا يَخْفَى على مَن تَتَبَّعَها - (**أربعَ مَرات**) ولعلها في عُمْراتهِ الثلاث المنفردة ، والتي مع تلك الحَجَّة - فإن قَدَمَاته إلى مكة بعد الهجرة - كانت أربعَ مرات ، لأنه خرج سَنة ستّ من الهجرة وأحرَم بالعمرة من الحديبية ، فَصَدَّهُ المشركون وصالَحُوه على أن يأتِيَ من العام القابِل ، فتَحَلَّل وحلَقَ ونَحَر وعاد إلى المدينة . ثم خرج سنةَ سبعٍ وأحرم بعمرة القضاء من الحديبية ، ودَخل مكة وطاف وسعى وحلق وعاد . ثم خرج سنةَ ثمانٍ وفتَحَ مكة[1] ، وخرج منها إلى هوازن ، وأحرم في العَوْد إلى مكةَ من الجِعْرانة بالعمرة ، وأتى بأعْمالها ثم عاد إلى المدينة . ثم خرج سنة عشرٍ وحَجَّ واعتمَر ، فتكون العمرةُ ثَلاثا والحلقُ أربعًا . وعَدَّ بعضٌ ما هَمَّ به عُمرةً كما ذكَرنا فتكون أربَعًا (**ثلاثٌ حَلْقُ جبرائيلَ عليه السلام ، وواحدٌ حَلْقُ أبي طلحة الأنصاري**) لم أقِف على نصٍّ أن أبا طلحة[2] هو الذي حَلَق رأس رسول الله ﷺ ؛ وإنما الذي في الكتب التي اطلَعتُها : أنه هو الذي قسم الشعورَ بين الناس ، ففي « المصابيح »[3] عن أنس : (أنَّ النبي ﷺ أتى مِنًى ، فَأَتَى الجَمْرةَ فرَماها ، ثمَّ أتى مَنْزلَه بِمِنًى ، ونَحَر نُسُكَه ، ثمّ دعا بالحَلاَّق ، ونَاوَلَ الحَالِقَ شِقَّه الأيمن فَحَلقه ، ثمّ دَعا أبا طَلْحةَ الأنصاريَّ فَأعْطاه) أي : شعر شقِّه الأيمن (إيَّاه ، ثمَّ نَاوَل الشِّقَّ الأيسر فقال : « احْلِقْ » فَحَلَقَه ، فَأعْطاه أبا طلحةَ فقال :

---

(١) وكان فتح مكة لعشر بقين من رمضان . « بهجة المحافل : صـ ٢٨٩ » . *

(٢) أبو طلحة هذا : اسْمه زيد (بن سهل) بن الأسود الأنصاري ، عَمّ أنس بن مالك ، زوج أمه ، وكان عقبيًا بدْريًا ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهو أحد النُّقَباء ليلة العقبة ، وأحد الصحابَة الذين سردوا الصوم بعد رسول الله ﷺ . « البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير : ٦٢٠/١ » .

(٣) وهو كتاب « مشكاة المصابيح » ، للخطيب التبريزي . ٤٩٣/١ .

فأما الشعور التي حلقها جبرائيل عليه السلام فأخذتها الملائكة ، ورفعوها إلى السماء ، ولم يبق منها إلا واحدة . . . .

« اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ ») ، أي : لِتَصِل بركة شعره إلى من حفظه . قال في « شرح مسلم »[1] : اختلف في اسم هذا الحالِقِ والصحيح أنه : مَعْمَر بنُ عبد الله العَدَوِيّ ، ويؤيِّدُه ما عند الإمام أحمد ﵁ : (أنه ﷺ اسْتَدْعى الحلاقَ[2] فقال له[3] – وهو قائمٌ على رأسِه بالموسى ونظر في وجهه – وقال : « يَا مَعْمَر ؛ أَمْكَنَكَ رَسُولُ الله ﷺ مِن شَحْمَةَ أُذُنِهِ وَفِي يَدِكَ الْمُوسَى » ، قال[4] فقلت له : أمَا والله يا رسول الله ؛ إن ذلك لَمِنْ نعَمِ الله تعالى عَلَيَّ ومَنِّه ، قال : « أَجَلْ ») ، فهذا صريح في أن أبا طلحة هو القاسِمُ لا الحالق ، وإنما أمِر بقَسم الشعر بين أصحابه تبركا وتذكرةً وتشريفا لمن خصه به ، قيل : إنما خَصَّ ﷺ أبا طلحة بهذه القسمة ؛ لأنه ﵇ عَلِم أنه سيَحْفِر قبرَه ، ويَلحِدُ وينصِب عليه اللبِنَ ، فيكون مُجازاةً له ؛ انتهى .

وكذلك قسَمَ الأظفارَ ، الذي ثبت عند أحمد وغيره وهو : (أن زَيدا ورجلا آخرَ شَهِدا النبي ﷺ عند المَنْحَر وهو يَقْسِم أضاحِيَّ ، فلم يُصِبْه شيء ولا صَاحِبَه[5] ، فَحَلَق رسول الله ﷺ رأسَه في ثَوْبِهِ ؛ فأعطاه ، فقَسَم مِنْه على رِجالٍ ، وقَلَّمَ أظفارَه فأعطاه صاحِبَه) .

(**فأما الشعور التي حلقها جبرائيل ﵇ فأخذتها الملائكة ورفعوها إلى السماء ولم يبق منها إلا واحدةٌ**) لم أقف على كيفية حَلْقِ جبرائيل ﵇ وأخْذِهم ورَفعِهم وعدم بقاء غيرِ واحدةٍ بل ولا على التصريح بهذه الحلقاتِ إلا في هذا الكتاب ، فمَن ظفر به فليُعَلِّق بهذا المحل تعميما للنفع وجزاؤه على الله تعالى .

---

(١) وهو كتاب « صحيح مسلم بشرح النووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » ، للإمام النووي .
(٢) أي : فحلق رأسه . ※
(٣) أي : للحلاق – وهو معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف – وحضر المسلمون يطلبون من شعره – وهو قائم على رأسه بالموسى . « سبل الهدى والرشاد : ٤٧٧/٨ » . ※
(٤) أي : معمر . ※ (٥) أي : شيء . ※

وأما الشعور التي حلقها أبو طلحة فبقيت على الأرض ، وعددها : إثنا عشر ألفا وثلاثمائة وثلاثون وإثنان شعرة . . . .

(**وأما الشعور التي حلقها أبو طلحة فبقيَتْ على الأرض**) قال الخطيب القسطلاني في « المواهب » : إنِّي قد رأيتُ بمكة المشرَّفَة في سنة سبعٍ وتسعين وثمانمائة شعرةً عند الشيخ أبي حامد المرشدي ، شاع وذاع أنها من شعره ﷺ ، وعن محمدِ بن سيرين قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي ﷺ[1] من قِبَل أنس أو من قبل أهل أنس ، قال : لأنْ تكونَ[2] شعرة منه أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ؛ انتهى (**وعددُها : إثنا عشر ألفا وثلاثُمائة وثلاثون وإثنان شعرةً**) هذا كلُّهُ بيانُ شعر رأسه ﷺ .

وأما شعور وجهه ﷺ : فقد صح : (أنه كان يأخذ من طول لحيته وعرضها) ، وصح الأمر : بقصِّ الشارب أي : حتى يبدوَ شفَتَه ، وإعْفاء اللحية أي : تركُها بحالِها لتكثُرَ ؛ لأن في ذلك جمالا للوجْهِ وزينةً للرجُل ومخالِفةً لِزِيِّ المجوس ، قال المناوي[3] : فلا يجوز حَلقُها ولا نتفُها ، وقال في « الأزهار »[4] : يحرُم حلقُها ولو للتغرير ؛ هذا . وقد انعكس الأمرُ في ديارِنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما شعرُ عانتِه : ففي رواية : (أنه حلَقَه) ، وفي أخرى : (أنه طلاها بالنُّورَة) .

وأما إبطه : فقيل : كان به شَعر ، وقيل : لا ، وعلى كلٍّ فلم يكن له صُنان .

---

(١) أي : أصبناه . *　　(٢) أي : عندي . *

(٣) هو : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين الدين ، من كبار العلماء بالدين والفنون ، انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر . وقد مرض في آخر عمره ، وضعفت أطرافه ، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه . له نحو ثمانين مصنفا ، منها : « كنوز الحقائق » ، « فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » ، « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » . ولد سنة ٩٥٢ هـ ، وتوفي سنة ١٠٣١ هـ في القاهرة .

ذكر ذلك في : « فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » .

(٤) وهو كتاب « قطف الأزهار في كشف الأسرار » ، لجلال الدين السيوطي .

. . . .

واعلم : أن حاصل ما ذكره المصنف رحمه الله في صفات النبي ﷺ الذاتيةِ مع زياداتٍ كثيرة : أنه ﷺ كان رَبْعة أي : ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسنَ الجسم ، أبيض اللونِ كأنه صُبِغ من فضة ، غليظَ الكفين والقدمين ، ضَخمَ الرأس وسائرِ رؤوس العظام ، طويلَ المَسْرُبة ، وهو : بفتح فسكون فضم - خطّ الشعر بين الصدر والسُّرَّة يَجري كالقضيب ، عاريَ الثديين والبطن من الشَّعر ، أشعرَ الذراعين والمنكبين ، وأعالي الصدرِ ، طويلَ الزندين ، رَحْبَ الراحة ، واسع الجبين ، أزجَّ الحواجب ، وهي : كاملاتٌ بغير اتصالٍ أي : بينهما فُرْجَة دقيقة لا تَتَبين إلا للمُتَأمِّل ، أقْنى العِرْنين أي : طويل الأنف مع دِقَّة طرفهِ وارتفاع في وسطه ، مُنوَّرَ الأنف ، كثَّ اللحية ، سهل الخَدْيْن أي : لا ارتفاع لوَجْنَتَيْه ، واسع الفم ، نَقِيَّ ماءِ الأسنان ؛ إذا تكلم رُؤِي كالنور ، بين ثناياهُ فرجة ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيضَ العنق مع صفائه ، معتدلَ الخَمْصِ أي : ارتفاع وسط بطنِ القدم ، أملَسَ القدمين مع لينٍ ، قليلَ لحم عقِبِهِما ، واسع الخطوة ، خافض الطرف ، شديدَ سواد العينين مُشربهما بحمرة ، طويلَ شعرهما مع كثرته ، رجِلَ الشعر ، ليس بجَعد قَطِطَ ، في لحيته نحو عشرين شعرةً بيضاءَ ، مُتَلألأ الوجه تلألؤَ القمر ليلة البدر ، ليس فيه شديد الاستدارة بل فيه استِطالَةٌ ، ضامِرَ البطن مع استوائهِ لصدره ، بين كتفيه خاتمُ النبوَّة ، إذا نظَر إلى الشيء يَلتفِت جميعا ؛ ولا يَلوي عنقُهُ ، أجودَ الناس صدرا ، وأصدق الناس لَهْجَةً ، وألْيَنَهم عريكةً ، وأكرمهم صحبة ، وأطيبهم ريحا ، مَن رآه بَديهةً هابَهُ ، ومن خالطَه لمعرفته أحبَّه ، عظيما في نفسه ، مُعظَّمًا في الصدور والعيون عند كلِّ مَن رآه ، وكان يرى مِن خلفه كما يَرى من قُدامه ، فنصلي عليه بعدد من صلى عليه ، وبعدد من لم يُصَلِّ عليه ، ونسأله أن لا يُحرِمَنا عن رؤيته وشفاعته ولَقْيَتهِ ؛ آمين .

ومناقبه كثيرة غير ممكنة للضبط ولا متناهية للربط ، وما ذكرناه منها مقدار الكفاية يكفي في حفظ العقيدة من سوء الخيانة ، والله أسأل النفع به في عمل الرياضة بحرمة خاتم الرسالة .

وأما معجزاته . . . .

(**ومناقبُه كثيرةٌ غيرُ ممكنة للضبط ولا متناهية للربط**) ومَن ذا الذي يَصِل قَدْرُه أن يَقْدِر قدرَ الرسول ﷺ ؟! وقد خلقَه الله تعالى على وجهٍ لم يَظهَر قبله ولا بعدَه خلقٌ آدميٌّ مِثله ، ومع ذلك لم يَظهَر لنا تمامُ حُسْنِهِ إذ لو ظهَرَ لَمَّا أطاقتْ عيونُنا رؤيتَه ، فللهِ دَرُّ البوصيري حيث قال :

فَهْوَ الَّذي تَمَّ مَعْناهُ وصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بارِيءُ النَّسَمِ

ثم قال :

أَعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى في القُرْبِ والبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

وعدمُ إمكان الضبط وعدم تَناهي الربط متقاربان (**وما ذكرناه منها مقدار الكفاية**) كما قال في الديباج (**يَكفي**) خبر بعد خبر (**في حفظ العقيدة**) أي : الاعتقاد (**مِن سُوءِ الخيانة**) الإضافة بيانيةٌ ، والخيانة في الشيء : عدم النصح له ، والخيانة في العقيدة : تركُ تَعلُّم ما يَجِب فيها ويجوز ويَستَحيل ، ومَن تَعلَّم هذا الكتاب يَبرأ في اعتقاد نبيِّه عن مَذَمَّة الجهلِ به ؛ إن شاء الله تعالى (**والله أسألُ النفعَ به في عمل الرياضة**) مِن راضَ المُهْرَ رياضة ذَلَّـلَه أي : نفْعَ الكتاب في تليين النفس بالتأسِّي بسِيَر الرسول ﷺ في أحواله لمن عَمِل به (**بحرمة خاتَمِ الرسالة**) أي : النبي الذي خُتِم به شأنُ الرسالةِ .

(**وأما معجزاتُه**) ﷺ : جمعُ معجزَةٍ ، اسم فاعل ، والتاءُ للنقْل أو للمبالغة ، وهي : الأمر الخارِقُ للعادة ، المقرون بالتحدي ، الدالُّ على صِدْق الأنبياء ، سمِّيت معجزةً : لعجز البشر عن الإتيان بمِثْلِها ، وبيانُ شروطِها واحترازاتِها

فمتواترة . . . .

إلى المطولات (**فمتواترة**) التواترُ : نقلُ الخبر من جمعٍ ، يستحيل العادة اتفاقَهُم على الكذب . فمِن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلامُ : ما هي متواترةٌ لفظا ، ومنها : ما هي متواترة معنًى ، والتواتر المعنويُّ : أن يُنقَلَ المعنى المقصودُ من ذلك الجمع من غير لفظٍ متواتر ، كنقْل جود حاتَمٍ ، وشجاعةِ علي كرم الله وجهه . فمعجزات نبيِّنا ﷺ قد أفادت القطع - بالدلالة على نبوته - عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار ؛ لأنها اشتهَرَتْ ورَواها العددُ الكثير والجم الغفيرُ .

ثم إن حاصل معجزاته يَرجِع إلى ثلاثةِ أقسامٍ :

ماضٍ ؛ وُجِد قبل كوْنهِ .

ومستقبَلٌ ؛ وقَع بعد مُواراتهِ .

وكائن معه مِن حِين حملهِ ووضعهِ إلى أن نقلَه الله تعالى إلى محل فضله .

أما القسم الأول : فكثير كقِصَّة الفيل ، وما وجِد في الكتب السابقة من بيان نعتهِ وأخلاقه ﷺ .

وأما القسم الثاني : فكثير أيضا ؛ إذ في كلِّ حينٍ يَقَع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدرهِ ما لا يُحصى ، وكذلك تَقَع الأمورُ الغيبيَّةُ التي نطَق بها القرآن والسنة على طبق ما نطَقَ به ، وغيرُ ذلك مما لا يُحصى .

وأما القسم الثالث : وهو ما كان معه من حين ولادتهِ إلى وفاته ، فأكثر مِن أن يُحصى : مثلَ النور الذي خرَج معه حتى أضاء له قُصورُ الشام ، ومسحِ الطائر على فؤاد أمِّهِ حتى لم تجِد ألَمًا لولادتهِ ، والطواف به في الآفاق ،

. . . .

وخمود نار فارس[١] ، وسقوط شرافات إيوان كسرى ، وغيْضِ ماءِ بحيْرَة ساوة ، وتَوالي بُشرى الهواتِف ، وانتكاس الأصنام المعبودة ؛ وخُرورِها على وجوهها ، وكانْشقاق القمر عند سؤالِهِم له ، ورَدِّ الشمس له بعد ما غَرُبَت حتى يصلِّيَ علي كرم الله وجهه ، وتسبيح الحَصا والطعام في كفِّه الشريف ، وتسليم الحجر عليه ، وتأمين أُسكُفَّةُ الباب وحوائط البيت على دعائه ، وشَق صدرِه الشريف ، وكلامِهِ للجبَل وكلام الجبل له ، وكلام الشجرة له وسلامِها عليه ؛ وطواعِيَتِها له ؛ وشهادتها له بالرسالة ، وحَنِين الجذع شوقا إليه عند فقْدِ الخطبة عنده ، وسجود الجَمَل له وشَكواه إليه ، وسجود الغِنم له ، وكلام الذئب وشهادته له بالرسالة ، وحديث الحمار والضب والغزالة ، وأُلْفَة داجِنِ البيوت له ، ونبع الماء الطهور من بيْنِ أصابعه ، وتفجير الماء ببركته وانبِعاثِهِ بمسه ودعوته ، وتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ، وإبراء ذَوي العاهات ، وإحياء المَوْتى وكلامهم ، وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة ، وغيرِ ذلك مما خصه الله تعالى وأعطاه مما لم يُعط نبيًّا قبلَه ، ومما لا مَطمَعَ لأحد إلى الوصول إلى إحاطة عُشْر معشار عشيرِهِ ، كيف وهو المُمِد لكل إنسان من كماله ، فكل ما ظهر على أيدي الرسل فهو من نوالِهِ ، ولله تعالى دَرُّ البوصيري حيثُ قال في « بردته » :

وكُلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها فإنَّما اتَّصلَتْ مِنْ نُورِه بِهِمِ

وفي « همزيته » :

كُلُّ فَضْلٍ في العالَمِينَ فَمِنْ فَضْـ ـــلِ النَّبيِّ اسْتَعَارَهُ الْفُضَلاءُ

(١) فكان في إقليم الفرس من بيوت النار الموقودة المئات من السنين ما تحيل العادة انطفاءها ، فإذا انطفأت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا أن ذلك لأمر عظيم حدث في العالم ، وكان كذلك وسببًا لأزالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق . « منح : صـ ١٢١/١٢٠ » . *

تبلغ ثلاثة آلاف ، أجلها وأعظمها : القرآن الكريم ، والفرقان العظيم ، الذي هو معجز بنفسه ونظمه ، . . . .

وبالجملة : بابُ حَصْرِ كمالاته مُغلق لا يَفتحُه إلا مَن خَلَق الإنسان مِن عَلق ، فإن قلتَ : قد أخَذوا في تعريف المعجزة مقارَنةَ التحدِّي - أي : دَعْوى الرسالة - ومعلومٌ : أنه لم يتحد بكل المعجزات بل قيل : لم يَتحد بسوى القرآن وتَمني الموت فكيف تَدخُل المذكورات ونحوها في المعجزة ؟! قلت : التحدي بالمعنى المذكور[1] ثابتٌ فيها ولو بالقوة ، وأما بمعنى طَلَب الإتيان بالمِثْل فغيْرُ مُشتَرَطٍ كما صرحوا به .

واعلم : أن من العلماء مَن حَصَر خصائصَه ومعجزاتَه فبلغَها بعضهم إلى ثلاثين ألفًا سوى القرآنِ ، وفيه : ستُّونَ ألفًا ، وبعضهم قال : إنها (**تَبلُغ ثلاثةَ آلافٍ**) والحقُّ : كما قاله بعض الحُفاظ - عدمُ حصرِها ، ومَن أراد تَفْصيلَها فعليه بالكتب المصنَّفَة في المعجزات ، فإن لم يَظفَر بها فَلْيَعْتَن بكتاب « أنموذج اللبيب » للجلال السيوطي ، فإنه جمَع فأوْعى ، ولمَّا لم يَسَع هذا الكتابُ لبيانِها ذكَر المصنف أمّ المعجزات فقال : (**أجلُّها**) قَدرًا (**وأعظمُها**) خَطْرًا ، وأجمعها حكمةً ، وأكبرُها حرمةً ، وأبقاها مَدى الدُّهورِ ، وأسناها لدى العصور : (**القرآنُ**) مصدر قَرأ ، إذا جمَع لجمعهِ السُّوَرَ المختلِفةَ وعلومَ الأولين والآخرين (**الكريمُ**) لكونهِ أفضل من سائر الكتب المنزلةِ مِن وجوه ذكَروها (**والفرقانُ**) مصدرُ فرَقَ بين الشيئين ، إذا فصَلَ بينهما سمي به : القرآنَ لفصله بين الحق والباطل (**العظيمُ**) لعظم حرمته حتى لا يجوز مسُّ أوراقهِ للمُحْدث (**الذي هو مُعْجِزٌ**) أي : مُصيِّرُ جميعِ المخلوقات عاجِزا ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ ﴾ الآية[2] ، قيل : عِلمُ إعجازهِ ضروريّ ، والأصح : أن محله فيمن شاهد النبي ﷺ ، أو عَلِمَ وجوه الإعجاز (**بنفسِه**) أي : ذاته (**ونظمِه**)

(١) أي : دعوى الرسالة . *
(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

قِولو بأقصر سورة منه بلغاء العرب وفصحائهم ، على لسان النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو منزل من ربه . . . .

أي : تأليفه (وَلو بأقصَرِ سُورةٍ منه) وهي ثلاثُ آياتٍ ، أو مثلُها فإنه أقل ما وقَع به التحَدِّي ؛ لأنه ﷺ طلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن ؛ فعَجزوا ، فطَلَب أن يأتوا بعَشر سوَرٍ من مثله ؛ فعجزوا ، فطلب أن يأتوا بسورة ؛ فعَجَزوا ، كذا قالوا ، لكن الحقُّ : أنهم عجزوا عن مُعارضة آية من آياته ، بل عن بعضِ الآية المفيدَة ، كما قال العارف البوصيري في « همزيته » :

أعْجَزَ الإنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجِنَّ   فَهَلاَّ يأتِي به[١] الْبُلَغَاءُ

(بُلَغاءَ العَربِ) مفعول مُعْجِزٌ ، جمع بليغ (وفُصحائهُم) جمع فصيح ، ومعنى البلاغة والفصاحة في « شروح التلخيص »[٢] ، أي : البلغاء فضلا عن غيرِهم عجزوا عن إتيان مثل بعض القرآن مع حِرصِهم عليه ، وإفراطهم في حَمِيَّة الجاهلية ، وكثرتِهم وشهرتهم ، بأنهم فُرْسان الفصاحة ، وشُجْعان البلاغة حتى آثَروا مقارعَةَ السيوف على معارَضَة الحروف ، فكانت آية قاطعة على نبوتِه ، وحجَّةً ساطعةً على صدق رسالته (على لسان النبي) ﷺ أي : أعجزَهُم القرآنُ صادِرا على لسانِه (الأمي) نسبةً إلى الأمِّ ، وهو (الذي لا يكتب) بيده (ولا يقرأ) المكتوبَ ؛ كأنه على أصل ولادة أمِّه ، وقيل : غيرُ ذلك ، فهو صفةٌ كاشِفَةٌ ، ومع كونِه لا يقرأ ولا يكتُب أطلَعَه الله تعالى على علوم الأولين والآخرين ، وجعله القُدوَةَ العُظمى لكل مخلوقٍ ، وذلك من باهرِ معجزاته ووافِرِ آياته .

(وهو) أي : القرآنُ لفظٌ (مُنْزَلٌ) على النبي ﷺ (من ربه) للإعجاز بسورة منه ، أو بعضٍ منها ، المُتعبَّدُ بتلاوته المحتَجُّ بأبعاضِه ، قوله : مُنْزَلٌ - مِن

---

(١) أي : ما ذكر من الآية ، أو ببعضها ؛ كما في نسخة ، فراجعه .
(٢) كتاب « شروح التلخيص » وهو مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على « تلخيص المفتاح » للخطيب القزويني .

بحروفه ، وحركاته ، وسكناته ، ومعانيه ، لا مدلولاته فقط .

وقال إبراهيم اللقاني المالكي : . . . .

الإنزال أو التنزيل ، وإسناد الإنزال إلى القرآن مجازٌ أي : حاملُه مُنْزَل - وهو جبرائيل عليه السلام - لأن النزولَ من خواص الأجسام ، وأيضا : إثباتُ الإنزال للقرآن مبنيٌّ ؛ على أن المراد به ههنا : الكلامُ اللفظيُّ الحادِث المتلوُّ ؛ لا الكلامُ النفسي القديمُ القائمُ بذاتِه تعالى ؛ إذ لا يُتصوَّرُ الانتقالُ في صفات الله تعالى ، والكلامُ في ذلك طويل الذيْل لا يَفي هذا المختصرُ بأمثالِه ، فالكلامُ كالقرآن يُطلَق على النفسيِّ واللفظيِّ وهذا منزَلٌ عليه (**بحروفه**) وهي : ثلاثُمائةِ ألفِ حرفٍ ، وثلاثةُ وعشرون ألفَ حرفٍ ، وستُّمائةِ حرفٍ ، وإحْدى وسبعون حرفا ، على ما ذكَروا عن ابن عباس رضي الله عنهما . وعنه : أن جميع آياته : ستةُ آلافِ آيةٍ ، وستُّمائةِ آيةٍ ، وستةَ عشرَ آيةً . وأما كلماتُه : ففي « الأسنى »[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنها سبعٌ وسبعون ألفا ، وتسعُمائة وأربعَ وثلاثون . وأما علومُه : فقد قال العارف الشعراوي[2] : إنه استنبَط من القرآن : ثلاثةَ آلاف علمٍ ؛ والله أعلم (**وحركاته ، وسكناته ، ومعانيه ، لا مدلولاته فقط**) إذ لا يقال لنقل المدلولات : إنزالٌ ، وإلا لكانت الأحاديثُ بأسْرِها قرآنا ؛ لأنها كلَّها وحيٌ كما قال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3] ، فالمنزل نظمُ القرآنِ بحروفهِ المسموعَة بالأذان ، المقروؤة بالألسنة ، المكتوبةِ في المصاحِفِ ، المحفوظة في الصدور ، ولا يقال : إنه مخلوق - وإن أُريدَ به اللفظُ باتفاقِ السَّلَف - إلا في مقام البيان .

(**وقال**) ناصر الدين (**إبراهيم اللقاني المالكي**) في كتابه « هداية المريد شرح جوهرة التوحيد » في شرح قوله :

وَنَزِّهِ الْقُرْآنَ أَيْ كَلامَهُ عَنِ الْحُدوثِ واحْذَرِ انْتِقامَهُ

---

(١) وهو كتاب « أسنى المطالب في شرح روض الطالب » ، لزكريا الأنصاري .
(٢) هو : الإمام الشعراني .
(٣) سورة النجم : الآية ٤ .

فإن من نفى القرآنية عن حرف واحد مجمع على كونه من القرآن ؛ فقد كفر بلا خلاف .

وقال بعض العلماء : يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ، ونسائه ، وخدامه ، أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز ؛ . . . . . .

(**فإن مَن نفى القرآنيةَ عن حرف واحد مُجمَع على كونه من القرآن فقد كفَرَ بلا خلاف**) انتهى ، وكذلك مَن زاد على القرآن حرفا واحدا مُجمَعًا على أنه ليس من القرآن ؛ إذ الزيادةُ والنقص افتراءٌ على الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[1] ، والغرض مِن نقْلِ قول اللقاني : إثباتُ أن القرآنَ منزَلٌ بحروفه ، فالأوْلى : تركُ الواو في : وقال - لإشعارهِ التغايرَ .

واعلم : أن في بيان إعجاز القرآن ، ووُجوههِ ، وإنزاله ، وتفضيله على سائر الكتب ، ودلالته على صِدْق النبي ﷺ ، وكونهِ آيةً باقيةً مُستمرَّة كلام طويل ليس هذا محل بسْطِها ؛ فليراجع إلى المُطوَّلات .

ثم أنه لما ذكَر من أول الكتاب ما يَجب لنبينا عليه الصلاة والسلام من بيان أوصافه على وجه الاختصار ذكَر نقلا عن بعض العلماء : أن مما يَجِب علينا : تعلُّم وتعليم أسماء الأنبياء المُفَصَّلِين في القرآن ؛ ليَتَحقق الإيمانُ التفصيليُّ ؛ كما يجِب تصديق جميع الأنبياء إجمالا ، فقال : (**وقال بعض العلماء :**) - عطفا على قوله في أول الكتاب : إنه يجب اهـ ؛ بعد قوله : اعلم (**يجِب على المؤمن أن يُعلِّمَ صبيانَه**) - بالكسر ويُضم - جمع صبي ، وهو الغلام (**ونسائَه**) وهي : بالكسر - كالنسوان ، جمعُ المرأة مِن غير لفظِها (**وخدامَه**) جمع خادم (**أسماءَ الأنبياء الذين ذكرَهُم الله تعالى في كتابه العزيز**) أي : القرآن ، وكذلك أسماء الملائكةِ ؛ إذ لا فَرْقَ بينَهُم وبين الأنبياء في الإيمان ، فمن عرف منهم بالتفصيل كجبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل يجِب الإيمان بهم تفصيلا ، وبالإجمال يجِب إجمالا ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٢١ .

حتى يؤمنوا بهم تفصيلا ، ويصدقوا بجميعهم ، ولا يظنوا : أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقط ، فإن الإيمان بجميع الأنبياء - سواء ذكر اسمه في القرآن أو لم يذكر - واجب على المكلف ، فمن ذكره فيه باسمه يجب الإيمان به تفصيلا ، ومن لم يذكر الله تعالى اسمه في القرآن يجب الإيمان به إجمالا ؛ انتهى عبارة الرومي .

وهو ظاهر (**حتى يؤمِنوا بهم تفصيلا ، ويُصدِّقوا بجميعهم**) فيما جاؤا به (**و**) حتى (**لا يظنوا : أن الواجبَ عليهم الايمانُ بمحمد ﷺ فقط ، فإن الإيمان بجميع الأنبياء**) عليهم السلام ، بأنهم معصومون من الذنوب ، وأنهم أفضل الناس ، وأن رُسُلهم مبعوثون إلى الخلق بالحق مؤيَّدِين بالمعجزات لهدايتِهم ، وأنه يجِب احترامُهم جميعا ، وأن بعضَهم أفضل من بعض ، وأن أفضلَهُم نبينا ﷺ (**سواءٌ**) منهم مَن (**ذُكر اسمُه في القرآن أو لم يُذكَر واجب على المكلَّفِ**) جزما (**فمن ذَكَرَه**) الله تعالى (**فيه باسمه**) وهم مَن سيأتي (**يجِب الإيمان به تفصيلا ، ومن لم يَذكُرِ الله تعالى اسمَه في القرآن يَجب الإيمان به إجمالا ، انتهى عبارة الرومي**) .

وبمثلِه صرَّح الواحديُّ[1] في تفسيره « الوسيط » : قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ ﴾ الآيةَ[2] ، قال الحسن : عَلِّموا أولادكم وأهاليَكُم وخَدَمكم أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إلى آخر ما تَقَدَّم . وقال في « فتح الباري » : دَلَّ الإجمال في حديث الإيمان بالملائكة والكتب والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل ، إلا من ثَبَتت تسميته ؛ فيجِب الإيمان به على التعيين ؛ انتهى .

---

(١) هو : علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية ، أبو الحسن ، الواحدي النيسابوري الشافعي ، إمام علماء التأويل ، من أولاد التجار . والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة . أصله من ساوة (بين الري وهمذان) . لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي ، وأكثر عنه ، وأخذ علم العربية عن أبي الحسن القُهُندُزي الضرير . صنف التفاسير الثلاثة : « البسيط » و « الوسيط » و « الوجيز » ، وبتلك الأسماء سمى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه . وله أيضا : « أسباب النزول » ، « التحبير في الأسماء الحسنى » ، « المغازي » ، « تفسير النبي صلى الله عليه وسلم » ، « نفي التحريف عن القرآن الشريف » . توفي سنة ٤٦٨ هـ بنيسابور .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

وهم على ما ذكره بعض المفسرين : ثمانية وعشرون ، أولهم : آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولوط ، وموسى ، وهارون ، وشعيب ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، وأليسع ، وذا الكفل ، وأيوب ، ويونس ، ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام ، وذو القرنين ، وعزير ، ولقمان ، على القول بنبوة هذه الثلاثة . . . .

(وهم) أي : الأنبياء المذكورون في القرآن (على ما ذكره بعضُ المفسرين :) - إشارةً إلى الاختلاف الواقع بين المفسرين في إلياس بأنه : إدريس ، وفي ذا الكفل بأنه : غيرُ نبيٍّ - (ثمانية وعشرون) نبيا (أولهم : آدمُ ، وإدريس) عطفٌ على جُملةِ أولهم آدم بتقدير المبتدأ أي : وثانيهم ، لا على آدمَ ؛ إذ الأولُ لا يكون إلا واحدا (و)كذلك : (نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولوط ، وموسى ، وهارون ، وشعيب ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليَسَع ، وذا الكفل) لم يَقل : ذو اتباعًا للَفْظِ القرآن (وأيوب ، ويونس ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام) لا يَظهَرُ للترتيب كذلك وجه (وذو القرنين ، وعُزيْر ، ولقمان) وكونُ عدد الأنبياء المذكورين في القرآن كما ذكِر مبني (على القول بنبوّة هذه) الأوْلى هؤلاء (الثلاثة) فإنهم اختلَفوا فيهم .

. . . .

أما ذو القرنين – فقال مجاهد[١] : أنه كان نبيا ، وهو قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٢] ، وعن علي رضي الله عنه : أنه كان عبدا صالحا ، أحبَّ الله تعالى فأحبَّهُ الله تعالى ، سمِّيَ به ؛ لأنه ملك المشرق والمغرب ، قال تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٣] .

وأما لقمان – فأكثرُ الأقاويل فيه : أنه كان حكيما ولم يكن نبيا ، وقال عكرمة[٤] والشَّعبي[٥] : كان نبيا ، وهو[٦] ابن باعورا ابن أختِ أيوب ، وعاش ألفَ

---

(١) هو : مجاهد بن جَبْر ، أبو الحجاج ، المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر من أهل مكة ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، قرأ القرآن عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت وكيف كانت ؟ وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وعن أبي سعيد الخدري ، وعدة . قال الإمام الثوري : خذوا التفسير من أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . ولد سنة ٢١ هـ ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ وهو ساجد .

(٢) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل ، أبو عبد الرحمن ، العدوي القرشي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وابن وزيره ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة . أفتى الناس في الإسلام ستين سنة . وهو شقيق حفصة ، وقال رسول الله ﷺ لأم المؤمنين حفصة : « إنَّ أخَاكَ عَبْد الله رَجُلٌ صَالِح ، لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ الليْل » فما ترك بعدها قيام الليل . له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . ولد بعد البعثة بعامين ، وكف بصره في آخر حياته . وبلغ أربعاً وثمانين سنة . وتوفي سنة ٧٣ هـ ، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة . قيل : إنه قدم حاجا فدخل عليه الحجاج وقد أصابه زج رمح ، فقال : من أصابك ؟ قال : أصابني من أمر نموه بحمل السلام في مكان لا يحل فيه حمله .

(٣) سورة الكهف : الآية ٨٤ .

(٤) هو : عكرمة بن عبد الله البربري الأصل ، المدني ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، طاف البلدان ، وروي عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعيا . وذهب إلى نجد الحروري ، فأقام عند ستة أشهر ، ثم كان يحدث برأي نجدة . وخرج إلى بلاد المغرب ، فأخذ عنه أهلها رأي « الصفرية » ، وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها ، فتغيب عنه حتى مات . ولد سنة ٢٥ هـ ، توفي سنة ١٠٥ هـ بالمدينة .

(٥) هو : عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، أبو عمرو ، الشَّعبي الكوفي ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، وكان فقيها شاعرا . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته . روي عن مائة وخمسين من الصحابة ، وهو من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد سنة ١٩ هـ ، وتوفي سنة ١٠٣ هـ .

(٦) أي : لقمان . *

وعدد الأنبياء : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وعدد المرسلين منهم : ثلاثمائة وأربعة عشر ، وقيل : ثلاثة عشر . وأفضلهم بعد نبينا محمد : إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم نوح ، ثم آدم . . . .

سنةٍ ، وأدرَك داود عليه السلام وأخَذ منه العلم ، وقص الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ ﴾ الآيةَ[1] ، وفي « نظم العقيدة »[2] :

وذو القرنين لم يُعْرَف نبيا كذا اللقمان فاحذَرْ عن جِدال

وأما عزير - فلم أر مَن صرح باختلاف المسلمين فيه ؛ إلا ما حَكى الله تعالى عن اليهود بأنهم قالوا : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[3] ، قال المفسرون : خبرُه محذوف أي : عزيرُ الذي هو ابنُ لله تعالى نبيٌّ ؛ والله أعلم .

(**وعدد الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام : (**مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفا**) قال عبد الوهاب الشعراني في « اليواقيت »[4] : ولا بُد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر ، وقد يَزيدون ؛ انتهى (**وعدد المرسلين منهم : ثلاثُمائة وأربعةَ عشر**) عددُ أهلِ بدرٍ (**وقيل : ثلاثة عشر**) والأوْلى عدمُ الحَصْر في عددٍ مُعيَّن ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ ﴾[5] ، فلا يُؤمَنُ دخولُ مَن ليس منهم فيهم ، وخروجُ مَن هو منهم عنهم (**وأفضلُهُم بعد نبيِّنا محمد**) ﷺ - وأما أفضليته فقد سبقت - أُولوا العَزْم منهم ، ومِن أُولي العزم : سيدُهم أبونا (**إبراهيم**) الخليل (**ثم**) بعده كليمُ الله (**موسى ، ثم**) روح الله (**عيسى ، ثم**) شيخ المرسلين (**نوح ، ثم**) نجيُّ الله أبونا (**آدم**) صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٣ .
(٢) وهو كتاب « بدء الأمالي » ، للشيخ علي بن عثمان الفرغاني الحنفي .
(٣) سورة التوبة : الآية ٣٠ .
(٤) وهو كتاب « اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الكبائر » ، للإمام الشعراني .
(٥) سورة غافر : الآية ٧٨ .

ثم الأفضل بعد الأنبياء : . . . .

ولما فرغ المصنف رحمه الله من ذكر فضلِ نبينا ﷺ مع ما يَتَعلق بأحواله وتَعرُّضٍ لتفاوُتِ ما بين الأنبياء ؛ أراد أن يُبيِّنَ فضلَ الخلفاء الأربعة والتفاوُتَ بينهُم ، فقال : (**ثم الأفضلُ بعد الأنبياء :**)

اعلم : أن مما يَجب الاعتقادُ على كل مكلف : أن أصحاب رسول الله ﷺ - وهم الذين آمَنوا به وصحِبوه ولو قليلا - أفضل من غيرِهم ؛ من جميع أهل القرون إلا الأنبياء ، للأحاديث والنصوص البالغة مبلغَ التواتر وإن كانت تَفاصيلُها آحادا كحديث : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ » ، وحديثِ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[١] ، وحديث : « إِنَّ الله تَعَالَى اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ »[٢] ، وغيرها من الأحاديث المُصرِّحة بفضائِلِهم المُنْبِئَةِ عن مناقبهم ، ويكفيهم شرفًا أيَّ شرفٍ ثناءُ الله تعالى عليهم في الآيات الكثيرة ، ورِضاهُ عنهم ، ووَعْدُهُم مغفرةً وأجرًا عظيمًا .

وإن مما يَجب أيضا : تزكيَتهم ، وتعديلَهُم ، والكفَّ عن الطعن فيهم ، والإمساكَ عما شَجَرَ بينَهُم ، والثناءَ عليهم ، وتَبْرِئَتَهُم عن كل نقصٍ ، ومعاذ الله عن اعتقاد أدْنى شائبةٍ من شوائب النقص فيهم ؛ إذ لم يَختَرِ الله تعالى لِأَكْمَلِ أنبيائهِ إلا أكمَلَ مَنْ عَداهُم مِن بقية الأمم ، فرَضي الله تعالى عنهم .

وإن مما أجمَع عليه أهل السنة : أن أفضل الصحابة أبو بكر ، فعمر ، فعثمانُ ، فعلي ، فبقيةُ العَشرة المُبشَّرين ؛ وسيأتي تفصيلهم ، فأهْل بَدْرٍ ، فأهل أُحُد ، فأهل بَيْعَةُ الرضوان بالحُدَيْبِيَّة ، فباقي الصحابة .

---

(١) قال النبي ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » .

(٢) = « وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً - يعني : أبَا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًّا - فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابي ، وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهُمْ خَيْرٌ ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَة قُرُون » .

أبو بكر الصديق ، واختلف في اسمه ، قيل : عتيق ، والصحيح أنه : عبد الله ، وكنيته : أبو بكر ، . . . .

والمصنف اقتَصَر على ذكْرِ الخلفاء الأربعة وبعضِ مناقبِهِم ؛ لِما أن المُهِمَّ إثباتُ حقيَّةِ خِلافتِهِم ، وأجْمَلَ ذِكر العشرة ، وأعرضَ عن ذكر الباقين على ما هو مقتضى الكتاب ، فقال :

أفضلُ مَن عَدَا الأنبياء (**أبو بكر الصديقُ**) كان أبيضَ ، نحيفا ، أقرعَ الناس ، غائِرَ العينين ، كذا وُجد في هامش « البخاري » ، ومعنى الأفضلية بين الصحابة : أكثرِيةُ الثواب لِما أنهم آوَوْا ، ونصَروا ، وجاهَدوا ، وصبروا ، وهاجروا ، وخاطروا ، وتصدقوا بأموالِهم على فاقةٍ ، وباعوا النفوسَ لله تعالى رَغْبَةً في محبته ؛ لا شرف الذاتِ والنسب ، وإلا لم يَعْدِل أحد بِبَضْعَتِهِ الزهراء ولا السبطين ﷺ ، وسيأتي وجهُ أفضلية الصديق . وسبب تسميته بالصديق : أن رسول الله ﷺ لما رجَع من الإسراء أنكر الكفار وذهَبوا إلى أبي بكرٍ فقالوا : إن صاحبَك يَزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ؛ وجاء في الليلة ، فقال : صَدق ، فأنكروا عليه ، فقال : إني لأُصَدِّقُه بأبْعَدَ من ذلك ؛ بخبَرِ السماء غَدْوَةً ورَوْحَةً ، فلذلك سمِّي : الصديق ، وقيل : سمي به لملازمته الصدْقَ ؛ إذ لم يَحصُل له وقْفَةٌ في حالٍ مَّا (**واختلِفَ في اسمه ، قيل : عَتيق ، والصحيح أنه**) أي : اسمَه في الإسلام – وأما في الجاهلية فكان عبدَ الكعبة – : (**عبد الله**) وعتيق لقْبُه الذي لقَّبَ به رسول الله ﷺ لخبر البزار : (كان اسمُ أبي بكر عبد الله ، فقال له النبي ﷺ : « أَنْتَ عَتِيقُ الله مِنَ النَّارِ » فسمي : عَتيقًا) ، والحاكم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ » ، وخبره أيضا : (أنه ﷺ قال لأبي بكر : « أَنْتَ عَتِيقُ الله مِنَ النَّارِ » ، فمِنْ يومئذ سمي : عَتيقا) ، وفي « القاموس » : لقب الصديق بالعتيق لجَمالِهِ أو لقوله ﷺ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ »[١] الحديث ، أو سمَّتْه به أمُّه ؛ انتهى (**وكنيته : أبو بكر**) ولا نَعلم ابنَه المسمى : ببكرٍ ، لكن

(١) = « إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ » . (قاموس) .

واسم أبيه : عثمان ، وكنيته : أبو قحافة ، واسم أمه : أم الخير بنت صخر بن عمر ، أدرك وأبواه وأولاده جميعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة .

شأن العرب تَكنيةُ الوَلَدِ تعظيما له وتفاؤلا بأنه يكونُ أبًا للمُكَنَّى به (**واسم أبيه : عثمان**) يَلتقي مع النبي ﷺ في مُرة بن كعب (**وكنيته : أبو قُحافة ، واسم أمه :**) أي : الصديقِ (**أمُّ الخير**) أُطلِقَ عليه الاسم - مع أنه كنيةٌ - لشهرته ، فإن اسمَها : سَلمى (**بنت صَخْر بن عمر ، أدْرَك**) هو (**وأبواه وأولاده جميعا النبيَّ ﷺ وأسلموا ، ولم يكن ذلك**) أي : صُحْبَةُ الوالدين والأولاد (**لأحَدٍ من الصحابة**) فهَنيئًا لهم السعادةَ ، وفي ذلك نزلت آية : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ الآية[١] .

ومبدءُ إسلام الصديق على ما ذكره الإمام الرازي[٢] في « أسرار التنزيل »[٣] : أن رسول الله ﷺ لمَّا لقيَه قال : « أنَا رَسُولُ اللهِ إلَيْكَ » ، قال : ما الحُجة ؟ قال : « ذَلِكَ السِّرُّ الَّذِي ذَكَرْتَهُ مَعَ أهْلِ بَيْتِكَ » ، قال : ذاك لم يَطلِع عليه أحد إلا الله ؛ فلولا أن الله تعالى أخبَرَك لمّا عَرَفْتَه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ﷺ . وأما أبوه : فأسلم يومَ فتح مكة ، وتوفي سنة أربعَ عشرة بعد وفاة أبي بكر ، وحَظُّه[٤] من أبي بكر[٥] السدسُ ؛ فردَّه في أولاده ، وليس لنا والدُ خليفةٍ تأخرت وفاتهُ عن ابنه الخليفة ؛ ووَرِث منه إلا أبو قحافة رضي الله عنه . وأما أمه : فأسلمت في دار الأرقم أي : قبل أن يظهَرَ أمر الإسلام بإسلام عمرَ رضي الله عنه ؛ آمين .

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٢) هو : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الطبرستاني الشافعي ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي ، ويقال له : ابن خطيب الري . وهو قرشي النسب ، وإمام مفسر شافعي ، متكلم ، فقيه ، أصولي ، حكيم ، أديب ، شاعر ، طبيب ، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية ، والحكمية ، والرياضية . رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان . وكان إذا ركب يمشي حوله : ثلاث مئة تلميذ من الفقهاء . من تصانيفه : « مفاتيح الغيب » ، « معالم أصول الدين » ، « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » . ولد سنة ٥٤٤ هـ بمدينة الريّ ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ في مدينة هراة .

(٣) وهو كتاب « أسرار التنزيل وأنوار التأويل » ، لفخر الدين الرازي .

(٤) أي : خصه . *

(٥) أي : من تركة أبي بكر . *

قال الشيخ تقي الدين : أول من آمن من الرجال الأحرار : أبو بكر ، ومن الصبيان : علي ، . . . .

(قال الشيخ تقي الدين) عمرو بن الصلاح رحمه الله[١] : (أولُ مَن آمَنَ من الرجال) أي : البالغين (الأحرار : أبو بكر) الصديقُ رضي الله عنه ، وإليه ذهب خلائقُ من الصحابة والتابعين وغيرِهم ؛ بل ادَّعى بعضهم الإجماعَ ، وقد صح خبرُ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الإِسْلامِ إلا كَانَتْ لَهُ عَنْهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرُ إلا أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنَّهُ مَا تَلَبَّثَ عَنْ خَيْرٍ ذَكَرْتُهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ » ، وذلك ؛ لأنه كان يَرى دلائلَ نبوتهِ ، ويَسمَع آثارَه قبل دعوتهِ ، فحين دعاه كان سبَقَ له – فيه نَظَرٌ – فأسلم في الحَال بلا تَلَعْثُمٍ ولا تَوقف (ومِن الصبيان : علي) كرم الله وجهه ؛ إذ قد روِي : أنه بُعِث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلم هو يومَ الثلاثاء . ومن ثَمَّةَ قال رضي الله عنه :

سَبَقْتُكُمْ إلى الإسْلامِ طُرًّا غُلاما ما بَلَغْتُ أَوَانَ حُلُمِي

لما وصل إليه فخرُ مِن معاوية رضي الله عنه[٢] . وكان سِنُّه إذ ذاك : سبعَ سنين على أحد الأقوال الآتية في مناقبه ، وصح إسلامُه مع صِباه ؛ لأن الأحكام إذ ذاك كانت

(١) هو : عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني الشافعي ، أبو عمرو ، تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح ، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير ، والحديث ، والفقه . انتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية . توفي فيها . من تصانيفه : « معرفة أنواع علم الحديث » يعرف بمقدمة ابن الصلاح ، « طبقات الفقهاء الشافعية » ، « أدب المفتي والمستفتي » . ولد سنة ٥٧٧ هـ في شرخان (قرب شهرزور) ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ .

(٢) أي : لما وصل إليه فخر من معاوية قال لغلامه : أكتب إليه ، ثم أملى عليه :

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يَطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سَكَني وعِرْسِي ... منوطٌ لحمُها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدَ ابناي منها ... فأيُّكُمو له سهمٌ كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا ... غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي : إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام . « الصواعق : صـ ١٦٦-١٦٧ » . *

ومن النساء : خديجة ، ومن الموالي : زيد بن حارثة ، ومن العبيد : بلال ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ومن مناقبه : أنه أنفق على النبي صلى الله عليه وسلم جميع ماله ، . . .

مَنوطةً بالتمييز (**ومن النساء : خديجة**) الصديقةُ الكبرى رضي الله عنها كما تقدم ، وقد اتفقوا : أنها أولُ من أسلم مطلقا (**ومن الموالي**) أي : العتقاء : (**زيد بن حارثة**) حِبُّ رسول الله ﷺ ، أعْتقَه وزوّجه مولاته أم أيمن ، واسمها : بَركة ، فولدت له أُسامة ، وكان زيد قد أُسِر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعَمَّته خديجةَ ، فاستوْهَبَه النبي ﷺ منها ، استشهد رضي الله عنه في غزوة مؤتة (**ومن العبيد : بلال**) الحبشي مؤذِّن رسول الله ﷺ ، وقصةُ إسلامه ، وتعذيبه ، وشراء أبي بكرٍ له ، وإعتاقه ، وثناء النبي ﷺ له معروف ، وقبرُه بالشام يُزار ويُتبرّك به ، وبهذا التفصيل تَجتمِعُ الأقوالُ المتباينة في أول من أسلم (**رضوان الله تعالى عليهم أجمعين**) .

(**و**)لما كان مناقب الصديق بحيثُ لا يَحصُره عَدٌّ ولا يُحيط به حَدٌّ ذَكر المصنف رحمه الله نَبْذَةً من مناقبه للتبرُّك بها ، فقال : (**مِن مَناقبه : أنه أنفق على النبي ﷺ**) أي : بسببه ولأجل رضاه (**جميع مَالِه**) أي : صَرَفه في مَصارف الخير حتى نَفَد جميعه بلا مَنٍّ ولا قطعٍ إلى وفاته ، وقد صح : (أنه ﷺ كان يَقضي في مال أبي بكر كما يَقضي في مال نفسه) ، و(أنه أسلم وله أربعون ألفَ دينارٍ ، فأنفقَها على رسول الله ﷺ) ، و(أنه ﷺ قال : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ » فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ !) ، وعن عمر رضي الله عنه : (أنه أتى يوما إلى رسول الله ﷺ بشَطْرِ ماله - لمَّا أمَر بالصدقة - فقال : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا عُمَرُ ؟ » قال : نِصفَه ، ثم جاء أبو بكر بمالٍ ، فقال له رسول الله ﷺ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » قال : الله ورَسولَهُ ، قال عمر : لا أسْبِقُهُ أبدًا) ، وفي رواية : (أن النبي ﷺ قال : « بَيْنَكُمَا مَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا ») ، ومِن ثمرة إنفاقِ مالِه ما فاز بالفوز العظيم من شرائه مَحلَّ

وقد روي عن بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال : ما لي أرى أبا بكر وعليه عباءة قد خللها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ » ، قال : فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول : قل له أراض أنت عني في فقرك ؟ فقال له رسول الله : « يَا أَبَا بَكْر ؛ إِنَّ الله تَعَالَى يُقْرِئُكَ السَّلامَ . . . .

المسجد حين قدم النبي ﷺ المدينةَ ، فثوابُه إلى حَدٍّ لا يَقدِر قدرَهُ أحدٌ ، وشرائه المُعذَّبين في الله تعالى لإسلامهم وإعتاقهم ، منهم : بلال .

(وقد روي عن) عبد الله (بنِ عمر ﵄ أنه قال : (كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه)) أي : أبي بكرٍ ((عَباءةٌ قد خَلَّلَها في صدره بخلال)) أي : زَرَّ كسائَه بِعُودٍ لئلا يَنْكشف صدره ، ولذا لُقِّب : بذي الخِلال ؛ كما في « القاموس » ((فنزل جبرائيل ﵇ فقال :) يا محمد (ما لي أرى أبا بكرٍ وعليه عَباءة قد خَللها) في صدره بخلال ؟) - تَعَجَّب من غاية تواضعه وصبره على الفقر - ((فقال النبي ﷺ) : « يَا جَبْرَائِيلُ (أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ »)) أي : فتح مكة ؛ أي : دخولِها بعد الهجرة ، والإنفاقُ قبل الفتح لا يفوز به إلا الفائزون ، قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ الآية[1] ((قال)) جبرائيل : ((فإنَّ الله تعالى يَقرأُ عليه السلامَ)) وهذه مَنْقبة ما سمعناها لأحدٍ إلا ما أخبر النبي ﷺ : بـ« أَنَّ الله تَعَالَى أَقْرَأَ عَلَى خَدِيجَةَ السَّلامَ » ((ويقول : قل)) يا محمد ((له)) أي : أبي بكر ((أراضٍ أنت)) هو كقوله تعالى : ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾[2] يَحْتمِل الوجهين ((عَنِّي)) أي : عن الله ، فهو حكايةُ كلام الله تعالى كما هو شائعٌ في الرسائل ((في فقرك ؟ فقال له رسول الله) ﷺ : (« يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ إِنَّ الله تَعَالَى يُقْرِئُكَ السَّلامَ »)) في « القاموس » : قَرَأَ عليه السلام - أَبْلَغَه وأَقْرَأَهُ ، أو لا يقال : أَقْرَأَهُ ؛ إلا إذا كان السلام مكتوبا

---

(١) سورة الحديد : الآية ١٠ .   (٢) سورة مريم : الآية ٤٦ .

وَيَقُولُ لَكَ : أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ ؟ ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : أأسخط على ربي ؟ ! وقال : أنا عن ربي راض ، ثلاث مرات .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرمه ، ويبجله ، ويعرف أصحابه بمكانه ،

((ويقول لك : « أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ ؟!)) أي : عديمُ الرِّضى ((فقال أبو بكر رضي الله عنه : أأسخط)) كأفرَحُ ((على ربي ؟!)) استفهام إنكار وتبعيد ((وقال :)) تأكيدا لرضاه ((أنا عن ربي راضٍ)) قاله : ((ثلاثَ مراتٍ)) وهي أيضا مَنْقَبَةٌ عُظمى أعزُّ منَ الكبريت الأحمر ، إذ الصبرُ على الفقر قد يوجد بخلاف الرِّضى ؛ فإنه شأنُ أُولي النُّهى ، فلِقُوّة يقين الصديقِ رَضِيَ بذلك الفقر ونطَقَ ، ولسُطوع نوره بملازمة الحبيب أخْبَرَ وحَقَّقَ ، ومن ثمة قال ﷺ : « مَا فَضَلَ أَبُو بَكْرٍ بِعَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ وَلَكِنْ بِمَا وُقِرَ فِي صَدْرِهِ » .

(وقد كان ﷺ يُكرِمُه ، ويُبَجِّله) فقد صح : (أنه كانت تَشْتَبِكُ حَلْقَةُ رسول الله ﷺ حتى تَصير كالأسْوار ، وإن مجلس أبي بكر منها لَفارِغٌ ، ما يَطمَع فيه أحدُ من الناس) ، أي : لتوقيرهم مَن عَلِموا من النبي ﷺ إكرامَه ، (فإذا جاء أبو بكر جَلس ذلك المجلسَ ، وأقبلَ عليه النبي ﷺ بوجهه ، وألقى إليه حديثَه ، ويَسمعُ الناسُ) ، وصح أيضا : (أنه كان أبو بكر من النبي ﷺ مكان الوزير ، فكان يُشاوره في جميع أموره ، وكان ثانِيَهُ في الإسلام ، وثانيَهُ في الغار ، وثانيه في العَريشِ يومَ بدر ، وثانِيَهُ في القبر ، ولم يكن رسول الله ﷺ يُقدِّمُ عليه أحدًا) ، وتعظيمُه له ورضاه عنه مما لا يَخفى على مَن سَبَرَ أحوالَه .

(ويُعرِّفُ أصحابَهُ بمكانِه) أي : مَرْتبتِه وفضيلته ، فكانوا يُدارون له خوفًا من غضبه ، فيَغضِبَ النبيُّ عليه السلام لغضبهِ ، فيَغضِبَ الله تعالى لغضب نبيهِ فيَهلِكُ المُغضِبُ ، وقد صح : (أنه لمّا بلغ إلى النبي ﷺ ما وقع من التشاجُر بينه وبين غيره قال : « ألا تَدْعُونَ لِي صَاحِبِي مَا شَأْنُكُمْ وَشَأْنُهُ ، فَوَاللهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ إلاَّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ ظُلْمَةٌ إلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ ، فَإنَّ عَلَى بَابِهِ النُّورَ ،

ويثني عليه في وجهه . واستخلفه رسول الله في الصلاة . وهو صاحب رسول الله في الغار .

وَلَقَدْ قُلْتُم : كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ ، وَأَمْسَكْتُمُ الأَمْوَالَ وَجَادَ لِي بِمَالِهِ ، وَخَذَلْتُمُونِي وَوَاسَانِي واتَّبَعَنِي ») .

(**ويُثْني**) مضارع أثنى (**عليه في وجهه**) أي : يَمْدَحُه بما فيه من الخصال الشريفة ، فقد صح : (أنه ﷺ قال : « خِصَالُ الْخَيرِ ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ خَصْلَةً ، إِذَا أَرَادَ الله تعالى بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ فِيهِ خَصْلَةً مِنْهَا ؛ بِهَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » ، فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ؛ أَفِيَّ شيء منها ؟ قال : « كُلُّهَا فِيكَ ؛ فَهَنِيئًا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ») ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

(**و**)ناهيك من إكرامه له أنه (**استخلَفَه رسول الله**) ﷺ (**في الصلاة**) أي : لمَّا اشتد مرضُ رسول الله ﷺ أَمَرَهُم بأمْرِ أبي بكرٍ بأن يُصلِّيَ بالناس إمامًا ، وفي رواية : أنه لما أمرهم كان أبو بكر غائبا ، فتقدم عمرُ ، فكبّر - وكان صَيِّتًا - فقال ﷺ بعد أن أخرج رأسَه : « لا لا لا ، يَأْبَى اللهُ وَالْمُسْلِمُونَ إلا أَبَا بَكْرٍ » ، فصلى أبو بكر بالناس أيّامًا والنبي ﷺ حيٌّ والوحي يَنزِل . ففيه أوضح دليل على أنه أفضل الصحابة مطلقا ، وأحقهم بالخلافة ، وأولاهم بالإمامة ، ومن ثمة أجمعوا على ذلك ؛ كما قال علي كرم الله وجهه : فرَضِينا لِدُنيانا ما رضيَه النبيُّ ﷺ لدِينِه . فلم يَفُز بهذه المَنْقَبة العُظمى أحد ولا بغيرها مثلَ ما فاز أبو بكر ، كيف (**وهو صاحب رسول الله**) ﷺ (**في الغار**) أي : في غار ثَوْر[1] على جبل ثَبير ، على يَمين مَن بمِنًى إذا توَجه إلى عرفةَ ، وهو الغار الذي ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ الآيةَ[2] ، مَكَثا فيه حين الهجرة ثلاثَ ليال ، ونَسَجَت على بابه العنكبوتُ ، وباضت فيه الحمامةُ ، ورَدَّ الله تعالى كيْدَ الكفار عنهما لمَّا أرادوا دخولهم فيه ، وهو مشهور في الحرم يُزار ويتبرك به .

---

(١) وثورٌ : جبل بمكة ، وفيه الغارُ المذكور في التنزيل . (قاموس) .
(٢) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

وخليفة الزمان بعده حقا ، . . . .

وروي : (أنه قال رسول الله ﷺ لِحَسَّانَ بن ثابتٍ شاعرِه : « هَلْ قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا ؟ » قال : نعم ، فقال : « قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ » فقال :

وَثانِيَ اثْنَيْنِ في الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ ... طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إذ صَعِدَ الجَبَلاَ

وَكانَ حِبَّ رَسولِ الله قَدْ عَلِمُوا ... مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِل بهِ رَجُلاَ

فضحِك رسولُ الله ﷺ حتى بَدت نواجذه ثم قال : « صَدَقْتَ يَا حَسَّان هُوَ كَمَا قُلْتَ » ، وفي هذا أيضا دليل على أنه لم يَعْدِل بأبي بكر أحدٌ من الخَلق أي : إلا النبيينَ .

(وَ)هُوَ (خَلِيفَة الزَّمانِ) الإضافة بمعنى في (بَعْدَهُ حَقًّا) لا رَيْبَ فيه ظاهِرًا وباطنًا ، والخليفةُ : مَن يَخْلُفُ غيرَه ويَنوبُ مَنابَه - والهاء للمبالغة كما في : عَلاَّمةٍ ، ويجوز أن يقال : يا خليفةَ رسول الله ؛ بلا خلاف ، وأما : يا خليفةَ الله ؛ ففيه مذهبان ، والحق الجوازُ ، وكان أبو بكر يَنهى عن ذلك . فالصديق : خليفةُ رسول الله ﷺ ، والإمام الحق بعده ، ثبتت إمامتُه بالإجماع ، ولم يَنُصَّ رسول الله ﷺ على أحدٍ إذ لو كان[١] لَاشْتَهر ، بل تواتَرَ ولم يُحْتَجْ إلى مُنازعة الصحابة ، فإنهم لمَّا تُوفِّي ﷺ اختلفوا في الإمامة والإمارة حتى قال بعض الأنصار : مِنَّا أميرٌ ، ومِن المهاجرين أميرٌ ، فاحتجَّ أبو بكر بالحديث الصحيح : « الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » ، ثم قال : قد رَضِيتُ لكم : إمّا عُمَرَ أو أبا عُبَيْدَة ، فأخذ بيدِهما وقال : بايِعُوا مَنْ شِئْتُم منهما ، فبادرَ عمر فقال لأبي بكر : أُبْسُط يَدَكَ ، فَبَسَطها ، فبايَعَهُ ، فتَبِعَهُ المهاجرونَ ثم الأنصارُ ، فكان خليفةً حقًّا وإمامًا صِدْقًا .

---

(١) النَّصّ .

ومدة خلافته : سنتان ، . . . .

ثم توفي : سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، . .

(**ومدةُ خلافتهِ :**) اسم مصدر لِخَلَّفَهُ مُضَعَّفًا إذا أقامه ، أو لخَلَفَهُ إذا قام مَقامَهُ ، وهي : النيابةُ عن رسول الله ﷺ في عُموم مَصالح المسلمين مِن إقامة الدين وصيانةِ المسلمين ، بحيث يَجب على كافة الخلق الاتباعُ ، كذا في « هداية المريد » (**سَنتان**) وقال في « المواهب » : وستة أشهر وأربعُ ليالٍ ، ويُؤيِّدُه ما صح : (أن رسول الله ﷺ قَصَّ رُؤياه على أبي بكر فقال : « رَأَيْتُ كَأَنِّي اسْتَبَقْتُ أَنَا وَأَنْتَ دَرَجَةً ، فَسَبَقْتُكَ بِمِرْقَاتَيْنِ وَنِصْفٍ » ، قال : يا رسول الله ؛ يَقْبِضُكَ اللهُ تعالى إلى مَغفرَتهِ ورَحمتهِ ، وأعيشُ بعدَكَ سَنَتَين وَنِصْفًا ، وكان كما عَبَّرَ ، فقد عاش بَعْدَهُ سَنتين وستة أشهر) ، ومن ثمة كان أبو بكر رضي الله عنه أعْبَرَ هذه الأمّةِ بعد النبي ﷺ .

(**ثم توفي**) وسببُ مرضِ أبي بكر على ما رواه عمر رضي الله عنه وفاة رسول الله ﷺ ، فكَمِدَ ؛ فما زال جسمُهُ يَنْقص حتى مات ليلةَ الثلاثاء لثمانٍ بَقَيْنَ مِن جمادى الأخيرة (**سنةَ ثلاثَ عشرة من الهجرة**) وقال في « المواهب » : إنه توفي مَسْمُوما ، ويؤيده ما صح[١] : أن أبا بكرٍ والحارثَ[٢] كانا يَأكلان خَزِيرَةً[٣] أُهدِيَت لأبي بكرٍ ، فقال الحارثُ لأبي بكرٍ : ارفَعْ يدَكَ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ ؛ والله إن فيها لَسَمَّ سَنَةٍ ، وإنّا نموت في يومٍ واحدٍ ، فرفَعَ يدَهُ ، فلم يَزالا عَلِيلَيْنِ حتى ماتا في يوم واحدٍ عند انقضاء السَّنَةِ (**وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة**) كما هو سِنُّ المصطفى ، فكان أبو بكر أصغرَ منه بسنتين ، وصَحِبَهُ وهو ابن ثمانِ عشرةَ سنةً ؛ والنبي ابن عشرين سنة في تجارته إلى الشام .

(١) عن ابن شهاب . *
(٢) أي : الحارث ابن كلدة . *
(٣) الخزير - بالخاء المعجمة ، وبالزاي وآخره راء ، ويقال : خزيرة - بالهاء - : لحمٌ يقطعُ صغارًا ثم يصبّ عليه ماء كثير ، فإذا نضجَ ذرّ عليه دقيق ، فإن لم يكن فيها لحمٌ فهي عصيدة . « شرح مسلم » .

ومناقبه غير منحصرة لا تسع في هذا المختصر .

(**ومناقبه غيرُ منحصرة لا تَسَعُ في هذا المختصر**) وإن أردتَ الإحاطةَ بمناقبه - ومناقب باقي الخلفاء ، وبيان حقيةِ خلافةِ كلٍّ - فعليك بكتاب « الصواعق » لخاتمة المتأخرين أحمد بن حجر الهيتمي ، فإنه كتاب لم يُصنَّف مثلُه في ذلك البابِ .

وناهيك في مناقبه رضي الله عنه : ثباتُه عند وفاة النبي ﷺ - الذي لا مُصيبةَ أعظمُ منه - حتى أن بعض الصحابة خُبِل يومئذ كعمر ، وبعضهم أُقْعِد فلم يُطِقِ القيامَ كعبدِ الله بن أُنَيْسٍ ؛ بل أُضْنِيَ فمات كمدًا ، وبعضهم أُخرِس فلم يُطِقِ الكلامَ كعثمانَ ، وكان أثبتَهُم أبو بكرٍ ، جاء وعيناه تَهْمُلان ، فَكَشَفَ الثوب عن وجهه فَقَبَّلَه وقال : بِأبِي أنت وأُمِّي ، طِبتَ حيًّا ومَيِّتا ، فحَمِدَ الله تعالى وقال : ألا مَن كان يَعبدُ محمدًا ﷺ فإن محمدا ﷺ قد مات ، ومَن كان يعبد اللهَ تعالى فإن الله تعالى حيٌّ لا يموتُ ، فعند ذلك ظهرت شجاعتُه وعلمُه ، إذ الشجاعة - كما مر - ثبوتُ القلب عند حُلول المصائب ، ولا مُصيبةَ أعظم من ذلك ، ومن ثمة قال أبو هريرة رضي الله عنه : والله ؛ لولا أبو بكر ما عُبِدَ اللهُ تعالى بعدَ محمد ﷺ أبدًا .

ومِن باهر شجاعتهِ أيضا : ثبوتُه يومَ بَدْر عند النبي ﷺ شاهرًا سيفَهُ على رأس رسول الله ﷺ ، فلم يَدْنُ أحد يومئذ عنده إلا أبا بكر .

ومن ذلك أيضا : مباشرتُه لقتال أهل الرِّدة حين توفي رسول الله ﷺ ، وقتاله لمانِعِي الزكاة ، وعَزْمُه عليه ولو وحده ، وقتاله لمُسَيْلمة الكذاب اللعين وقومهِ مع وصف الله تعالى لهم : بأنهم كانوا ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[1] ، وغيرُ ذلك مما لا يُحصيه عَدٌّ ولا يَحْصُره حَدّ .

(١) سورة الفتح : الآية ١٦ .

ثم الأفضل بعده : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ، أسلم سنة ست من النبوة ، وقيل : خمس ، بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة . فإن الله تعالى قد أعز الإسلام به ، . . . .

(**ثم الأفضل بعده**) أي : بعد أبي بكر : أبو حفص[١] (**عُمَرُ بن الخطاب بن نُفَيْل**) كزبير (**بن عبد العُزَّى بن رِياح**) - بكسر الراء وبياء مثناة - يَجتمِع مع النبي ﷺ في كعبٍ ، وأمُّه : حَنْتَمَة بنتُ ذي الرُّمْحَيْن ، وليست بأُخْتِ أبي جَهلٍ - كما وهموا - بل بنتُ عمِّهِ[٢] .

كان أبيضَ ، أمْهقَ ، تَعْلوهُ حُمْرةٌ ، وكان طُوَالا ، أصلحَ ، أبلجَ ، شديدةَ حُمْرةِ العينين في عارضيْه خِفَّة ؛ وفي سِبالَيْه مَدّة (**أسلمَ سنةَ ستٍّ من النبوة ، وقيل : خمسَ**) قال في « الصواعق » : وله سبعٌ وعشرون سنةً ، وهو لا يُلائِم تاريخَ وفاته الآتي (**بعد أربعين رجلا**) وقيل : تسعةً وثلاثين ، وقيل : خمسة وأربعين (**وإحدى عشرة امرأة**) وقيل : ثلاثَ وعشرين امرأةً ، ففرح به المسلمون ، وظهَر الإسلامُ بمكة عقِبَ إسلامه (**فإن الله تعالى**) علة لأفضليته (**قد أعزَّ الإسلامَ به**) ببركة دعوة النبي ﷺ المستجابَة بقوله : « اللَّهُمَّ ؛ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، وَأَبِي جَهْلِ ابْنِ هِشَامٍ » ، وبقوله : « اللَّهُمَّ ؛ أَعِزَّ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » خاصةً ، وحكمة الدعاء بذلك : أن عمر رضي الله عنه كان من أشراف قريشٍ كأبي جهل ، فكانوا إذا أرادوا حربا بَعَثوه رسولا ، وإذا فاخَرَهم مُفاخِرٌ أرسلوه[٣] مُفاخرًا .

---

(١) كناه به النبي ﷺ ؛ لأن الحفص ولد الأسد ، يعني : أنه أسد . والله تعالى أعلم . منه .

(٢) حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وقيل : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل وعلى الأول تكون ابنة عمه - قال أبو عمر : ومن قال ذلك - يعني بنت هشام - فقد أخطأ ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام ، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما ؛ لأن هشاما وهاشما ابني المغيرة أخوان ، فهاشم والد حنتمة وهشام والد الحارث وأبي جهل ، وكان يقال لهاشم - جد عمر - : ذو الرمحين . « أسد الغابة : ١٥٦/٤-١٥٧ » . *

(٣) أي : له . *

وأنه جيش الجيوش ، وأرسل العساكر والجنود ، وفتح جميع بلاد المسلمين ،

وكان رسول الله ﷺ مختفيا في دار رجل يقال له : أرقم ؛ عند الصفا – فلما دعا النبي ﷺ لعمرَ استجاب الله تعالى دعاءَه ، فدخل في قلب عمر نورُ الإيمان – فسأل الناس عن النبي ﷺ فقيل له : هو بدار الأرقم[1] ، فجاء إليه فضرب البابَ واستجمع القوم ، فقال ﷺ لهم : « مَا لَكُمْ ؟ » قالوا : عمرُ بالباب ، فقال حمزةُ : فافتحوا له فإن أقبَلَ قبِلنا منه ؛ وإن أدبَرَ قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج فتشهدَ عمرُ ، فكبّر أهلُ الدار تكبيرةً سمِعَها أهل المسجد ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ أَلَسْنا على الحق ؟ ! قال : « بَلَى » ، قال : ففيمَ الاختفاء ؟ قال عمر : فخرجنا صَفَّيْن أنا في أحدِهما وحمزة في الآخَر – أي : وكان أسلم قبل عمرَ بثلاثة أيام – فدخلنا المسجدَ ، فنظرتْ قريشٌ إليَّ وإلى حمزة ، فأصابتْهم كآبةٌ شديدة ، فسماني رسول الله ﷺ : الفاروقَ يومئذ ، وفرَّق الله تعالى بي بين الحق والباطل (**وأنه جيَّش**) أي : جَمع (**الجُيوش ، وأرسل العساكرَ والجنودَ**) في « الصحاح » : العَسْكرُ – الجَيْشُ ، وفيه الجُنْد الأعوانُ والأنصار (**وفتح جميعَ**) أي : أكثر (**بلاد المسلمين**) وفي ذلك يقول الشيباني[2] في « عقيدته »[3] :

لَقَدْ فَتَحَ الفَارُوقُ بالسَّيْفِ عَنْوَةً جَمِيعَ بلادِ المُسْلِمِينَ وَمَهَّدَا

وأظهَرَ دِينَ اللهِ بَعْدَ خَفائهِ وَأَطْفَأَ نارَ المُشْرِكينَ وَأَخْمَدَا

---

(١) ابن أبي الأرقم . *

(٢) هو : محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي ، أبو عبد الله ، إمام بالفقه والأصول ، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة ، وأخذ عنه بعض الفقه ، وتمّم الفقه على القاضي أبي يوسف . وروى عن : أبي حنيفة ، ومِسْعَر ، والأوزاعي ، ومالك بن أنس ، أخذ عنه : الشافعي . وانتقل إلى بغداد ، فولاه هارون الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله . ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه . قال الشافعي : لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن ، لقلت ، لفصاحته ، قال إبراهيم الحربي : قلت للإمام أحمد : من أين لك هذه المسائل الدقاق ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن . له كتب كثيرة في الفقه والأصول ، منها : « المبسوط » ، « الزيادات » ، « الجامع الكبير » ، « الجامع الصغير » ، « الحجة على أهل المدينة » . ولد سنة ١٣١ هـ بواسط ، وتوفي سنة ١٨٩ هـ في الري .

(٣) وهو كتاب « العقيدة الشيبانية » ، لمحمد الشيباني .

كالشام ، والعراق ، ومصر ، وقسطنطينية ، والجزيرة ، وأذربيجان ، . . . .

(كالشام) في « القاموس » : الشَّأْمُ – بلاد عن مَشأمَة القِبْلةِ ؛ وسمِّيت لذلك ، أو سمِّي بشام بن نوح ، فإنه بالسين السّريانية ، أو لأن أرضَها شاماتٌ بيضٌ وحُمْرٌ وسودٌ[١] ، تُذكر وتؤنَّث ؛ انتهى ، وأما المشهورُ الآن بالشام فقَصَبَة دِمَشقَ – بكسر الدال وفتح الميم .

(والعِراق) في « القاموس » : عراق – ككتاب – بلاد مِن عَبَّادانَ إلى الموْصِلِ طولا ، ومن القادِسِيَّة إلى حُلْوانَ عَرضًا ، ويذكَّر ، سمِّيت بها : لتَواشُجِ عراق النَّخْل والشجر فيها ، والعراقان : الكوفة والبصرة .

(ومِصْر) في « الصحاح » هي : المدينة المعروفة ، وتذكر وتؤنث ، وفي « القاموس » : سميت المدينة به لتَمصُّرِها أي : جَعْلِها مصرًا ؛ ولأنه بناها المِصْرُ بن نوح ، وقد تُصْرَف ، وقد تُذكَّر ، وفيهما المِصْران : الكوفةُ والبَصْرَة ؛ انتهى ، وإذا مُنع من الصرف فسببُهُ العَلَميّةُ والتأنيث باعتبار البلدة .

(وقُسْطَنْطِينيّة) – بياء مشدَّدة ، وقد تُضم الطاء الأولى – دارُ مَلِك الروم[٢] ، وفتحُها من أشراط الساعة ، وتسمى بالرُّومِيَّة : بُوزَنْطِيا ، وارتفاعُ سُورِهِ أحدٌ وعشرون ذراعا ؛ كذا في « القاموس » .

(والجَزِيرَة) في « الصحاح » هي : موضع بعَيْنه ، وهو ما بين دَجْلة والفُراتِ ، وفي « القاموس » : الجزيرةُ – أرضٌ بالبَصْرة ، ومُدُنٌ كِبارٌ ، وجزيرة العرب : ما أحاطَ به بَحْرُ الهِنْد وبحرُ الشام ثم دَجلَةُ والفُراتُ ؛ انتهى .

(وأَذْرَبِيْجان) قال النووي : هو : بهمزة مفتوحة ثم معجمة ساكنة ثم راء مفتوحة ثم موحَّدَة مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم جيم وألف ونون – على

---

(١) وعلى هذا لا تُهمز ، وقد تُذكَّر ، وهو شامِيٌّ وشآميٌّ وشآمٍ . وأشْأمَ : أتاها . وتَشَأَّمَ : انتَسب إليها وأخذ نحو شِماله . (قاموس) . *

(٢) وفي حديث ابن عباس : « اغْزُوا تَغْنَمُوا بَناتِ الأصْفَر » قال ابن الأثير : يعني : الرومَ ؛ لأن أباهم الأول كان أصْفرَ اللون ، وهو رُوم بن عِيْصُو بن إسحق بن إبراهيم . *

وبلخ ، وبخار ، وبلاد سمرقند ، وبلاد فارس ، وبلاد الروم ، وغيرها .

وورد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : لما أسلم عمر رضي الله عنه كان الإسلام كالرجل المقبل ؛ لا يزداد إلا قربا ، فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر ؛ لا يزداد إلا بعدا . وورد : أن جبرائيل عليه السلام نزل إلى النبي عند إسلامه وقال : يا محمد ؛ استبشر أهل السماء بإسلام عمر . . . .

المشهور ، وقال بعضهم : بمد الهمزة مع فتح المعجمة وسكون الراء ؛ انتهى . وقال الكرمانيُّ : الأشهَرُ عند العجم : آذربايجان - بالمد وبألفٍ بين الموحدة والتحتانية - وهو بلدة تَبْريز ؛ انتهى .

(**وبَلخ**) - بفتح الباء - : بلد (**وبُخار**) - بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء بعد الألف - : بلدة (**وبلادِ سَمَرْقند ، وبلاد فارِسَ ، وبلاد الرومِ ، وغيرها**) فهذه فتوح لم يَقع نظيرُها في أيام خليفة بعده ، وفازَ بها السيدُ عمر رضي الله عنه ببركة دعاء النبي ﷺ بإعْزاز الإسلام به .

(**و**)من ثمَّة (**ورد عن حذيفة** رضي الله عنه **أنه قال : لما أسلم عمرُ** رضي الله عنه **كان الإسلام كالرجل المُقبِل ؛ لا يَزداد إلا قربًا**) وفي رواية عنه : إلا قوةً (**فلما قُتل**) عمر رضي الله عنه (**كان الإسلام كالرجل المُدْبِر ؛ لا يزداد إلا بعدًا**) وفي رواية : إلا ضُعْفا ، فعلى رواية المصنف يعود ضميرُ يَزداد إلى : الرجل المُشَبَّهِ به ، وعلى هاتين الروايتين يعود إلى : الإسلام المشبّه ، وكلاهما سائغان (**وورد**) أيضا : (**أن جبرائيل** عليه السلام **نزل إلى النبي**) ﷺ (**عند إسلامه**) أي : عمر (**وقال : يا محمد ؛ استبشرَ أهل السماء بإسلام عمر**) رضي الله عنه ، وأن المشركين قالوا : قد انتصفَ القوم منا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] . وعن صُهَيْب : لمَّا أسلم عمرُ رضي الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه علانيةً ، وجَلَسنا حول البيت حِلَقًا حلقا ، وطُفْنا بالبيت ، وانْتَصفنا مِمَّن غَلُظ علينا ، ورَددنا عليه في بعض ما يأتي .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٤ .

وعن جابر قال : قال عمر لأبي بكر : يا خير الناس بعد رسول الله ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعت رسول الله يقول : « مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ خَيْرَ مِنْ عُمَرَ » ، وعن عقبة ابن عامر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ » .

وهو الخليفة الثاني ، . . . .

وعن ابن مسعود : كان إسلام عمر رضي الله عنه فتحًا ، وهجرته نصرًا ، وإمامته رَحمة ، ولقد رأيتَنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر ، فقاتلهم حتى تركونا وخَلَّوْا سبيلنا .

(**وعن جابر قال : قال عمر**) رضي الله عنه (**لأبي بكر**) رضي الله عنه : (**يا خيرَ الناس بعد رسولِ الله**) ﷺ (**فقال أبو بكر**) رضي الله عنه : (**أمَّا**) كلمة تنبيه (**إنك**) - بكسر الهمزة (**إن قلتَ ذلكَ**) شرطٌ ، جوابُه مقدَّرٌ ؛ أي : (**فـ**)ـأقول (**لقد سمعتُ**) حذف للعلم به (**رسول الله**) ﷺ (**يقول : « مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ خَيْرَ مِنْ عُمَرَ »**) أي : بعد النبيين وأبي بكر ، للنصوص المصرِّحة بذلك ، ومن ثمة لم يَسْتَثْنِ ﷺ (**وعن عقبةَ ابنِ عامر**) الأنصاري (**قال : قال النبي ﷺ : « لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ »**) وفي هذا منقبة أيُّ منقبة لعمر رضي الله عنه ، وغاية الثناء له ، فإن مَدْحَ المؤمنِ المُخلص لا يزيده إلا إيمانا ؛ ولذا كثُر من المصطفى ﷺ مدحُ أصحابه ولو في وجوهِهم كقوله : « لَوْ لَمْ أُبْعَثْ لَبُعِثْتَ يَا عُمَرُ » .

(**وهو الخليفة الثاني**) وثبتتْ خلافته باستخلاف أبي بكر إياه بإلهام من الله تعالى : أن الأمة تَحتاج إلى مثله في القوة والدين ، فكان أبو بكر بذلك أفرسَ الناس ، وصار عمرُ حسنةً من حسنات أبي بكر رضي الله عنه ، فَأيُّ منقبة أعلى من ذلك ، وإجماعِ الصحابة على إمامتِه وخلافته ، فكانوا يقولون له أولا : يا خليفةَ خليفةِ رسول الله ﷺ ، ثم عَدلوا عن هذه العبارة لطولها فقالوا : أميرَ المؤمنين ، فهو أول من سمي بهذا الاسم ، واستخلَفَ يومَ توفي أبو بكر رضي الله عنه .

ومدة خلافته : عشر سنين وستة أشهر ، وقام بالخلافة أتم القيام ، وجاهد في الله حق جهاده إلى أن قتله أبو لؤلؤة – وهو غلام مغيرة بن شعبة – بالمدينة ، يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، واستشهد : . . . .

(**ومدة خَلافته : عشرُ سنين وستةَ أشهر ، وقام بالخلافة أتمَّ القيامَ ، وجاهد في الله**) أي : لأجله (**حق جهاده إلى أن قتله أبو لؤلؤة**) فَيْرُوز المَجوسي (**وهو غلام مغيرةَ بن شعبة**) وذلك : أن عمر ﷺ كان لا يأذن لصبي مُشرك قد احْتَلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المُغيرة – وهو بكوفة – يذكر له غلاما يحسن أعمالا كثيرة ، فيها منافع للناس : كالحدادة ، والنقش ، والتجارة ، ويصنع الأرْحَاء ، فأذن له في دخول المدينة ، فجاء لعمر يشتكي من ثقل خراجه ، وهو أربعةُ دراهمَ كلَّ يوم ، فلم يَشكه أي : لم يُزِل شَكواه لعلْمهِ بقدرته عليه وزيادةٍ ؛ لكثرة صَنائعه ، فأضمَر قتلَه ، وأعد خنجرا ؛ وسمَّه ، فاستتر في زاوية المسجد في ظلمةٍ حين الصبح ؛ حتى إذا قام عمر للصلاة ، وأمر بتسوية الصفوف قبل الإحْرام[1] ؛ ضربَه بذلك الخَنْجَر ثلاثا في كَتفه وفي خاصرته ، فسقط عمرُ ﷺ ، وطَعن معه ثلاثةَ عشر رجلا ، فمات منهم ستةٌ ، فألْقى عليه رجل[2] ثوبا فقَتل نفسه ؛ لعنه الله تعالى ، وذلك (**بالمدينة**) شرّفها الله تعالى (**يوم الأربعاء لأرْبع ليال بقين من ذي الحجة ، ودفِن يوم الأحد سنةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة**) إذ قام النبيُّ ﷺ بالمدينة عشرًا ، وأبو بكر بعده سنتين وستة أشهر كما مر ، وعمرُ عشرا وستة أشهر ؛ فبلغ ذلك الأمدَ .

(**واستشهد**) أي : مات شهيدا كما أخبر الصادقُ بذلك حين تَحرك أُحُد وعليه النبي ﷺ والخلفاءُ الأربعةُ ﷺ بقوله : « اثْبُتْ أُحُدُ ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ » ، ووقع مثل ذلك في حراء ، وكما أخبر له كعب بقوله :

---

(١) فجاء أبو لؤلؤة إلى أن دنا من عمر . « الصواعق : ١٣٢ » . *
(٢) من أهل العراق . « الصواعق : ١٣٢ » . *

وهو ابن ثلاث وستين سنة ، على الصحيح .

ومناقبه كثيرة لا يضبطها هذا المختصر .

أجدك يا عمر في التورية أنك تُقتَل شهيدًا ، فقال عمر : وأنَّى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟ ! (**وهو ابن ثلاث وستين سنة ، على الصحيح**) من الخلاف .

(**ومناقبُه كثيرة لا يضبطها هذا المختصر**) وناهيك من مآثره ما مر : مِن تفريقه بين الحق والباطل يوم أسلم . وفتحهِ أكثرَ بلاد المسلمين . وما صح مِن جَرَيانِ النِّيل بكتابه[١] ، ونداءِ أميرِ الجيش سارية مُحَذِّرا له مِن وراءِ الجبل بقوله : يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، فسمع صوتُ عمرَ مع بُعْدِ المسافة بينهما[٢] ، فأسنَد إلى الجبل وهزَم الكفارَ . ونزول القرآنِ موافقا لرأيه ، وهي أي : الآيات الموافقة كثيرةٌ مثل آية : حجاب النساء ، واتخاذ مقام إبراهيمَ مُصلى ، وغير ذلك . وسكون الزلزلة العظيمة بضرب دِرَّتهِ الأرضَ . ورجوع النار التي تَأتي كلَّ عام إلى المدينة بمُقابلة ردائه ، وغيرِ ذلك مما لا مَطْمَعَ في إحصائه ، فجزاه الله تعالى برضاه . وأما ما أثنى به عليه المصطفى - عليه السلام - فكثيرةٌ ، بَلَّغها الهيتمي في « صواعقه » إلى ثمانيةٍ وستين ، فراجعه .

---

(١) والكِتابة : إنْ كُنت تَجري بأمرك فلا حاجةَ لنا بك وإن كُنت تَجري بأمر الله فاجْر ، فلما ألقيَ إليه المكتوبَ جرى بأمر الله تعالى إلى الآن . « بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية : ٤٩٧/١ » . *

(٢) أي : رُؤيته وهو على المنبر بالمدينة وجيش المسلمين بِنَهَاوَنْدَ ، وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين . *

ثم الأفضل بعدهما : عثمان – ذو النورين – ابن عفان ابن أبي العاص ، وأسلم على يد أبي بكر قبل دخول النبي دار الأرقم . وسمي : ذو النورين لتزوجه ابنتي النبي واحدة بعد واحدة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ » . . . .

(**ثم الأفضلُ بَعْدَهُما**) أي : الشيخين : أبو عمرو (**عثمان ذو النورين**) وهو (**ابنُ عفان**) كشدّاد (**ابن أبي العاص**) يَلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف ، وأمُّه : أَرْوى بنتُ كُرَيْز – بضم الكاف وفتح الراء المهملة وبالزاي المعجمة بعد الياء المنقوطة بنقطتين تحتُ – أسلمت ، وكان عثمان ﵁ أبيض ، وقيل : أسْمَرَ ، رَبْعة ، رقيق البشَرة ، حَسَنَ الوجه ، بعيد ما بين المنكبين ، حسن شعرِ الرأس ، عظيم اللحية يُصَغِّرها (**وأسلم**) بعد ثلاثة : أبي بكر ، وعلي ، وزيد ، فهو رابع الإسلام (**على يد أبي بكر**) حين دعاه إلى الإسلام (**قبل دخول النبي**) ﷺ (**دارَ الأرقم**) مَرَّ أنه هو وأصحابُه كانوا مُختفين فيه إلى أن أسلم عمرُ .

(**وسمي**) عثمان (**ذو النورين**) الأوْلى بذي النورين إلا أنه تَساهل (**لتزوُّجه ابنتي النبي**) ﷺ رُقيةَ وأمِّ كلثوم (**واحدةً**) أي : الثانية (**بعد واحدة**) أي : الأولى ، فإنه تزوج أولا رقية ، وماتت عنده بعد أن ولدت له غلامًا سماه : عبد الله ، ثم تَزوج أختَها : أم كلثوم ، فماتت عنده أيضا ولم تَلد له كما مر في أوائل الكتاب (**وقال النبي ﷺ**) لما ماتتا : (« **لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ**) وَمَا زَوَّجْتُهُ إلا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ » ، وفي رواية : أنه قال لعثمان : « لَوْ أَنَّ لِي أَرْبَعِينَ ابْنَةً زَوَّجْتُكَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ » ، فلا يعرف أحد تَزوج بنتي النبي ﷺ غيرُه ، وصح : أنه ﷺ قال لعثمان : « يَا عُثْمَانُ ؛ هَذَا جَبْرَائِيلُ يُخْبِرُنِي : أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ زَوَّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا » ، ومر أوائلَ الشرح ما يتعلق بما هنا فراجعه[1] ، وهذه مَنْقَبَة جليلة لعثمان .

---

(١) إلى : صـ ٦٩ .

وهو الذي جهز جيش العسرة يوما بماله في غزوة تبوك ؛ المشهور في الديار : بعاصي خرمه ، . . . .

(و)من مناقبه العظمى : أنه (**هو الذي جَهَّزَ**) أي : هيَّأ (**جيشَ العُسْرة**) سميت تلك الغزوةُ بجيش العسرة ؛ لأنها كانت في زمن اشتداد الحَرّ ، حتى كانوا يَنحَرون البعيرَ فيشربون ما في كِرْشِه من الماء ، فكان ذلك عسرة في الماء ، وكانت المراكب قليلة حتى كانت العشرة يعتقبون على البعير الواحد ، والنفقة كذلك ، فجهَّزَهم عثمان (**يوما**) أي : في يوم واحد (**بماله**) سيأتي قدره (**في غزوة تَبُوك ؛ المشهورِ في الديار : بعاصي خُرْمَه**) وهو نصف طريق المدينة إلى الشام ، ومنزِل من مَنازِل الحجّاج ، سمي : بعاصي خرمه ؛ لأن خُرْمَه - بضم الخاء وسكون الراء وفتح الميم - اسمٌ للتمر في لسان التُّرْك ، ونخلُ تلك البقعة لا يُثمر فكأنه عَصَى ؛ كذا سُمع منهم .

وهذه الغزوة آخِرُ غزوات النبي ﷺ[١] ، وكان معه يومئذ ثلاثون ألفا ، وكانت الخَيْلُ عشرةَ آلافٍ ، لكن رَوى البخاري : أن كعبَ بنَ مالكٍ قال في قصة تخلفهِ عن غزوةِ تبوك : وأصحابُ رسول الله ﷺ كثيرٌ لا يَجْمعُهم كتابٌ حافِظٌ[٢] ، لكن قد جاء ضبطُهم في بعضِ مشاهده كتبوك ، فقد ورد : أنه ﵇ سار عامَ الفتح في عشرةِ آلاف من المقاتِلة ، وإلى حنين في إثني عشر ألفا ، وإلى حجة الوداع في تسعين ألفا ، وإلى تبوك في سبعين ألفا ، وقد روي : أنه ﵇ قُبض عن مائة ألفٍ وأربعةٍ وعشرين ألفا ؛ على عدد الأنبياء ؛ والله أعلم .

---

(١) خرج ﷺ إلى غزاة تبوك ، في رجب سنة تسع ، فأقام بها عشرين ليلة وعاد ولم يلق كيدا ، وهي آخر غزوة خرج إليها بنفسه ﷺ ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة ، وقيل : علي بن أبي طالب ، وقيل : سباع بن عرفطة . وقاتل ﷺ مع هذه في تسع ، وهي : بدر المعظمة ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وقيل : أنه ﷺ قاتل في وادي القرى والغابة ، ولم يكن في سائرها قتال أصلا . « إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع : ٨/٣٩١ » . *

فإن غزوة تبوك كانت يوم الخميسِ في رجب سنة تسعٍ من الهجرة قبل حجة الوداع بلا خلاف . *

(٢) أي : يعني بذلك كعب : الديوانَ ، يقول لا يَجمَعُهم دِيوانٌ مكتوبٌ . *

وأنفق في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، عن عبد الرحمن بن خباب قال : شهدت النبي وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان فقال : يا رسول الله ؛ علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض ، فقال : علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول : « مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ » .

(**وأنفق**) عثمان (**في ذلك**) الجيش (**نفقة عظيمة**) كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى (**لم يُنفِق أحدٌ مثلها**) فلله تعالى دَرُّ ذلك المال لمثل ذلك المرءِ ، وهي ما في حديثٍ روي (**عن عبد الرحمن بن خباب**) - بالخاء المعجمة والباء الموحدة - أنه ((**قال : شهِدتُ النبي**)) ﷺ أي : حضرت عنده ((**وهو يحث**)) أي : يحض الناسَ ((**على**)) ترتيب وإنفاق ((**جيش العسرة ، فقام عثمان**)) رضي الله عنه ((**فقال : يا رسول الله ؛ عَلَيَّ**)) وفي رواية : هذه ((**مائةُ بعيرٍ**)) وكان قد جهَّز عِيرًا إلى الشام ((**بأحلاسها**)) جمعُ حِلْسٍ - بالكسر - وهو كساءٌ رقيق يكون تحت البَرْذَعَةِ ((**وأقتابها**)) جمعُ قتبٍ - بالتحريك - وهو رَحْلٌ صغيرٌ على قَدْر السَّنام ((**في سبيل الله**)) وهو ما أمِرَ بسُلوكهِ ((**ثم حَضَّ**)) أي : حَرَّضَهُم[1] ((**على الجيش**)) المعهود ((**فقال عثمان : عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض فقال : عليَّ ثلاثُمائةِ بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله**)) قال الراوي : ((**فأنا**)) إذا ((**رأيت رسول الله**)) ﷺ ((**يَنزل عن المنبر**)) أي : الذي رَقِيَه لتَحْريضِهم ((**وهو**)) أي : والحال أنه ((**يقول : « مَا »**)) يَنْزِلُ ((**« عَلَى عُثْمَانَ »**)) عقاب ((**« مَا عَمِلَ »**)) من السيئات ((**« بَعْدَ هَذِهِ »**)) الخصلة ، أو ما عليه أن لا يَعمَل بعد هذه من النوافل دون الفرائض ؛ لأن تلك الحسنةَ تكفيه عن جميع النوافل ((**« مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ »**)) كَرَّره تأكيدًا ورضاء بما فعَلَه .

---

(١) أي : صلى الله عليه وسلم . *

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره وهو يقول : مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » ، مرتين . عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان فكان عثمان رسول رسول الله إلى مكة ، . . . .

وفي حديث روي (**عن عبد الرحمن بن سمرة قال : (جاء عثمانُ إلى النبي ﷺ بألْف دينارٍ في كُمِّه**)) الكم - بالضم - مَدْخَل اليد ومَخْرَجها مِن الثَّوْب ، جمعُه : أكْمام ((**حين جهَّز**) النبي ﷺ (**جيشَ العسرة ، فَنَثَرَها**)) بالثاء المثلثة أي : صَبَّها ((**في حِجْره**)) - بفتح أوله وكسره - ذَيل الإنسان من مُقَدَّمِه ؛ كما تقدم ، قال الراوي : ((**فرأيت النبي ﷺ يُقَلِّبُها في حجره وهو يقول : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ »**)) من السيئات ، قاله أيضا : ((**مرتين**)) وفي رواية : (أنه بَعَث بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ ، فصُبَّت بين يديه وجعلها يقلِّبُها ظهرَ البطن ويقول : « غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَا تُبَالِي مَا عُمِلَ بَعْدَهَا ») .

ولما بيَّنَ فضيلةَ إنفاقِهِ شرع أن يُبيّن فضيلة ثناء النبي ﷺ وقيامه مقامَه فقال : روي (**عن أنس**) ﷺ أنه (**قال : (لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان**)) يعني : لمّا خَرَج رسول الله ﷺ[1] سنة ست من الهجرة للعُمرة ومعه[2] ألفٌ وأربعُمائة ، وقيل : خمسُمائة[3] ، نزَل بالحديبية - بتخفيف الياء وتشديدها - وهي بِئرٌ يُسمى المكان بها ، وقيل : شجرةٌ على تسعةِ أميالٍ من مكةَ ، فأرسَل قريش رسولا إلى النبي ﷺ ، فوقع الصلحُ على أن يَرجع في هذه السنة ؛ ليَدخل مكة في العام القابل معتمرًا ، فأرسل عثمانَ إلى مكة ليُخبِرَ أهلَها بذلك الصلح ((**فكان عثمان رسولَ رسولِ الله**) ﷺ (**إلى مكةَ**)) فحبسُوه ، وانتشر الخبر : أنه قد قُتل ،

---

(١) في ذي القعدة . *
(٢) أي : وأخرج معه زوجته أم سلمة . « مواهب : ٤٨٩/١ » . *
(٣) أي : ألف وخمسُمائة . « مواهب : ٤٨٩/١ » . *

فبايع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ الله تَعَالَى وَحَاجَةِ رَسُولِهِ » ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، فكان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم .

وكان رضي الله عنه يصوم الدهر ، ويقوم الليل ؛ إلا هجعة من أوله ، وكان يختم القرآن في كل أسبوع .

فغَضِبَ المسلمون ، فدعا رسول الله ﷺ الناسَ إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة ((**فبايع الناس**)) رسول الله ﷺ على الموت ، وقيل : على أن لا يَفِروا ((**فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ الله تَعَالَى »**)) - نسبة الحاجة إلى الله تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المقرَّرِ في علم البيان - ((**« وَحَاجَةِ رَسُولِهِ » ، فضَرَب بإحدى يَديه**)) وفي رواية : باليد اليمنى ((**على الأخرى**)) وقال : « هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ » رضي الله عنه ((**فكان يدُ رسول الله ﷺ لعثمانَ خيرًا من أيديهِم لِأنْفُسهم**)) وناهيك بهذا منقبة لعثمان ؛ إذ عَلِم رسول الله ﷺ حالَه وشجاعَتَه وإخلاصه ، فقام مقامه فهنيئا له المقام .

ولما سمِعَ المشركون هذه البيعةَ خافوا وأرسلوا عثمانَ وجماعة من المسلمين ، وفي هذه المبايعة نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية[١] ، وقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية[٢] ، وحلَقَ الناس مع النبي ﷺ رؤوسهم ، ونَحَروا هَداياهم بالحُديبية ، وأرسَل الله تعالى ريحًا حَمَلت شعورَهُم فألقتْها في الحَرَمِ[٣] ، وأقام بها بضعةَ عشرَ يوما ثم رجَع ، فنزلت سورة الفتح تَسْلية لهم .

(**وكان**) عثمان (رضي الله عنه **يصوم الدهرَ ، ويقوم الليل**) كله (**إلا هَجْعَةً**) أي : نومةً قليلة (**مِن أوله ، وكان يَختم القرآن في كل أسبوع** .

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ . (٢) سورة الفتح : الآية ١٨ .

(٣) قال السُّهيلي : إن الصحابة لمّا حَلَقوا رؤوسَهم بالحديبية جاءت ريح حمَلت شعورَهم وألقتْها في الحرم ، فاستبشروا بقبول عُمرتهِم ؛ انتهى . « الشهاب : ٢٣٥/٢ » . ❊

وهو الخليفة الثالث على الأصح ، ومدة خلافته : اثنتي عشرة سنة ، ثم استشهِد . . . .

وهو : الخليفة الثالث على الأصح) يعني : أن أحق الصحابة بالخلافة بالإجماع القطعي : أبو بكر ، ثم عمر ﵁ ، واختلفوا في عثمان وعلي ﵄ ، فالإجماع الظني الذي عليه الأكثرون : أن عثمان أفضلُ وأحق بالخِلافة من علي ، وهو الأصح كما قال . وخالَفَ فيه سفيان الثوري ومالك وغيرهما فقالوا : بأفضلية علي وإن كان عثمانُ أحقُّ منه بالخلافة ؛ لإجماع أهل الشُّورى على خلافته ؛ أي : لما احتضرَ عمرُ ﵁ قال : ما أجِدُ أحدا أحق بهذا الأمر أي : الخلافة ؛ من الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فسمَّى ستة : عثمان ، وعليا ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعدَ بنَ أبي وقاص ، وجعَل الأمر شورى بينهم ، فاجتمعوا بعد دفْنِ عمرَ ، وفَوَّضَ الأمرَ جميعهم إلى عبد الرحمن ورضوا بحكمه ، فاختار عثمان[1] ، وبايَعَه بمَحضر من الصحابة ، فبايعوه ، وانقادوا له ؛ فصار ذلك إجماعا منهم .

وهل تَجب محبتهم برعاية أفضليتهم ؟ فيه تفصيل ، وهو : أنها إن كانت من حيثُ الدِّينُ والعلم ومحبة رسول الله ﷺ وجب ترتيبها كترتيبهم المذكور ، وإن كانت لنحو : قرابة أو إحسان لم تجب رعايتها ، صرح به ابن حجر الهيتمي في كتبه نقلا عن الولي العراقي .

(**ومدة خلافته : اثنتي عشرَة سنةً**) وأحَدَ عشرَ أو ثلاثةَ عشر يوما (**ثم استشهِد**) أي : قُتل في الدار في أوسط أيام التشريق[2] ، واجتمع على قَتلِهِ أوباش أربعة آلاف ، مُجْمَعون من مصر وغيرها ، فحاصروه ، فأراد الصحابة الدفع عنه ؛ فمنعهم ، وقال : إن رسول الله ﷺ عَهد إليَّ عهدا وأنا صابرٌ عليه ، وأراد

---

(١) أي : استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين . « جامع الأصول في أحاديث الرسول : ١٢٤/١٢ » . *

(٢) أي : قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل : لثلاث عشرة خلت منه ، وقيل : لثلاث بقين . « جامع الأصول في أحاديث الرسول : ١٢٤/١٢ » . *

حين يقرأ القرآن إذا بلغ إلى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، وهذا المصحف موجود إلى الآن في بيت المقدس ، يتبرك الناس به في الأمراض وغيرها .

وقتله الأسود التجيبي من أهل مصر ، . . . .

مماليكُه الكثيرون المنعَ عنه ؛ فمنعَهُم وقال : مَن أغمد سيفه فهو حُرٌّ ، لعلْمهِ بأنه مقتول ظلمًا ، وأنه لا مَخلص[1] من القتل ، وسببُه على ما في كتب السير : توهُّمُهم أن عثمان أراد قتلَ محمد بن أبي بكر ، وهو بريء منه . فمات شهيدا (**حين يقرأ القرآنَ**) وهو بين يديه (**إذا بلغ إلى**) قوله تعالى : (﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[2]) فنَضَح الدم على هذه الآية ، وسِرُّ ذلك - والله أعلم - : الإشارةُ إلى أن الله تعالى سيكفي عثمانَ بما شاء منهم (**وهذا المصحف موجود إلى الآن في بيت المقدس ، يَتبرَّك الناس به في الأمراض وغيرها**) .

(**وقتَلَه**) أي : عثمان رضي الله عنه : (**الأسود التُّجيبي**) - بضم التاء ؛ فوقها نقطتان ، وكسر الجيم ، وسكون الياء ؛ تحتها نقطتان ، وبعدها باء موحَّدة ، وفي « القاموس » : تُجيب - بالضم ؛ ويُفتح - : بَطْنٌ من كِنْدَةَ ، منهم : كِنانة بن بِشْر التُّجِيبيُّ قَاتِل عثمانَ ، وتَجُوبُ : قبيلة من حِمْيَرَ ، منهم : ابن مُلْجَمٍ التَّجوبيُّ[3] قاتِلُ علي كرم الله وجهه ، وغَلِطَ الجَوهريُّ فحَرَّفَ بيْتَ الوليد ابن عُقْبَةَ :

ألا إنَّ خَيْرَ الناسِ بَعْدَ ثَلاثَةٍ قَتِيلُ التُّجِيبِيِّ الَّذي جاءَ مِنْ مِصْرِ

وأنشدَهُ[4] : التَّجوبِيّ ظَنًّا أنَّ الثلاثةَ : الخلفاءُ ، وإنما هُم : النبي صلى الله عليه وسلم والعُمَرَانِ[5] ؛ انتهى . والأسود كان من الذين حاصَروا عثمانَ في داره (**من أهل مصر**) .

---

(١) أي : له . *
(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٧ .
(٣) أي : عبد الرحمن بن مُلجَمٍ الشقيُّ المُرادي الحِمْيَري التَّجُوبيُّ من مُرادٍ ثم من حِمْيَر (تاج العروس) . *
(٤) أي : الجوهري . *
(٥) أي : الصِّدِّيق الأكبر والفاروق رضي الله عنهما . *

ودفن ليلة السبت بالبقيع في بستان رجل يقال له : كوكب ، وعمره : اثنتان وثمانون سنة ، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

وصلى عليه الزبير بن العوام ، وقيل : غيره (**ودُفن ليلةَ السبت بالبقيع**) أي : بمقابر المدينة (**في بستان رجل يقال له : كوكب**) الأنصاري (**و**)كان (**عمره : اثنتان وثمانون سنة**) على خلاف فيه[١] (**وكان ذلك**) أي : وفاةُ عثمان رضي الله عنه (**سنةَ خمسٍ وثلاثين من الهجرة**) .

ولم يُشِر المصنف هنا كما أشار في الشيخين قبله إلى باقي المناقب إجمالا ، ولعلَّه اكتفاء بما يأتي في آخِر فضائل علي رضي الله عنه .

ويكفيك في فضائله : صبرُه على تلك البلية الشديدة حتى قُتِل وفاءًا بالعهد الذي كان بيْنه وبين النبي ﷺ ، مع قدرته على الدفع عنه ، ومع أنه على الحق والهدى كما أخبَر به الصادقُ . وتوسيعُه المسجدَ للنبي ﷺ بشِرائهِ محلَّه بعشرين ألفا . وحَفرُه البئرَ ، واشتراؤه إياه بعشرين ألفِ درهم ؛ ووقفه للمسلمين ، فثوابهما له غيرُ منقطِع إلى يوم القيمة . وجمعُه الناسَ على المصحف . وأما آثاره المحمودة من كثرة الإعتاق حتى جاء : أن جملةَ ما أعتقَه : ألْفانِ وأربعُمائة تقريبا ، وكثرةُ الإنفاق مما مر وغيرُه فلا تنحصر في مثل هذا الكتاب ، فرضي عنه الملكُ الوهاب .

---

(١) وقيل : ثمان وثمانون ، وقيل : تسعون . « جامع الأصول في أحاديث الرسول : ١٢٤/١٢ » . *

ثم الأفضل بعدهم : علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، وهو أول من أسلم من الصبيان الذكور ، قيل : ثمان سنين ، وقيل : سبع سنين ، وقيل : عشر سنين .

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » .

(**ثم الأفضل بَعْدَهُم**) أي : بعد الخلفاء الثلاثة : أبو الحسن (**علي**) ﷺ (**بن أبي طالب ابن عبد المطلب**) جد النبي ﷺ ، وأمه : فاطمة بنت أسيد بن هاشم ، أسلمت وهاجرت ، كان أصلَعَ ؛ ما في رأسه إلا شعراتٌ حواليه ، آدَمَ شديد الأدمَة ، ثقيلَ العينين عظيمَهُما ، أقرب إلى الأقْصَر من الطول ، كثير الشعر ، عريضَ اللحية ، أبيض الرأسِ واللحية (**وهو أول من أسلم من الصبيان الذكور**) كما مر مع بيان صحة إسلامه (**قيل :**) كان له يومَ أسلم (**ثمانِ سنين**) ولعله سقَط من هنا شيءٌ لاخْتِلال النظم (**وقيل : سبعُ سنين ، وقيل : عشر سنين**) .

ومن مناقب علي كرم الله وجهه : ما روي (**عن سعد بن أبي وقاص**) - أحد العشرة المبشَّرين بالجنة كما يأتي - (**قال : (قال رسول الله ﷺ لعلي :)**) - لمّا خلفَه في غزوة تبوك على المدينة ، وقد قال له : يا رسول الله ؛ تُخَلِّفُني في النساء والصبيان ؟ ! - يا علي ((**« أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى »**)) عليهما السلام (« غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي »)[1] ، وفي رواية : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » عليهما السلام ، كأنه انتَقَص تركه ورائه ، فشبَّهَه بهارونَ حين استخلَفَه موسى عليه السلام عند توجُّهِ إلى الطور ؛ إذ قال له : ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ ، فتسلَّى به ، وكلمة مِن في الموضعين ابتدائية باعتبار الاتصال ، فراجع « حاشية المطول » في أول الفن الأول . ولا يَخْتلِجَنَّ في وَهمك من هذا الحديث : أن الأحقَّ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ علي كرم الله وجهه ؛ لأن الخلافةَ الخاصةَ لا تَدل على العامة كما صرحوا به ، وله وجوه مبيَّنة في محلها .

---

(١) وقال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة علي بن أبي طالب من شرح التقريب : لم يتخلف عن المشاهد إلا تبوك ، فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة ، وعلى عياله ، وقال له يومئذ : « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي » . « مواهب : ٦٢٩/١ » . *

عن سهل ابن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لَأعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ الله تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ الله تَعَالَى وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ الله تَعَالَى وَرَسُولُهُ » ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجون أن يعطيها ، فقال : « أيْنَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ ؟ » قالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : . . . .

وما روي (**عن سهل**) الأنصاري الخزرجي المدني - كان اسمه : حَزَنًا ، فسماه النبي ﷺ : سَهْلاً ، وهو آخِر مَن مات بالمدينة من الصحابة[1] - ، وقيل : هو جابر (**ابن سعد**) الساعدي[2] : ((**أن رسول الله ﷺ قال يومَ خَيبر :**)) أي : حين باشر لقتال أهلِ خيبر ، فإنه ﷺ خرج في المحرَّم سنة سبع ، وكان معه ألفٌ وأربعُمائة راجلٍ ومائتا فارس ، فأقام يُحاصِرِها بضعَ عشرة ليلة ، وقاتلَهُم أشدَّ القتال ، فأرسل عَليًّا لبعض حصونها ففتح ، وأرسل أبا بكر لبعض آخر فرجع بلا فتح ، فأرسل عمر فرجع بلا فتح ، فقال : ((« **لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ** »)) فَبَاتَ الناسُ يَتحدثون لَيْلَتَهم أيُّهم يُعْطاهَا (**فلما أصْبَح الناسُ غَدَوْا**)) أي : ذهبوا بالغداة ((**على رسول الله ﷺ**)) وهم ((**كُلُّهُم يَرْجون أن يُعطيها**)) - بالبناء للمجهول أو للفاعل ، والمفعول الثاني محذوف ؛ أي : يُعطي النبيُّ ﷺ تلك الرايةَ لهم ((**فقال : « أيْنَ عَليُّ بنُ أبِي طالِبٍ ؟ » قالوا : هو يا رسول الله يَشْتكي عَيْنَيه**)) أي : بهما رمدٌ ((**قال**)) رسول الله ﷺ : إذا كان كذلك

---

(١) مات سنة إحدى وتسعين ، وقد قيل : سنة ثمان وثمانين . قال الزهري : سمع من النبي ﷺ ، وكان له يوم وفاة النبي ﷺ خمس عشرة سنة . وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين ، وقيل : سنة إحدى وتسعين . قال ابن سعد : هو آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة ليس فيه خلاف . وقال غيره : بل فيه خلاف . رُوي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وثمانية وثمانون حديثًا ، اتفقا على ثمانية وعشرين ، وانفرد البخاري بأحد عشر . روى عنه الزهري ، وأبو حاتم ، وغيرهما . « تهذيب الأسماء واللغات : ٣٣٤/١ » . *

(٢) هو : أبو العباس ، وقيل : أبو يحيى سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي المدني . « تهذيب الأسماء واللغات : ٣٣٤/١ » . *

« فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ » ، فأتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله ؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ وقال : « أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ » .

عن البراء أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » .

((« **فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ** »)) رجلا يدعوه إليَّ ((**فأُتِيَ به ، فَبَصَقَ رسولُ الله ﷺ**)) ريقه المبارك ((**في عَيْنَيْه**) ودعا له (**فَبَرَئ**) حَتَّى (**كأنْ لم يكن به وَجَعٌ**)) - بفتح الجيم - أي : مرض ((**فأعطاه الرَّايةَ ، فقال علي : يا رسول الله؛ أُقاتِلُهم**)) معلوم مضارع قاتل ، خبر عن فَعْلِهِ الجازمِ عليه ؛ لا استفهام ((**حتى يكونوا**)) أي : أهل ذلك الحصن ((**مِثْلَنَا**)) في الإسلام ؟ فأجاب رسول الله ﷺ ((**وقال : « انْفُذْ »**)) كأنصر أي : امْضِ ((« **عَلَى رِسْلِكَ** »)) - بكسر الراء وفتحها - أي : سَيْرِك اللّيِنِ المتأنِّي ((« **حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ** »)) أي : بأرضهم وقدام ديارهم ((« **ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ**) وأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَى فِيهِ ، فَوَاللهِ لِأَنْ يَهْدِيَ اللهُ تَعَالَى بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »)) ، أي : من التصدُّقِ بكرائم النعم ، ولما غدا عليٌّ ﵁ هَرْوَلَ هرولة حتى رَكَض رَايَتَه في صخرات تحت الحِصن ، فما رجع حتى فتح الله تعالى عليه ، وعند قتالِه ضربه يهودي فطرح تُرسه من يديه ، فأخذ بابا تَتَرَّس به ، واستمرَّ يقاتل حتى فتح الله تعالى ، ومِن كِبَر ذلك الباب : أن ثمانية أرادوا أن ينقلوه فلم يستطيعوا ، وحمَل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعِدَ المسلمون عليه ففتحوها ، فجَرُّوه بعد ذلك فلم يَحمِلْه إلا أربعون رجلا .

وما روي (**عن البراء أنه قال : (إن النبي ﷺ قال لعلي : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ »**)) كناية عن شدة الاتصال بينهما .

ومن فضائله : أنه قد تزوج سيدة نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها بنت سيد المرسلين محمد ، وأنه بحر العلوم والفنون كما قال رسول الله : « أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا » .

وأنه أحرز رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين اتفقت قريش على قتله ، . . . .

ومناقبه كثيرة شهيرة حتى قال الإمام أحمد : ما جاء لأحد من الفضائل مثلُ ما جاء لعلي رضي الله عنه ، وسبب ذلك : أن الله تعالى اطلع نبيَّه على ما يكون بعده مما ابتُلي به علي كرم الله وجهه ، فاقتضى ذلك نَصْحَ الأمة بإشهار تلك الفضائلِ لتحصيل نجاة المتمسِّكِ به .

(و)ناهيك (من فضائله : أنه قد تزوج سيدةَ نساء العالمين فاطمة) ثبَّتَت سيادتها لهنّ ولنساء أهل الجنة بنصوص صريحة (رضي الله عنها بنتَ سيد المرسلين محمد) ﷺ ، ومر في أول الكتاب تفصيلُ تزوُّجِها مع بعض فضائلها ؛ فراجعه[1] .

(وأنه بحر العلوم والفنون) أي : الجامع لأنواعها (كما قال رسول الله) ﷺ : (« أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ») وفي رواية : « فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ » ، ولذا قالوا : لم يكن أحد من الصحابة يقول : سَلوني إلا علي . وقال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمَ نزلت ؟ وأين نَزلت ؟ وعلى من نزلت ؟ إن ربي وهب لي قلبًا عقولا ، ولسانًا ناطقًا . ومن ثمة قال : لو كُشفَ الغِطاءُ ما ازددتُ يقينا .

(و)ناهيك أيضا منها : (أنه) كرم الله وجهه (أحرز رسول الله ﷺ بنفسه) في « القاموس » : حَرَزَهُ - حَفِظَه أو هو إبدالٌ ، والأصل : حَرَسَه ، وحَرَّزَه تَحْريزا : بَالَغ في حِفْظِه ، وأحرزت فَرْجَها : أَحْصَنَتْه ؛ انتهى (حين اتفقت قريش على قتله) يعني : أن قريشا لمَّا بلغَهُم أن أمْر رسول الله ﷺ قد ظهر بالمدينة اجتمعوا في

---

(١) إلى : صـ ٧٠ .

فأخبر جبرائيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : « نَمْ عَلَى فِرَاشِي ، وَاتَّشِحْ بُرْدِي هَذَا الأَخْضَرِ ، فَنَمْ فِيهِ » ، . . . .

دار الندوة[1] ، فجائهم إبليسُ – عليه اللعنة – في صورة رجل نجدي[2] وأظهَر لهم أنه يريد نَصْحَهم ، وأمرهم أن يَعْرِضوا عليه آرائهم ليَختار أنفعَها لهم ، فقيل : نُحْبِسُه ، فقال : قد يَنتَزِع منكم ، فقيل : نُخرجه ، فقال : يأتيكم بما لا طاقةَ لكم به ، فقال أبو جهل : أُرى أن تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويًّا ، ثم تُعطوهُم شِفارًا فيَضرِبُه كلُّ ضَربةً ، فيَتفرَّق دَمُه في القبائل فلم يَقدِر أهلُه على حرب قومهم ، فيأخذوا دِيَتَه ، فقال إبليس : لله تعالى درك ، هذا هو الرَّأي ، فاجمعوا عليه (**فأخبر جبرائيل** عليه السلام **النبي** ﷺ **بذلك**) وقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك التي كنت تبيت عليه ، فاجتمعوا في تلك الليلة ببابه يَرصدونه حتى ينام فيَثبوا عليه (**فقال رسول الله** ﷺ **لعلي بن أبي طالب : « نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَاتَّشِحْ »**) من الوشاح أي : ألْبس (**« بُرْدِي هَذَا الأَخْضَرِ »**) وغَطِّ به ، والبُرد : بالضم – ثوبٌ مُخَطَّط ، جمعه : أبرادٌ ، وأكسِيَةٌ يُلتَحَف بها ، الواحدةُ بهاء ؛ « قاموس » (**« فَنَمْ فِيهِ »**) أي : البرد « فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ لَكَ شَيْءٌ تُكرِهُهُ مِنْهُمْ »

---

(١) وهي : دار بناها قصي بن كلاب ، وجعل بابها إلى الكعبة ليجتمع فيها العرب للمشاورة .

(٢) إنما قال لهم : إني من أهل نجد ؛ لأنهم قالوا : لا يدخلنَّ معكم في المشاورة أحد من أهل تِهامة ؛ لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثّل لهم في صورة شيخ نجدي ، وفي بنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدي أيضا ؛ حين حكموا رسول الله ﷺ في أمر الركن مَن يرفعه ، فصاح الشيخ النجدي : يا معشر قريش : أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم ؟ فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا ، وذلك : أن نجدا منها يطلع قرن الشيطان ، كما قال رسول الله ﷺ حين قيل له : وفي نجدنا يا رسول الله ؟ قال : « هُنَالِكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ ، وَمِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » ، فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر : أنه نظر إلى المشرق فقال : « إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » ، وفي حديث ابن عمر : أنه حين قال هذا الكلام ووقف عند باب عائشة ونظر إلى المشرق فقاله ، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظرا إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واضمم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفِتَن : « أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ » ؛ والله أعلم . « الروض الأنف : ٢/٣٠٦–٣٠٧ » . ❊

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله تعالى على أبصارهم فلا يرونه .

(**وخرج رسول الله ﷺ وقد أخذ الله تعالى على أبصارهم فلا يَرونَه**) ويروي : أنهم كلهم ناموا ، ولم ينم إبليسُ مدةَ عُمرهِ إلا تلك الليلةِ ؛ والله أعلم ، ونثَر على رؤوسهم كلِّهم ترابا كان في يده وهو يتلو : ﴿يسٓ﴾ إلى ﴿لَا يُبۡصِرُونَ﴾[1] ، ثم انصرف حيث أراد ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ما تَنتظِرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : قد خَيَّبكُم الله تعالى ؛ قد والله خرَج محمدٌ عليكم ، ثم ما تَرك منكم رجلا إلا وضَع على رأسه ترابا ، فوضع كلُّ يدَه على رأسه فإذا عليه تراب ، وصح : أنه ما أصاب أحدا منهم ترابا إلا قتل كافرا ، وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية[2] ، وفي ذلك يقول علي كرم الله وجهه :

وَقَيْتُ بنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... ومَنْ طَافَ بالبَيْتِ العَتِيقِ وبالحَجَرِ

رَسُولُ إلهٍ خَافَ أنْ يَمْكُرُوا بِهِ ... فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الإلَهُ مِنَ المَكْرِ

وحسبك أيضا من مناقبه : أنه لم يَعْبد وثنا قطُّ ، ومن ثمة يقال فيه : كَرَّمَ الله تَعَالَى وَجْهَهُ ، وألحِقَ به : الصديق ؛ لما أنه لم يعبد صنما . وأنه رُدَّ الشمس له ليصليَ العصرَ لمَّا غَرَبت ورَأس رسول الله ﷺ في حجره والوحيُ يَنزل عليه . وإنه تقدَّم إسلامُه حتى روي : أنه بعِث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلم يوم الثلاثاء كما مر . وأن رسول الله ﷺ لمَّا أخى بين أصحابه أخى بينه وبين علي رضي الله عنه بقوله : « أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » ، وغير ذلك مما لا مَطمعَ لحصره كما بيَّنه أهل سيره . وأعلى من ذلك كلِّه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه نُزلت في علي ثلاثُمائة آية . وشجاعتُه ، وعلمه ، وكرمه ، وحلمه ، وأخلاقه الحسنةُ ، وشيَمه المرضية معروفةٌ لمن رامها ؛ مشهورة لمن حامها .

---

(١) سورة يس : الآيات ١-٩ .
(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

وهو : الخليفة الرابع على التحقيق ، ومدة خلافته : أربع سنين وتسعة أشهر .

واستشهد من طعن عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة ،

(**وهو : الخليفة الرابع على التحقيق**) لأنه كان قد انحَصر الأمرُ في عثمانَ وعلي ، فبعد وفاة عثمان لا يَتجاوز عن عليٍّ ، وقد ثبتتْ خلافته بإجماع أهل الحل والعقد من كبار المهاجرين والأنصار على إمامته (**ومدة خلافته : أربعُ سنين وتسعةُ أشهر**) وثمانيةُ أيام ، وقال الجلال الدواني[١] : ستُّ سنين ؛ والله أعلم .

(**واستشهِد**) على رأس الثلاثين من وفاة رسول الله ﷺ ، فتمَّ نِصاب الخلافة على ما قال رسول الله ﷺ : « الخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يَصِيرُ مُلْكًا عَضُوضًا » ، وقيل : إن الثلاثين إنما يتم بخلافة أمير المؤمنين حسن بن علي رضي الله عنهما ستة أشهر بعد وفاة علي رضي الله عنه ، والمراد بالخِلافة في الحديث : الكاملةُ ، فلا ينافي تسميةُ مَن بعدَهم خليفةً (**مِن طعنِ**) أي : ضرب (**عبد الرحمن**) اللعين « أشْقَى الآخِرِينَ ، كَمَا أَنَّ أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ نَاقَةِ صَالِحٍ عليه السلام »[٢] (**بن ملجم المرادي**) ومُراد : أبو قبيلةٍ من اليمن ، بسيف مسموم في جبهتِه ، فأوْصلَهُ دماغه فمات شهيدا (**بالكوفة صبيحة الجمعة**) أي : لما خَرَج ليلة الجمعة لصلاة الصبح[٣] ،

---

(١) هو : محمد بن أسعد الصديقي الدواني الشافعي ، جلال الدين ، فقيه ، قاض ، متكلم ، باحث ، حكيم ، منطقي ، مفسر ، مشارك في علوم . من تصانيفه : « تعريف العلم » ، « تفسير سورة الكافرون » ، « أنموذج العلوم » . ولد سنة ٨٣٠ هـ في دوان (من بلاد كازرون) ، وسكن شيراز ، وولي قضاء فارس ، وتوفي سنة ٩١٨ هـ في دوان .

(٢) قال علي : قال لي رسول الله ﷺ : « مَنْ أشْقَى الأوَّلِينَ ؟ » قلتُ : عَاقِرُ النَّاقَة ، قال : « صَدَقْتَ » ، قال : « فَمَنْ أشْقَى الآخِرِينَ ؟ » قلتُ : لا عِلْمَ لي يا رسول الله ، قال : « الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا » – وأشار بيده إلى يَافُوخِه . وكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه من هذه ؛ يعني لحيته من دم رأسه . « أسد الغابة : ٤/١٢٦-١٢٧ » . *

(٣) بعد أن استيقظ سحرًا وقال للحسن رضي الله عنه : إنه رأى النبي ﷺ الليلة ، فشكا إليه ما لقي ، فقال له : « ادْعُ عَلَيْهِمْ » فدعا أنه يبدل خيرًا منهم ، وأنهم يبدلون شرًا منه ، وأكثر في تلك الليلة من الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، وإنها لليلة التي وعدت . « منح : صـ ٥٠٩ » . *

لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، سنة أربعين من الهجرة ، ومات بعد ثلاث ليال من ضربته ، وقال الحافظ أبو نعيم : دفن ليلا وأخفي قبره .

وله من العمر : ثلاث وستون سنة ، وسن أبي بكر كذلك ، وعمر كذلك ، وعائشة كذلك ، وسيد الثقلين المصطفى صلى الله عليه وسلم كذلك . . . . .

وكان يُكثِر تلك الليلة[1] من الخروج والنظر إلى السماء ويقول : إنها التي وُعدت له (**لسبع عشرة ليلةً خلت**) أي : مضت (**من رمضان**) وكان يُفطِر فيه ليلة عند الحسن وليلةً عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر ، ولا يَزيد[2] على ثلاثِ لُقَمٍ ويقول : أحِبُّ أن ألقى الله تعالى وأنا خميصٌ (**سنةَ أربعين من الهجرة ، وماتَ بعد ثلاثِ ليالٍ مِن ضربته**) والمشهور : أنه مات ليلة الأحَد ، وصلى عليه الحسنُ وكبّر عليه سبعا (**وقال الحافظ أبو نُعَيْم : دُفن ليلا وأخفِيَ قبره**) بدار الإمارة بالكوفة أو بالقرى موضع يُزار الآن أو بين منزِله والجامع الأعظم ، أقوال ، أي : لئلا تنبشه الخوارج . وقال شريك : نقلَه ابنُه الحسن إلى المدينة .

وأما اللعين ابن ملجم : فحُبس وأتي به إلى علي رضي الله عنه فنظر إليه وقال : النفسُ بالنفس ، إذا متُّ فاقتلوه كما قتلني ، وإن سلِمْتُ رأيت فيه رأيي ، فأمسك وأوثق ، ثم قُطعت أطرافه وجعل في قَوْصَرَة وأحرَقوه بالنار ، وقيل : غير ذلك[3] .

(**و**)كان (**له**) حين مات (**من العمر : ثلاثٌ وستون سنة**) وقيل : غيرُ ذلك (**وسِنُّ أبي بكر كذلك ، وعمر كذلك ، وعائشة كذلك ، وسيد الثقلين**) محمد (**المصطفى ﷺ كذلك**) كما تقدم كل ذلك .

---

(١) أي : الليلة التي ضرب صبيحتها . « إنسان : ١٧٦/٢ » . *

(٢) أي : في أكله . *

(٣) ذكر بعضهم عن المبرد : قال ابن ملجم لعلي رضي الله عنه : إني اشتريت سيفي هذا بألف ، وسممته بألف ، وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه ، فقال علي : قد أجاب الله دعوتك ، يا حسن ؛ إذا أنا مت فاقتله بسيفه ، ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته ، وقد ذكر أنه قطعت أطرافه وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار . « إنسان : ١٧٧/٢ » . *

ومناقب الصحابة كثيرة لا يكاد يصفها واصف في هذا المختصر .

وأما العشرة المبشرون بالجنة : طلحة ، . . . .

(**ومناقب الصحابة كثيرة لا يكاد يصفها واصفٌ في هذا المختصر**) وأن ما ذكرنا فبضاعةُ القناعة ، فإن أردتَ الإحاطة فعليك بالكتاب المذكور[١] وغيرِه من كتب السير .

(**وأما العشرة المبشرون بالجنة**) أي : بشرَهم النبي ﷺ بأن لهم الجنة ، والمبشَّرون بها أكثر ، لكن المشهورين بالتبشير هؤلاء العشرة ، لشهرة حديثهم الجامع لهم ، وهو ما رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ »[٢] إلى آخِرِ ما ذَكَرَه . والمصنف ذكر الخلفاء الأربعةَ آخرا على عكس الحديث ، ولو قال : وباقي العشرة إلخ ، وعد ستَّتَهم لكان أخصر وأوضح ، فأسماء الباقين :

(**طلحة**) - ولعل عدمَ الفاء إما لأنه كان فيه الفاءُ فسقِط من القلم ، أو أن كلمة أما غيرُ موجودة في أصل الكتاب ، أو على قولِ عدمِ لزوم الفاء في جواب أما كليًّا - ، وهو : أبو محمدٍ بن عبيد الله - بالتصغير - القريشي التَّيمي ، أسلم على يد أبي بكر ، وسماه النبي ﷺ : « طَلْحَةَ الْخَيْرِ » ، و« طَلْحَةَ الْفَيَّاضُ » ، و« طَلْحَةَ الْجُودِ » .

فكان من جوده : أنه باع أرضا بسبعمائة ألف ؛ فلم يَنَم حتى فرقها على فُقراء المدينة خوفا من حِسابها ، وجاءه رَحِمٌ له يسأله برَحمِه ؛ فأعطاه ثلاثَمائةَ ألفٍ ، وكان يُرسِل إلى عائشة في كل سنة عشرةَ آلاف درهم ، وتصدق في يوم بمائة ألف ؛ ثم لم يَجد ثوبا يَذهب فيه إلى المسجد يصلِّي فيه .

---

(١) أي : « الصواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة » ، لابن حجر الهيتمي .

(٢) = « وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْد بن عَمْرُو فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ » . *

وزبير ، وسعد ، . . . .

وثبت مع النبي ﷺ يوم أُحد ، وقال له[١] : « أَوْجَبَ طَلْحَةُ »[٢] ، وبايعَه على الموت ، ووقاه بنفسه ، وأُجِيبَ[٣] ، يومئذ به بضعٌ وسبعون بين طعنة وضربة ورمية ، وشهد المَشاهِدَ كلَّها غيرَ بدر ؛ لأنه كان أرسله لتَفَحص عير قريش . قتل يومَ الجمل وهو واقف في آخِرِ الصفوف ، سنةَ ستٍّ وثلاثين عن أربعَ وستين سنةً على الأشهر ، ودفن بالبصرة[٤] ، وَجُوده وشجاعته مشهورة ، فرضي الله تعالى عنه .

(و)أبو القَرْم حَواري رسول الله ﷺ[٥] عبد الله (زبير) بن العوام القريشي ، وأمه : صفية عمَّةُ رسول الله ﷺ . أول من سلَّ سيفا في سبيل الله ، وشهد المشاهد كلها ، وما وَلِّيَ إمارة قط ، ولا جِباية ولا خراجا ولا شيئا ، وما خلَفَ دينارا ولا درهما مع كثرة ماله ، وقد كان له ألفُ عبدٍ يؤدون إليه الخراجَ في كل يوم ، فيَتصدَّق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم . قتل كطلحة يوم الجمل[٦] وهو نائم ، وعمرُه : سبعٌ وستون سنة على الأشهر .

(و)أبو إسحاق (سعد) بن أبي وقاص مالك القريشي الزهري ، وهو ثالث الإسلام ، وأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ، وأول من أَراق دمًا في سبيل الله ، وشهِد المَشاهِدَ كلها مع رسول الله ﷺ ، ورمى يومَ أُحُدَ ألفَ سهم ، وكان رسول الله ﷺ يُناوِلُه النَّبْلَ يومئذ ويقول : « ارْمِ فِداكَ أَبِي وَأُمِّي » . وقَطَع

(١) أي : صلى الله عليه وسلم . *

(٢) أي : وجبت له الجنة . « منح : صـ ٥٩٣ » . *

(٣) قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون : هنيئًا لك يا أبا إسحاق ؛ أجيبت دعوتك . « منح : صـ ٥٩٤ » . *

(٤) وجاءه علي ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : رحمة الله عليك أبا محمد ؛ يعز علي أن أراك مجدلا . « منح : صـ ٥٩٤ » . *

(٥) وصح : أنه لما اشتد الخوف يوم الأحزاب ندب ﷺ مَنْ يأتيه بخبر عصيان بني قريظة ، فقال : أنا ، فأعاد ، فقال : أنا ، فأعاد ، فقال : أنا ، فقال ﷺ : « إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ » . « منح : صـ ٥٩٥ » . *

(٦) في جمادي الأولى سنة ست وثلاثين . « منح : صـ ٥٩٦ » . *

وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، . . . .

بجيوشه البحرَ على ظهور الخيل ، لم يبلغ الماءُ منها إلى حُزُمها . واعتزل الفتنةَ بعد قتلِ عثمان ﵁[1] ، وكان مُجابَ الدعوة . وتوفي سنةَ خمسٍ وخمسين عن تسعٍ وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وهو آخر المهاجرين موتا .

(**وسعيد**) بن زيد بن عمرو القرشي ، شهد المشاهد كلها ، وهو ابنُ عمِّ عمرَ ، وزوجُ اختهِ ، والسببُ في إسلامه ، وكان كسعدٍ مجابَ الدعوة . وتوفي سنةَ خمسين عن بضعٍ وسبعين سنة ، ودفن بالمدينة . وهذا ومَن قبلَه من أكابر الأصفياء ، كيف وفي اسمَيْهِما ما يُشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة ؟ !

(**وعبد الرحمن بن عوف**) القرشي الزهريُّ ، أسلم قديما على يد أبي بكر ، وصح : أن رسول الله ﷺ ائْتَمَّ به في غزوة تبوك ، وصلى ورائه ركعة من صلاة الصبح . وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره ، وأما أبو بكر فأخرج نفسَه عن الإمامة لِما إئْتم به رسول الله ﷺ كما تقرر .

وكان كثيرَ الإنفاق في سبيل الله ، أعتق في يوم واحد أحدًا وثلاثين عبدًا ، حتى جاء : أن جملة ما أعتقَه ثلاثون ألفا ، وتصدَّق في يوم واحد : سبعَمائةِ راحلةٍ بأحْمالِها وأقتابها وأحلاسها ، وتصدَّق أيضا على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله : أربعةِ آلافِ دينارٍ ، ثم أربعين ألف دينار ، ثم بمثلها ، ثم بخمسِمائةِ فرس ، ثم بخمسمائة راحلةٍ . وكان أهل المدينة عيالا عليه : ثلثٌ يقرضهم ، وثلث يَقضي ديونَهُم ، وثلث يصلهم . توفي عن اثنين أو خمسٍ وسبعين سنةً ، سنةَ اثنين وثلاثين من الهجرة ، وصلى عليه علي ﵁ ، وترك من الذهب ما جاء رُبْعُ ثمنه ثمانين ألفَ دينار .

(١) = فلم يدخل فيها ، ولم يحضر شيئا من تلك الحروب . « منح : صـ ٦٠٠ » . ❊

وأبو عبيدة بن الجراح .

كلهم في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

(**وأبو عبيدة**) عامر (**بنُ الجراح**) القرشي الفهري ، أمين هذه الأمة ، أسلم على يد أبي بكر ، وشهد المَشاهِد كلها ، وثبت يوم أحد مع النبي ﷺ ، ونزع يومئذ بأسنانه حَلْقتين دخلتا في وَجْنَةِ رسول الله ﷺ من حِلَق المِغفر ، فوقعت ثَنِيَّتاهُ . فكان من أحسن الناس هَتَمًا ، والهتم : إلقاء مقدَّمِ الأسنان .

وناهيك من مناقبه : أنه لمَّا تعرَّض له أبوه يوم بدر فأعْرض عنه ، فلازمه ، فلما أكثرَ عليه قتلَهُ ، فأنزل الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ الآية[١] ، وله فتوحات كثيرة ووَقَعات هائلة . توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون[٢] ؛ رضي الله عنه .

فهؤلاء الصحابة (**كلهم في الجنة ، و**)كذلك (**أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، رضوان الله**) تعالى علينا و(**عليهم أجمعين**) .

واعلم : أن مِن معتقداتنا : أن نشهَد بالجنة للعشرة الذين بَشَّرهم النبي ﷺ بالجنة أي : بأنهم يكونون في الجنة ، وأن نشهد بها أيضا : لفاطمةَ ، والحسنِ ، والحسين رضي الله عنهم ، لما صح : « أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ، و« أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ، وكذا : لمن صح فيه البشارة . وأن لا نَشهدَ بالجنة والنار لأحدٍ بعينه ؛ إلا لمن أخبَر النبي ﷺ أن له أحدَهُما ، وأن نقول : المؤمنون من أهل الجنة والكافرون من أهل النار .

---

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٢) شهيدا بالطاعون : في طاعون عَمَواس – قرية بين الرملة وبيت المقدس – أول ما وقع بها ، ثم انتشر بالشام ، وقبره معروف . « منح : صـ ٦٠٦ » . *

. . . .

وإنهم أنشدوا في جمع أسماء العشرة أبياتا شتى ، فنُقلت منها ما وافق ترتيبَ الخلفاء وهو :

صِدِّيقُهُمْ ، عُمَرُ الفَارُوقُ ، أحْزَمُهُمْ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ مُهْلِكُ الفَجَرَةِ
سَعْدٌ سَعِيدٌ زُبَيْرٌ طَلْحَةٌ وَأبُو عُبَيْدَةٍ وَابنُ عَوْفٍ عَاشِرُ العَشَرَةِ

فإن قلتَ : المبشرون بالجنة وكذا الأنبياء والملائكةُ هل يَخافون ولا يَأمنون المكرَ ، أو لا يخافون ويأمنونَه ؟ قلنا : الأمنُ مِن مكر الله ، وعدمُ الخوفِ لا يَتَصوَّر مِن أمثالِهِم ؛ لأن الخوف على حسب العِلم والمعرفة ، فالنبيون في أعلى مقام من المعرفة ، وكذا الملائكةُ ، بل كمالُ ذلك المقام لنبينا محمد ﷺ ، فهو أعلمُهم وأتقاهم وأخوفُهم من الله تعالى . وكذا التبشير بالجنة لا يَلزمُ منه الأمنُ من البعد عن كمال القُربِ ؛ وإنما اللازم الأمنُ منَ النار على أن الوعدَ لا يمنع الدهشةَ والحيرة والخوف عند الصدمة الأُولى ، ومن ثمة كانوا خاشعين خائفين من سوء العاقبة ، سائلين العافية لاحْتمالاتٍ باقيةٍ ؛ والله أعلم .

واعلم : أن المصنف لم يُرتِّب الفضلَ إلا بين الخلفاء الأربعةِ ، فلا علينا أن نُشير إلى ترتيب مَن ولِيَهُم على ما صرحوا به . فالذين يلون للخليفة الرابع : أولئك الستة المذكورون ، ولم أظفَر بنقل من أيُّهُم أفضل إلا بما في « المناوي »[1] من تقديم طلحةَ والزبير على البقية . ثم بعدهم تلي : مرتبةُ أهل بَدر أي : أصحاب غزوة بدر ، استشهد فيها أو لا ، وعددهم : ثلاثُمائةٍ وبضعةَ عشر من الإنس ، وأما من الجن : فسبعون ، ومن الملائكة : ثلاثةُ آلاف . ثم بعدهم تلي : أهلُ غزوةِ أُحُد ، وهم : سبعمائة . ثم تلي : أهل بيعة الرضوان ؛ وقد مر بيانهم . ثم تلي : مرتبة باقي الصحابة على ما علم الله تعالى فيهم ،

---

(١) وهو كتاب « فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » ، لعبد الرؤوف المناوي .

. . . .

وانظر من شهِد المشاهدَ كلَّها هل باعتبار البَقيَّة يفضُل أو باعتبار الوصف ، فراجع « شرح الجوهرة »[١] .

ولا علينا أيضا بأن نُشير إلى مناقب العمَّيْن الشريفين ، والسبطين المنيفين ، تتميما لمناقب الأفاضِلِ ومآثرِ الأماثل . أما الأوَّلانِ : فهما نَيِّرا فلك المجد ، وصِنْوا أبِ النبي ﷺ ، السيدان : حمزة والعباس ، وكلٌّ منهما أسنُّ من النبي ﷺ بنحو السنتين .

أما حمزة : ويكنى : أبا عمارة ، ويلقب : بأسد الله تعالى وأسدُ رسول الله ﷺ . فكان عظيما شجاعا ، أخا النبي ﷺ من الرضاعة ، أسلم قديما ، وهو أول من اتخذ له رسولُ الله ﷺ لواء[٢] .

واستشهِد بأُحُد ثالثَ سِنِي الهجرة – وهو ابن تسع وخمسين – بعد أن قتل أحدًا وثلاثين كافرا ، قتله وحشي عبدٌ لعقبة[٣] ، قال : رَأيتُه يَهُدُّ الأبطال هدًّا ، فاختفيت منه ، فلما تمكنت منه رميته بحَرْبَتي فأصابتْه ، ووليت هاربا ، فتبعني ثم سقط . وبعد ذلك أسلم وحْشي هذا ، فقبِلَه رسول الله ﷺ وقال له : « غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي » ؛ أي : خشية أن يُصيبَه منه شيءٌ إذا تذكر قتلَه لحمزة .

ولما رأى النبي ﷺ حمزة ﷺ قتيلا بكى ، ولمّا رأى ما مثل به شهق وقال : « لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا ؛ إِذْ مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا أَغْيَظَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا » ، ووضعه في القبلة ، ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يَغشى عليه يقول : « يَا حَمْزَةُ ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ ، يَا أَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ ، يَا حَمْزَةُ ، يَا فَاعِلَ الْخَيْرَاتِ[٤] ، يَا

(١) وهو كتاب « هداية المريد لجوهرة التوحيد » ، لإبراهيم اللَّقاني .
(٢) أي : حين بعثه إلى سيف البحر – بكسر السين المهملة – أي : جهته . « منح : صـ ٦٠٨ » . *
(٣) أي : السلمي . *
(٤) أي : يَا حَمْزَةُ . *

. . . .

كَاشِفَ الْكُرُبَاتِ ، يَا حَمْزَةُ ، يَا ذَابُّ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ » . ودفِن هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبرٍ واحد بأُحُد ، وقبره معروف يزار ويتبرك به .

وأما العباسُ : وكنيته : أبو الفضل ، فكان جليلا جوادا ، ذا رأيٍ وكمال عقل ، معظَّما بين الصحابة وعند رسول الله ﷺ ، رَئيسا في قريش قبل الإسلام . وإليه عِمارة المسجد الحرام وسقايته . وكان رسول الله ﷺ يَثِقُ به في أمرِه كله ، أسر ببدر ، وأسلم سرًّا إلى قبيلِ فتحِ مكةَ ، فخرج إلى النبي ﷺ ، وبه خَتَمت الهجرة ، فأول مهاجر عثمان مع زوجته رقية ، وآخِرُه العباس ، وشهد مع رسول الله ﷺ حنينا ، وثبت معه حين انهزَم الناسُ . وكان عمر رضي الله عنه يستسقي به الغيثَ إذا قحط الناسُ . وفضائله غيرُ مُنحَصِرةٍ في مثل هذا المختصر .

توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وله نحو : من ثمانٍ وثمانين ، وقبره مشهور بالبقيع يزار ويتبرك به ، ودَخل قبره ابنه عبد الله الذي يسمى : بتَرْجُمان القرآن ، وأبي الخلفاء ، صاحب الفقه الكثير ، والعلم الغزير ، ربَّانِيُّ هذه الأمة ، كاشفُ المسائل المُعْضِلَةِ ، توفي بالطائف وعلى قبرِه من الإحترام ما يليق بمقام ذلك الإمام . وكان العباس أصغرَ أعمامِه ﷺ ، ولم يُسْلِم منهم إلا هو وحمزة ، وأسنهم الحارث .

وأما الأخيران : فهما الريحانتان ، الطيِّبان أصلا وفرعا ، الشهيدان : الحسن والحسينُ رضي الله عنهما ابنا علي المرتضى وفاطمةَ الزهراء رضي الله عنها .

أما الحسن : فهو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده[1] ، وولي الخِلافةَ بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فأقام بها ستةَ أشهر وأياما ، خليفةَ حقٍّ وإمام صدق وبعد ذلك الأشهر سار إلى معاوية ليَنْزَعَ منه الشام في أربعين ألفا ، وسار إليه معاوية ، فلما تراءى الجمعان عِلمَ الحسن أنه لن يَغلِب إحدى الفئتين حتى

(١) = ﷺ بقوله في الحديث الصحيح : « الْخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً » . « منح : صـ ٥١٦ » . ※

. . . .

يَذهَبَ أكثر الأخرى ، فبايع معاويةَ على شروط وصالَحه ، وسلَّمَ الأمر إليه على مقتضى قول جده ﷺ : « إِنَّ ابْنِي هَذَا » أي : الحسنَ « سَيِّدٌ ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ تَعَالَى بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وكان سيدًا ، حليما ، كريما ، زاهدا ، ذا سكينة ووقار ، جوادا ، وحج خمسا وعشرين حجةً ماشيا ، وإن النَّجائِبَ لَتُقادُ بين يديه . وكان كثير التزوج والطلاق حتى أنه أحصنَ تسعين امرأةً ، وقيل : إنه تزوج في حياة أبيه سبعَمائةِ امرأةٍ ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تُحِبُّه .

ولد سنة ثلاثٍ من الهجرة ، وتوفي مسموما - من يد زوجته جَعْدَة الكندية بإرْشاء يزيد بن معاوية لها - سنة تسعٍ وخمسين على قول الأكثر ، ودفن بالبقيع إلى جَنْبِ أمِّه . ولا مَطْمَعَ لاستيفاءِ سيرهِ الجميلة وشيَمهِ الجليلة ، فمن لم يَبُلَّ غليلَ صدره فليَرْجع إلى آثار سيره ؛ ممَّنْ تَصدَّى لسَبْره .

وأما الحسين : فهو السيد الجليل تقوًى ، وزهدى ، وعبادة ، وعلما ، ومعرفة . وفضائله لا تُحصى ومناقبُه لا تُستقصى . ولد سنة أربع من الهجرة ، وقتل شهيدا بكَرْبَلاء يومَ عاشوراء سنةَ ستين ، وقبرُه به معروف يزار ويتبرك به ؛ هذا .

وقد أعرضنا عن نقل أخبار قتله ؛ لأنه في مَعْرِضِ الخَطَرِ حتى قال الغزالي رحمه الله[1] : يَحرُم للواعظ وغيرِه روايةُ قتلِ الحسين وحكاياتِهِ أي : لأنه لا يُؤمَن على مَن ليس بمتبحِّرٍ في علم أحوال الصحابة من بُغضِهم والطعن فيهم مع أنهم أعلام الدين وأسرار اليقين ، فكما يحرم الإفتاء في أقوال الأنبياء وأفعالهم لمن لم يَحُطَّ بأحوالهم ؛ فكذلك في الصحابة المُكْرَمين رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، أبو حامد ، حجة الإسلام ، إمام أئمة الدين ، وهادي دعاة المسلمين ، أخذ الفقه عن إمام الحرمين أبي المعالي الجُوَيْني ، ولقي العلماء ، والمشايخ ، والزُّهاد ، وأصحاب الطريقة ، وبلغ من الدنيا والجاه ما لم يبلغه أحد من العلماء والفضلاء ، ثم ترك الجميع زهدا فيه ورغبة فيما عند الله ، فبلغ في ذلك درجة عالية ورتبة وافية . من أشهر كتبه : « إحياء علوم الدين » ، « الإقتصاد في الإعتقاد » ، « مقاصد الفلاسفة » . ولد سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

فصل في بيان المذاهب الأربعة وأربابها

اعلم: أن الأئمة الأربعة على الحق والصواب، ومذاهبهم مناهج إلى السعادة، ومسالك إلى الجنة، ....

فصل

(في بَيان) صِحَّة (المَذاهب الأربعة و)بَيان (أربابِها)

أي: أصحابها الأربعةِ: الشافعي إمامِنا، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد رضي الله عنهم، وبيانِ بعضِ مناقبهم.

(**اعلم: أن الأئمةَ الأربعةَ**) - وكذا غيرهم ممن يُقتدى به في الدين - كانوا (**على الحق والصواب**) وحاشاهم أن يكونوا على باطل بعد أن شربوا من كُؤس تَسْنِيم سيد الرسل، وبعد أن ذاقوا حلاوة حقائق معاني الكتاب المُنْزَلِ.

فيجب على كل أحد أن يَعتقِد: أنهم على هدى من ربهم ظاهرا وباطنا، ولا يفضل بعضهم على بعض تفضيلا يؤدي إلى نقصٍ وسقوط، ولا يُفْرَق بين أحدٍ منهم كما لا يُفرَقُ بين أحدٍ من الرسل وإن تفاوتوا، فإن العلماء ورثةُ الرسل، كيف وهم لم يَأخُذوا العلمَ إلا من كشفٍ صحيح مُوافق للحقيقة، فأنَّى يَخْطو إليهم خطأ، وهم أيضا وسائطُ بينَنَا وبين الشارع، فالطاعنُ فيهم مطعون كما أن الصحابة كذلك وسائط بينَهم وبين الشارع، فكما يَجب الإمساك عما جرى بين الصحابة يجب بين الأئمة، فهم هداة البرية من الإنس والجنّةِ، ونواب عن سيد الخليفة (**و**)أن (**مذاهبهم مناهج**) أي: طرائق (**إلى السعادة**) الأبدية (**ومسالكُ إلى الجنة**) أي: كلُّ مَن سلك في العمل بتَمَسُّك مذهب واحد منهم باعتقاد صحيح يَصل إلى الجنة.

وقد مَثّل العارف الرباني عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الميزان»: لأبواب الجنة الثمانية فصوَّرها بمسالك المذاهب الثمانيةِ: الأربعةِ المستعملة،

فبأيهم اقتدى اهتدى ، ومن قلد واحدا منهم فقد خلص ونجى ؛ لأنهم هداة الأمة ومن أهل الجنة ، ومن قال : مذهبنا حق وصواب والبواقي خطأ ؛ فهو أخطأ وأضل ، يعزر عليه بالأدب الشديد والسجن المزيد ، ويخشى على من ظن عليهم بسوء سوء الخاتمة ، وشر العاقبة .

والأربعةِ المُندرِسَة أي : مذاهبُ الأئمة : داود ، والليث ، وإسحاق ، والأوزاعي ﷺ ، وقال : كلُّ مَن عمِل بمذهب منها خالصا أوصله الله تعالى إلى باب الجنة ، وكذلك صوَّر لِقُباب الأئمة الأربعة ، الأول : عند قبة نبيِّنا عليه السلام في الجنة ، على وَفْقِ ما كشفَه الله تعالى له ، وكذا صوّر لاغتراف جميعهم من عين الشريعة ، ولشفاعتِهِم لِمُقَلِّديهم عند الصراط والميزان ، فراجعه إن شئت كشف الحال ، فإنه كتاب لا يُعرَف له مثال .

إذا كان الأمر كذلك (**فبأيِّهم اقتدى**) شخص في العمل فقد (**اهتدى**) إلى صراط مستقيم (**ومن قلَّد واحدًا منهم**) في جميع أعماله أو بعضها بشرطه (**فقد خَلَص**) من العقاب (**ونَجى**) من العذاب (**لأنهم هداة الأمة**) جمع هاد (**و**)أنهم (**من أهل الجنة ، ومن قال : مذهَبُنا حقٌّ وصواب و**) المذاهب (**البواقي خطأ ؛ فهو أخطأُ وأضَلُّ**) لأنه يَجب عليه أن يقول : كلُّ مُجتهِدٍ مُصِيبٌ ؛ لأن المجتهدين هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة في علوم الوحي ، فكما أن النبي ﷺ معصوم ؛ كذلك وارِثُه محفوظ من الخطاء في نفس الأمر ، وأما حديث : « مَنْ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَمَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » ، فالمراد : الخطأ بغير مُصادَفَةِ دليلِه ، لا في نفس الأمر ؛ كما صرح به الشعراني ، فنصوص المجتهدين في حقِّنا كنصوص الشارع في حقهم في وجوب العمل ، ومَن قال غيرُ ذلك (**يُعَزَّر عليه بالأدب الشديد والسجن المزيد**) لأنه خَطَّأ مَن آمَنَهُم الشارع على شرْعِهِ (**ويُخشى على مَن ظنَّ عليهم بسوء سوء الخاتمة**) قائمٌ مقامَ الفاعلِ ليُخشى (**وشرُّ العاقبة**) لأن لُحُومَ العلماء مسمومة ومُنتَقِصُهم يأوي إلى هاوية .

وفي « العقيدة الشيباني » :

ومن يعتقده كله فهو مؤمن ومن زاغ فيه جاحدا قد تهودا

أما الإمام الشافعي : فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ،

ثم استدل على كون الأئمة الأربعة على الحق بقول الشيباني في منظومته ، فقال : (**وفي « العقيدة الشيباني »**) أي : قال في قصيدته المعروفة في عقيدة أهلِ السنة بعد ذكر معتقَدِهم :

فَهَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ إمَامِنَا وَمَالِك وَالنُّعْمَانِ أيضًا وَأحْمَدَا

(**وَمَنْ يَعْتَقِدُهُ كُلَّهُ فَهُوَ مُؤمِنٌ وَمَنْ زَاغَ فِيهِ جَاحِدًا قَدْ تَهَوَّدَا**)

أي : هذا المذكور في القصيدة من المعتقدات اعتقادُ الأئمة ، فمعتقده مؤمنٌ ، وجاحِدُه كافر كاليهودي ؛ لإنكاره لما عليه أهل السنة والجماعة . وقوله : مالك - بغير تنوين للضرورة ، والنعمان - اسم الإمام أبو حنيفةَ ، وقوله : زاغ أي : عَدَل عن ذلك الاعتقاد الحق ، جاحدًا أي : منكرًا .

(**أما الإمام الشافعي :**) قدَّمَه - مع أن غيرَ أحمدَ أقدَمُ منه في الزمان - إما لأن المصنف شافعي ، أو لشرفه بشرف نسبِه ، وبشرى نبيِّه ؛ كما سيأتي (**فهو**) أبو عبدِ الله (**محمدِ بنِ إدريسَ[1] بنِ العبَّاس بنِ عثمانَ بنِ شَافِع**) - وهو الذي يُنسَبُ إليه الإمام - بنِ السَّائِبِ بن عُبيْدِ بنِ عبدِ يَزِيدَ بنِ هاشم[2] بنِ المُطَّلِبِ بن

---

(١) وأم الإمام : فاطمة بنت عبد الله بن الحَسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ . « حواشي الشرواني : ١/٨٦-٨٧ » . *

(٢) هو غيرُ هاشم الذي هو أخو المطلب وجدُّه ﷺ ؛ لأنه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهاشم المذكور في نسب الشافعيِّ هو : ابن المطلب ؛ أخو هاشم جدِّ النبيِّ ﷺ ، فالحاصل : أن المطلب بن عبد مناف له أخ اسمه : هاشم ، هو جد النبيِّ ﷺ ، وابنُ يسمى هاشما أيضا ؛ هو : جد الشافعيِّ ، والشافعيُّ إنما يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف رَشيديٌّ ، فهاشم الذي في نسبه ﷺ هو عمُّ هاشم الذي في نسَب الشافعي ﷺ ، والمطلب في نسَب الإمام عمُّ عبد المطلب جدِّه ﷺ . « حواشي الشرواني : ١/٨٦ » . *

يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف .

قال الحافظ ابن حجر : هو إمام الأئمة علما ، وورعا ، وزهدا ، ومعرفة ، وذكاء ، وحفظا ، ونسبا ، فإنه برع في كل مما ذكر ، . . . .

عبدِ منافٍ جدِّ النبي ﷺ ، وشافعُ هذا أسلمَ هُو وأبوهُ السَّائبُ - صَاحبُ رَايَةِ قُريشٍ - يَومَ بَدْرٍ ، فالإمام قريشيٌّ مَنافيٌّ (**يَجتمِعُ نسبُه مع النبي ﷺ في عبدِ مَنافٍ**) كما ذكرنا ، وقد نَظَمَ نَسبَهُ الرَّافِعيُّ ؛ كما في « القاموس » :

مُحمَّدٌ إدريسُ عبَّاسٌ ومِنْ　　بَعْدِهِمُ عُثمَانُ ابنُ شافِعْ

وسَائِبٌ ابنُ عُبَيْدٍ سَابِعٌ　　عبدُ يَزيدُ ثَامِنٌ والتاسِعْ

هاشِمٌ المَوْلُودُ ابنُ المطَّلِبْ　　عبدُ منافٍ للجميعِ تابِعْ

(**قال الحافظ ابن حجر :**) - المشهور : أن الملقب بالحافظ هو العسقلاني ، لكن في ديباج « تحفة »[1] ابن حجر الهيثمي ، ما نقله المصنف بطوله فلعله نقله عن الأول - (**هو**) أي : الإمام الشافعي : (**إمامُ الأئمَّةِ عِلمًا**) أي : مقتديهم في العلم (**و**)كذا (**وَرَعًا ، وزُهدًا ، ومَعرِفة ، وذَكاءً ، وحِفظًا ، ونَسبًا ، فإنه**) علة لإمامته فيما ذكر (**بَرَع**) أي : فاق (**في كُلٍّ مما ذكِر**) .

أما بَراعتُه في العلم : فيكفيك انقياد الخَلق له بعد ما انقادوا للأئمة قبلَه ، ولو لا وضوحُ دلائله لما رجعوا إليه .

وأما ورعه : فيكفيك أنه ما حَلف بالله تعالى كاذبا ولا صادقا قطُّ ، ومن ورعِهِ ما بلغنا أنه سئِل - وهو راكبُ دابةٍ - كمْ قوائِمَ دابتكَ ؟ فنَزل وعدّها بوضع اليد عليها وقال : أربعُ . فلم يَبْلُغنا احتياط مثلُ احتياطهِ .

---

(١) وهو كتاب « تحفة المحتاج في شرح المنهاج » ، لابن حجر الهيتمي .

وفاق فيه أكثر من سبقه لا سيما مشائخه : كمالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، ومشائخهم ، واجتمع له من تلك الأنواع وكثرة الأتباع في أكثر أقطار الأرض ، وتقدم مذهبه وأهله فيها لا سيما في الحرمين الشريفين ، والأرض المقدسة ، وهذه الثلاثة وأهلها أفضل الأرض وأهلها ، ما لم يجتمع لغيره ، .

وأما زهدُه : فحسبك أنه لمَّا رجَع من عند الخليفة هرون الرشيد بألف دينار أنفقَه كلَّه على الخَدَم قبل أن يدخل داره ، وأنه لما سقط سَوْطه من يده أعطى لمن ناوله إياه خمسين دينارا .

وأما معرفته : فيكفيك أنه سَمِع تاليا يقرأ هذا : ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ الآية[1] ، فتغيَّر لونه ، واقشعر جلده ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وخَرَّ مَغشِيًّا عليه . فهذا من كمال معرفته ؛ لأن الخوف على قدَرِ المعرفة .

وأما ذكاؤه : فأشهر مِن أن يُذكَرَ .

وأما حفظه : فيكفيك ما سيأتي من حفظه القرآن سنةَ سبعٍ ، وأنه قد كان يَحفَظ عشرةَ آلافِ بيتٍ من أشعار هُذَيل بإعرابها ، وغريبها ، ومعانيها ، إلى غير ذلك مما هو أجل من أن يُذكر ، ولا يُحيط به ديوان ولا دفترٌ .

(**وفاقَ**) عطف تفسير لبرع (**فيه أكثَرَ مَنْ سَبقَه**) أي : أكثرَ الأئمة الذين سَبَقوه في الزمان (**لا سِيَّمَا مَشائخه**) أي : أساتيذه (**كمَالكٍ بن أنس ، وسُفْيانَ بن عُيَيْنةَ**) سيأتي بيانهم (**ومشَائخهم ، واجتمَعَ له مِن**) بيانٌ ما الآتي (**تلك الأنواع**) السابقة (**وكثرةِ الأتباع**) جمع تبع – بفتح الباء – بمعنى التابع (**في أكثر أقطار الأرض**) أي : نواحيها (**وتَقَدَّم**) عطفٌ على مدخول منْ (**مذهبُه وأهلهُ**) أي : أهل مذهبه (**فيها**) أي : الأقطار (**لا سِيَّمَا في الحَرَمَيْنِ**) أي : المكة والمدينة (**الشَّريفَيْن ، والأرض المُقدَّسة**) أي : بيت المَقدس (**وهذه الثلاثةُ**) أي : والحال أنها (**وأهْلُها أفضَلُ الأرض وأهلِهَا**) بالاتفاق ، وإن تفاوتت فيما بينها (**مَا**) فاعل اجتمع (**لم يَجتمِع لغيرِهِ**) من سائر الأئمة .

---

(١) سورة المرسلات : الآيات ٣٥-٣٦ .

وهذا حكمة تخصيصه في الحديث بقوله : « عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلَأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْمًا » .

ومن الخوارق التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره : استنباطه لمذهبه الجديد في نحو : أربع سنين . وأيضا : لما فتح قبره ظهر روائح طيبة ، عطلت الحاضرين عن احساسهم ؛ فتركوه ، وقد أكثر الناس التصانيف في مناقبه حتى بلغت نحو : أربعين تصنيفا ؛ انتهى عبارة الحافظ .

(**وهذا**) الاجتماعُ (**حِكمةُ تَخْصيصِه**) أي : الشافعي رضي الله عنه (**في الحديث**) المَعْمولِ به في مِثْلِ ذلك من الفضائل (**بقوله**) ﷺ : (**« عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلَأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْمًا »**) قال الإمام أحمدُ وغيرُهُ من أئمة الحديث والفِقْهِ : نَراه الشافِعيَّ رضي الله عنه أي : لأنه لم يَجتمع لقُريشِيٍّ مِن الشُّهْرةِ ما اجتَمَع له ، فلم يتنزّلِ الحديثُ إلا عليه .

وكرامات الشافعي رضي الله عنه كثيرة مشهورة ، وخوارقه فائقة باهرة (**و**)ناهيك منها ما اشتهَر لدى الخاص والعام (**من الخَوارق التي لم يَقع نَظيرُها لمُجتهدٍ غيرِه**) وهو : (**اسْتنباطُه**) أي : استخراجه وتَحْريرُه (**لِمَذهبِه الجديد**) وهو ما قاله بمصرَ مع سَعَتِهِ المُفرِطَة (**في نحو : أربعَ سِنينَ**) بعد ما قرّر الشريعةَ في كتبه القديمة ، وهي ما قرَّرها بالعراق ، وهذا مما يدل على علمه وورعه (**و**)ما صح عند العلماء (**أيضا :**) من أنه (**لمَّا فُتح قبره**) لنقله إلى بغداد بعد أزمِنةٍ (**ظَهر**) من قبْرِه (**روائحُ طيِّبةٌ ، عَطَّلت**) أي : قطعت (**الحاضرينَ عن إحْساسِهم ؛ فتَركوه ، وقد أكثرَ الناسُ التصانيفَ في**) بيان (**مناقبِه حتى بَلغَتْ نحوَ : أربعين تصنيفا**) وهذا مما لم نَسمَع مثلَه لغيره (**انتهى**) الأوْلى انتهت (**عبارةُ الحافظ**) العسقلاني رحمه الله . وقال في « التحفة » أيضا : إنه كاشَفَ أصحابه بوَقائعَ وَقعت بعد موتِه كما أخبر ، وأنه رَأى النبيَّ ﷺ وقد أعطاهُ مِيزانًا ، فأُوِّلتْ بأن مذهبَهُ أعْدَلُ المَذاهِبِ ، وأوْفَقُها للسُّنَّةِ الغَرَّاءِ التي هي أعدلُ المِلَلِ وأوفقُها للحكمة العِلميَّةِ والعَمليّة ؛ انتهى .

وولد بغزة في سنة خمسين ومائة ، ثم حمل إلى مكة ابن سنتين ، ونشأ بها ، وأذن له في الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ لعشر . وتوفي في مصر يوم الجمعة في سنة أربع ومائتين ، وهو ابن أربع وخمسين سنة .

(**وَوُلد**) على الأصحِّ (**بغَزَّةَ**) - بفتح الغين المعجمة والزاي المشددة - أرض بمشارق الشام ، بها قبرُ هاشم جدِّ النبي ﷺ . وقيل : بعَسْقَلان (**في سنة خَمْسينَ ومائةٍ**) من الهجرة (**ثم حُمِل إلى مكةَ**) وهو كان حينئذ (**ابنُ سَنتَيْنِ ، وَنَشأ بها**) أي : صار شابا بمكة ، ثم رحل لمالك بالمدينة وهو ابن ثلاثةَ عشر سنة ، فأقام عنده مدةً (**وأُذِنَ**) للمجهول أي : أَذَنَ (**له**) مالكٌ (**في الفتوى وهو ابنُ خمس عشرةَ سنةً ، وحَفِظَ القرآنَ وهو ابنُ سبعِ سنين ، و**)حفظ (**« المُوَطَّأ »**)[١] - على وزن اسم المفعول من التفعيل ، سمي به : لمواطاة الفقهاء له (**لعشر**) سنين ، لو قدم قوله : وحفظ اهـ على قوله : وأُذن اهـ لطابَقَ ترتيبَ الوجود . ثم رحَل لِبغدادَ ولُقِّب : بـ« ناصر السُّنَّةِ » لمَّا ناظرَ أكابِرَها فظَفِرَ عليهم ، ثم بعد عامين رجَعَ لمكةَ ، ثم رجَعَ لبغدادَ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ ومائةٍ ، وألّف فيها كتبه القديمة ، ثم بعد سنةٍ رحل لمصر فأقام بها كَهْفًا لأهلها إلى أن تَقَطَّبَ .

وفضائله أكثرُ من أن تحصى وأشهر من أن تستقصى ، وناهيك منها وراء ما تقدم : أنه كان يَختم القرآن كل ليلة ختمة ، وفي رمضان ختمتين ، وكان يُجزِّئُ الليلَ ثلاثةَ أجزاء : جزء لنظر العلم ، وجزء للصلاة ، وجزء للنوم بِنِيَّة القوة على العبادة ، فرضي الله تعالى عنه أبلغ رضائه ، ونفعنا بحبه وثنائه .

(**وتوفي في مصر**) شهيدًا (**يوم الجمُعَة**) سلخَ شهر رجب (**في سنة أربع ومائتين ، وهو ابنُ أربعَ وخمسين سنة**) ودفن بقرافتها ، وعلى قبرِه من الجلالة والاحترام ما يناسب مقامَ ذلك الإمام .

---

(١) وهو كتاب « الموطأ » ، للإمام مالك بن أنس ﷺ .

وأما الإمام أبو حنيفة : فهو النعمان ابن ثابت ، وهو من التابعين ، كان فقيها ، عالما ، عابدا ، زاهدا ، . . . .

(**وأما الإمام أبو حنيفة**) ﵁ : – ولعل ذِكرَه بعد الشافعي ﵁ : لكونه من أهل الكشف ، وكون مذهبِه أولَ المذاهب تَدوينا وآخِرَهَا انقراضا كما قاله أهل الكشف – (**فهو النعمان**) – بضم النون (**ابنَ ثابت ، وهو**) أي : أبو حنيفة (**من التابعين**) كونُه في زمن التابعين معروف ؛ لكنهم شرطوا في التابعي إطالة صحبته للصحابي مع أن أبا حنيفة لم يَجتمع بصحابي على ما قاله الباذلي ، ولا أخذ عنه العلمَ – خلافا لمن زعمه – وإن أدرك زمنَ أربعةٍ من الصحابة ؛ إلا أن يراد أنه من التابعين درجة كما يقال ذلك للإمام أحمد كما سيأتي .

(**كان فقيها**) وناهيك فيه ما قاله الإمام الشافعي ﵁ : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفةَ ، والعيال : جمع عَيِّل كسيّد ، وعيال الرجل : مَن يَعوله أي : يقُوته ويُنفِق عليه ، فأبو حنيفة ﵁ هو الذي يُنفِق العلم على جميع الناس ، وكفاه له منقبة أيّ منقبة .

(**عالما**) لا حاجةَ إلى بيان علمهِ لشهرته على كل أحد .

(**عابدا**) ويكفيك في عبادته : أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أكثرَ من خمسين سنة ، ولم يَضَع جنبَه إلى الأرض في الليل أبدا ، وإنما كان يَنام لحظة بعد صلاة الظهر وهو جالس .

(**زاهدا**) ويكفيك في زهده وورعه : أنه كان إذا اشترى أحد منه ثوبا فخَلط ثمنَه على الغَلَّة ثم ردَّه عليه ، يُعطي صاحب الثوب جميع الغلة التي عنده ويقول : قد اختلَطتْ دراهمك بدراهمي فخذها كلها وسامحتُك يا أخي دُنيا وأخرى . وهذا ورعٌ أيُّ ورع . ومن ورعه أيضا : أنه كان لا يجلِس في ظل جدارِ غَريمهِ ويقول : كلُّ قرْضٍ جَرَّ نفْعًا فهو رِبا .

عارفا بالله تعالى ، خائفا منه .

وقال سفيان بن عيينة : ما مقلت عيناي مثل أبي حنيفة ، وروي عن حماد : أنه كان يمر بناس فقالوا : هذا الرجل يحيي الليل كله بالصلاة ، فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله ، . . . .

(**عارفا بالله تعالى**) ومن نور معرفته : كان يكشِف له الأمورَ كما هي ؛ حتى أنه إذا رأى الماءَ الذي يَتوضأ منه الناس يعرِف أعيانَ تلك الخطايا التي خَرّت في الماء كالأمور المحسوسة ، ثم بلغنا أنه سئل الله تعالى الحجابَ ؛ لأن فيه اطلاعٌ على عورات الناس .

(**خائفا منه**) ومن شدة خوفه : أنه لمّا دُعي إلى القضاء أبى ، فضُرِب مائةً بسَوْطٍ في عشرة أيام ، فلم يَلِ فتُرِك ، وقيل : إنه مات في الحَبْس .

فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : أعلم الناس وأورعهم ، وأعبدُهم ، وأكثرهم احتياطا في الدين ، ومن شدة احتياطه : أنه كان لا يضع مسألة في العلم حتى يجمع أصحابه ويعقد عليها مجلسا ، فإذا اتفق أصحابُه كلهم على موافقتها للشريعة قال لأبي يوسف[1] أو غيرِه : ضَعها في الباب الفلاني (**وقال سفيان**) – بالحركات الثلاثِ في السين ، أشهرها الضمُّ – وهو إمام جليل حجَّ سبعين حجةً (**بن عيينة :**) – بضم العين – على وزن المصغر (**ما مَقَلَتْ عيناي**) أي : ما أبصرتا بمُقلتَيْهما (**مثلَ أبي حنيفة**) في المذكورات (**وروي عن حماد :**) – وكان لأبي حنيفةَ ابنٌ اسمُه : حماد ، فلعل هذا هو – (**أنه**) أي : أبا حنيفة رضي الله عنه (**كان يمُرُّ بناس فقالوا : هذا الرجل يُحيي الليلَ كلَّه بالصلاة**) وكان قبلُ يحيي نصفَ الليل (**فلم يزل**) أبو حنيفة رضي الله عنه (**بعد ذلك**) القول (**يحيي الليل كله**) كما ذكرنا آنفا

---

(١) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، أبو يوسف ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه . كان فقيها علامة من حفاظ الحديث ، تفقه بالحديث والرواية ، ثم لزم أبا حنيفة ، فغلب عليه « الرأي » وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد . وهو أول من دعي « قاضي القضاة » ، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة . من كتبه : « الخراج » ، « الآثار » ، وهو مسند أبي حنيفة ، « أدب القاضي » . ولد سنة ١١٣ هـ بالكوفة ، وتوفي سنة ١٨٢ هـ ببغداد .

وقال : أنا أستحيي من الله تعالى أن أوصف بما ليس في من عبادته .

ومن كراماته كما ذكره الإمام أبو الليث السمرقندي : لما غسل أبو حنيفة رضي الله عنه ظهر على جبينه سطر : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ ، وعلى يده اليمنى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ، وعلى اليسرى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ ، وعلى بطنه : ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم . . . .

(**وقال : أنا أستحيِي من الله تعالى أن أُوصَفَ بما ليس فيَّ من عبادته**) ومناقبه كثيرة وفضائله جمَّةٌ بحيث لا يلحقه فيها أحد في العلم والعمل كما ذكرنا . وقد حج خمسا وخمسين حجة .

(**و**)يكفيك (**من كراماته**) ما وقع بعد وفاته مما يدل على عُلوِّ درجتهِ (**كما ذكره الإمام أبو الليث السمرقندي**) رضي الله عنه : أنه (**لمّا غُسل أبو حنيفة** رضي الله عنه **ظهر على جبينه**) أي : على طرف جبهته (**سطر**) كتب فيه قوله تعالى : (**﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾**) أي : الآمِنَة التي لا يَعتريها خوفٌ ولا حزنٌ (**﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾**) أي : إلى وعده بالموت (**﴿ رَاضِيَةٗ ﴾**) بما أوتِيت (**﴿ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾**) عند الله تعالى (**﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾**) أي : في جُملة عبادِيَّ الصالحين (**﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾**)[1] معهم ، ونظير هذا ما روي : أن ابن عباس رضي الله عنهما لما وضِع في القبر وسُوي عليه الترابُ سمع قائل يقول : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ﴾ الآية[2] (**و**)ظهر أيضا (**على يدهِ اليمنى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾**)[3] أي : بسبب ما عمِلتم ، وإن لم يَستحِقَّ أحدُ الثوابَ بالعمل لكن بفضل الله تعالى يُسَبِّبُهُ (**و**)ظهر أيضا (**على**) يده (**اليسرى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾**[4] **، و**)ظهر أيضا (**على بطنه : ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم**

---

(١) سورة الفجر : الآيات ٢٧-٣٠ .
(٢) سورة الفجر : الآية ٢٧ .
(٣) سورة النحل : الآية ٣٢ .
(٤) سورة الكهف : الآية ٣٠ .

بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ ، ولما وضعوه على الجنازة سمع صوت هاتف يقول : يا قائم الليل ، طويل القيام ، كثير التهجد ، كثير الصيام ، أباحك السيد دار السلام ، ولما وضع في قبره هتف هاتف يقول : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ .

وتوفي رضي الله عنه ببغداد سنة خمسين ومائة ، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي ، وهو ابن سبعين سنة .

بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾)[١] ، وهذه كرامات جليلات تدل على أنه من الفائزين ، جعلنا الله تعالى منهم ؛ آمين .

(**ولما وضعوه على الجنازة**) في « القاموس » هي : بالكسر - المَيِّت ، وبالفتح - السَّريرُ أو عَكْسُه (**سمع صوت هاتف**) أي : صائح من ملك أو وليٍّ أو جني من قِبَل الله تعالى (**يقول : يا قائم الليل ، طويل القيام ، كثيرَ التهجد ، كثير الصيام ، أباحك السيد**) أي : جعل الله تعالى (**دار السلام**) مُباحا لك أي : خيَّرَك في دخول الجنة ، ومَن له الاختيار لا يدخل إلا فيه ، وفي معاني السيد وجواز إطلاقهِ على غير الله من الفضلاء كلامٌ طويل مذكور في « الأزهار » فراجعه .

(**ولما وضع في قبره هتَفَ هاتف يقول : ﴿ فَرَوْحٌ ﴾**) أي : استراحة (﴿ **وَرَيْحَانٌ** ﴾) أي : ورق طيب (﴿ **وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ﴾)[٢] ذاتُ تنعُّمٍ . وفي كل ذلك إشارة إلى أنه من المفلحين ، جعلنا الله تعالى منهم ؛ آمين .

(**وتوفي** رضي الله عنه **ببغداد**) - بمعجمتين ومهملتين وتقديم كلٍّ منهما - مدينة السلام (**سنةَ خمسين ومائة**) وقال في « البغية » : ولد أبو حنيفة رضي الله عنه سنة ثمانين ، وتوفي سنة إحدى أو ثلاث وخمسين ومائةٍ (**وهي السَّنةُ التي ولد فيها الإمام الشافعي**) رضي الله عنه ، وأما أنه مات يومَ ولِد الشافعي رضي الله عنه فلم يَثبت (**وهو : ابن سبعين سنة** .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢١ .
(٢) سورة الواقعة : الآية ٨٩ .

وأما الإمام مالك ابن أنس الأصبحي : فهو إمام الأئمة ، وناصر السنة ، وعالم المدينة ، وهداة الأمة . وأجمع العلماء : على إمامته ، وجلالته ، وزهادته ، والإذعان له في الحفظ ، وفي تعظيم حديث رسول الله ؛ لأنه رضي الله عنه كان إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، واستعمل . . . .

(**وأما الإمام مالك :**) - ولعل تقديمُه على الإمام أحمد : لتقدمه سنا ومذهبا ؛ لأنه شيخ الشافعي ﷺ كما أن أحمد تلميذُه - (**ابن أنس الأصْبَحِي**) في « القاموس » : الأصْبَحِيُّ - السَّوْطُ نسبةً إلى ذي أصْبَحَ لملِكٍ من ملوك اليَمَن مِن أجداد مالكِ بنِ أنسٍ (**فهو إمام الأئمة**) وإمام دار الهجرة ، ونجمُ السنن (**وناصر السنة ، وعالم المدينة**) أي : الذي صح فيه قول سيِّدِ الخلق ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَلا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ » ، قال ابن عيينة وغيرُه : هو مالك ، ومن ثمة كان الناس يزدحمون على بابه لأخذ العلم حتى يقتتلون . قوله : يُوشِك - بكسر الشين ، وضَرْبُ الأكباد : كناية عن إسراع المركَب أي : يقرُب أن يأتي زمان يَسير الناس سيرا شديدا إلى البلاد لطلب العلم مع أنه لا يوجد فيها مثلُ عالم المدينة ، فهو أحدُ مُغَيَّبات النبي ﷺ (**وهداةِ الأمة**) جمع هاد ، عطف على المدينة أي : شيخ أئمة الأمة .

فقد روى عنه الأكابر : كالزهري ، والسفيانين ، والشافعي ، والأوزاعي - إمام أهل الشام ، والليث - إمام أهلِ مصر ، وأبي حنيفة مع نزاع فيه ، وصاحبيْه أبي يوسف ومحمد وغيرهم .

(**وأجمعَ العلماءُ : على إمامته ، وجلالته ، وزهادتِه ، والإذعان له**) أي : الانقياد (**في الحفظ**) أي : بأنه حافظ (**و**)الانقياد له أيضا : بأنه ليس مثلُه (**في تعظيم حديث رسول الله**) ﷺ (**لأنه ﷺ كان إذا أراد أن يُحدِّث بحديث رسول الله**) ﷺ (**توضأ ، وجلس على صدر فراشِه**) أي : أوله (**وسرح لحيته ، واستعمل**

الطيب ، وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ؛ ثم حدث ، فقيل له في ذلك ؛ قال : أحب أن أعظم حديث رسول الله .

وقال الشافعي رضي الله عنه : رأيت على باب مالك فرسا من أفراس خراسان ، وبغلا من بغال مصر ، ما رأيت أحسن منهما ، فقلت لمالك : . . .

الطيبَ ، وتمكَّن) أي : استراح (**في الجلوس**) مُتلبِّسا (**على وقار**) أي : حلم (**وهَيْبَة ، ثم حدَّث ، فقيل له في ذلك**) أي : قيل له : لِأَيْش تفعَل هذه الأمور في هذه الحالة ؟ (**قال**) مالك : (**أُحبُّ أن أُعَظِّمَ حديثَ رسول الله**) ﷺ أي : فعلت ذلك لتعظيم حديثِه ، فتعظيمُه مطلوب طلبا مؤكدا كتعظيم رسول الله ﷺ .

قال الجلال السيوطي ﵀ في « أنموذج اللبيب » : يُستحب الغسل لقراءة الحديث ، وعدمُ رفعِ الأصوات عندَه ، وقرائتهُ على مكان عالٍ ، وجَعْلُ كتبه على كرسي كالمصحَف ، ويُكره لقارئه أن يقوم لأحد ؛ انتهى أي : لأنه قلةُ أدبٍ مع النبي ﷺ ، وقِلَّةُ احترام ، وعدمُ مبالاةٍ أن يُقطَعَ حديثه لِأَجْل غيره ؛ فكيفَ لِبِدْعة . وقد كان السَّلفُ لا يَقطعون حديثَه ، ولا يَتَحرَّكون وإن أصابَهم الضَّررُ في أبدانهم ، ويَتحمَّلون المشقة التي تَنْزِلُ بهم ؛ إذ ذاك احتراما لِحديث نبيهم ﵇ . وحسبك ما وقع لمالك ﵀ في لَسْع العَقْرَب له سبعَ عشرة مرّةً ، وهو لا يَتحرَّك توقيرًا لجنابِ حديث رسول الله ﷺ أن يقرأ ، وهو يَتَحرَّكُ لِضرٍّ أصابَه مع أنه معذورٌ فيما وَقع به ؛ فكيف بالحركة والقيام إذ ذاك لا لِضَرُورةٍ بل للبدعة ، سِيَّمَا إذا انضافَ إلى ذلك ما لا يَنبغي من الكلام المعتاد .

وكان السلف أيضا : يكرهون التحديث على غير طهارةٍ حتى كان الأعمشُ إذا كان على غيرها تيمَّمَ . ولا شك أن حرمته ﷺ وتعظيمه وتوقيره بعد مماته ، وعند ذكره وذكر حديثِه ، وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته ﷺ .

(**وقال الشافعي ﵁ : رأيت على باب مالك فرسًا من أفراس خُراسان**) - بلاد (**وبغلا من بِغالِ مصر ما رأيت أحسنَ منهما ، فقلت لمالك :**

ما أحسنهما ؟! فقال : هما هدية مني إليك ، فقال : دع لنفسك منهما دابة تركبها ، فقال : أنا أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها حبيب الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ، فانظر إلى سخاوته ، وتوقيره تربة المدينة .

ولد سنة خمس وتسعين ، وتوفي في تسع وسبعين ومائة ، وله من العمر : أربع وثمانون سنة .

ما أحسنَهُما ؟!) صيغةُ تعجب (**فقال : هما هديَّة مني إليك ، فقال : دع لنفسك منهما دابة تركبها**) إذا احتجت (**فقال : أنا أستَحْيي من الله تعالى أن أطأ**) مِن وطِئَه - بالكسر - داسَه (**تربة**) أي : ترابا (**فيها حبيب الله ﷺ بحافِرِ دابةٍ**) أي : أن أركب دابةً وهي تمسُّ بحافرها تربة المدينة التي فيها حبيب الله ﷺ ، فما ركب بالمدينة قط ، وكان يقول : لا ينبغي لابن عامر أن يَرْكَب بموضع وطِئ تربتَه رسول الله ﷺ بنعليه (**فانظر إلى سخاوته**) حيث لم يَتوقَّف في هِبتهما للشافعي رضي الله عنه (**وتوقيره**) أي : تعظيمه (**تربة المدينة**) بعدم الركوب حيث مشى فيه رسول الله ﷺ بقدمه . وهذا من غاية تواضُعه وتعظيمه رسولَ الله ﷺ ، ومن ثمة أفتى فيمن قال : تربة المدينة رَدِيَّةٌ ؛ بضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسهِ ؛ وكان له قدر ، وقال : ما أحْوجَه إلى ضرب عنقهِ تربة دُفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة .

(**ولد**) مالك رضي الله عنه (**سنةَ خمس**) وقيل : ثلاثَ (**وتسعين**) وأقام في بطن أمه ثلاث سنين ، فكان يقول : أكثرَ الحمل ثلاث (**وتوفي**) بمدينة الرسول عليه السلامان ، وقبرُه في صدرِ البقيع مشهور يزار ويتبرك به (**في تسع وسبعين ومائة ، وله من العمر : أربعُ وثمانون سنةً**) وبلغ كَفنُه خمسةُ دنانير .

وكان طويلا ، جسيما ، عظيمَ الهامة ، شديد البياض إلى الصفرة ، حسن الصورة ، عظيم اللحية تامُها تَبلُغ صدره ، ذات سعةٍ وطول . وكان يترُك للشارب إذا أخذ أطرافَه سِبالَيْنِ ، ويحتجُّ بفعل عمر رضي الله عنه .

وأما الإمام أحمد : فهو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، إنه عالم ، فاضل ، زاهد ، متورع ، خائف ؛ . . . .

(**وأما الإمامُ أحمد : فهو أبو عبدِ الله أحمد بنُ**) محمد بن (**حنبل الشيباني**) وشيبان : قبيلةٌ (**إنه**) استئناف (**عالم**) ويكفيك من علمه : أن في « مسنده »[١] : أربعون ألف حديث ، جمعه من سبعِمائة ألف وخمسين ألفَ حديث ، قال : جعلتُه حجةً بيني وبين الله تعالى ، وقال : ما اختلفَ المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه[٢] ، فإن وجدْتُموه فيه فذاك ؛ وإلا فليس بحجة . وهذا يدل على إحاطته بالسنة واطلاعه عليها . وإنه كان يَحفظ ألفَ ألفَ حديث ، ومات يوم مات وكتبه اثني عشر حملاً ؛ يحفظه عن ظهر قلبه ، ومن ثمة أرسَل إليه الشافعي ﷺ يقول : إذا صح عندكم حديثٌ فأعلِمونا به[٣] ، فإنكم أحفَظُ[٤] ونحن أعلم[٥] .

(**فاضل ، زاهد ، متورع**) ويكفيك فيها قول الشافعي ﷺ : خرجتُ من بغدادَ وما خلَّفتُ بها أفقهَ ، ولا أعلمَ ، ولا أزهدَ ، ولا أورع مِن أحمدَ . وقوله لمّا حبس وضُرب في زمن هرون الرشيد ، وطلب منه القولَ بخلق القرآن : كيف أقول ما لم يُقَل ؟ ! فتورَّع عن قول ما لم يقُلْه السلف ، وصبر على البلوى التي لا تُطيق حمْلَها الجبالُ[٦] ، كما ذكره العارف الشعراني في « الطبقات » .

(**خائف**) ومن آية خوفِه : أنه لما مرض جائه قوم من القضاة ليعودوه ؛ فمنعَهُم ، ودخَل عليه شيخ فقال : اذكُرْ وُقُوفك بين يديِ الله تعالى ، فشهق أحمد ﷺ وسَالَتْ دُموعُه على خديه .

(١) وهو كتاب « المسند » ، للإمام أحمد رضي الله عنه .
(٢) أي : إلى « المسند » . *
(٣) لنأخذ به ، ونترك كل قول قلناه أو قاله غيرنا . *
(٤) للحديث . *
(٥) أي : به . *
(٦) روي : أنه أرسل الشافعي إلى بغداد يطلب قميصه الذي ضرب فيه ، فأرسله إليه ، فغسله الشافعي وشرب ماءه . « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » . *

حتى قال أحمد : رأيت ربي في المنام ، فقلت : يا رب ؛ ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال : كلامي ، فقلت : يا رب ؛ بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : بفهم أو بغير فهم .

وقال قتيبة : لو أدرك أحمد عصر الثوري ، ومالك ، والأوزاعي ، والليث ،

فبلغ فضله في كل ذلك غايتَه (**حتى قال أحمد**) رضي الله عنه : (**رأيت ربي في المنام**) دليل على جواز رؤيته تعالى في المنام (**فقلت : يا رب ؛ ما أفضلُ ما يتقرب به المتقربون إليك ؟**) أي : أيُّ عملٍ من الأعمال التي نَعمَلُها للقُربة أفضلُ (**قال : كلامي**) أي : أفضلها قراءة القرآن الذي هو كلامي (**فقلت : يا رب ؛ بفهم**) أي : هل أفضليته مع فهم معناه (**أو بغير فهم ؟ فقال**) تعالى : كلامي أفضلُ سواءٌ قُرِئ (**بفهم أو بغير فهم**) وفي الحديث : « مَا تَقَرَّبَ عَبْدٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ » ، أو كما قال : يعني كلامُه ، وهذه الرؤيا من الإمام أحمد رضي الله عنه دليل على أنه من كمل الأولياء . ووقع مثلُ ذلك للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أيضا ، وحمزة القارئ[1] ، وغيرِهما من الأولياء .

(**وقال قتيبة**) - بضم القاف - على وزن المصغَّر ، بن سعيد : (**لو أدْرَك أحمدُ عصرَ**) سفيان (**الثَّوري**) في « القاموس » : ثورٌ - أبو قبيلةٍ من مُضرَ ، منهم : سفيانُ بنُ سعيدٍ ؛ انتهى ، وهو إمام كامل زاهد فاضل ، مناقبُه كثيرة فلتراجع من محله (**و**)الإمام (**مالك ، و**)الإمام (**الأوزاعي**) - بفتح الهمزة وسكون الواو ، بعده زاي معجمة - نسبةٌ إلى أوزاع بطن من همدان ، وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقيُّ ، أفتى وعمرُه ثلاثة عشر سنة (**و**)الإمام (**اللَّيْث**) بن سعد عالمَ أهلِ مصر ، كان نظيرَ مالكٍ في العلم ،

---

(١) هو : حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، التيمي ، أحد القراء السبعة . كان من موالي التيم فنسب إليهم . وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان « في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل » ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة . كان عالما بالقراآت ، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول . قال الثوري : ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر . ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ بحلوان .

لكان هو المقدم عليهم ، فقيل له : هل يضم أحمد إلى التابعين ؟ قال : إلى كبار التابعين . وقد ولد سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي ببغداد وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، . . . .

قال الشافعي رضي الله عنه : هو أفقهُ مِن مالك إلا أنه ضيَّعَه أصحابُه (**لكان هو**) أي : أحمد (**المقدَّمَ عليهم**) في فضائله (**فقيل له :**) أي : لقتيبة (**هل يُضَمُّ أحمدُ إلى التابعين ؟**) في الفضل وحسن السيرة (**قال :**) يُضَمُّ (**إلى كِبار التابعين**) وهو حرِيٌّ بذلك ؛ لأن الإمام أحمد مشهور بالتمسك بالسنة ، ومن ثمة ورد : أنه لم يأكل البطيخ ، وقال : لم يَبلُغْنا كيفية أكل رسولِ الله ﷺ فيه ، فخشي فوتَ استعمال السنة ، والمحافظة على سنة النبي ﷺ ، وسنة خلفائه الراشدين ، من آكد ما وصى به السلف والخلف .

قال ناصر الدين اللقاني :

فتابعِ الصالحَ مِمَّن سَلَفَا وجانِبِ البِدْعةَ مِمَّن خَلفا

فكلُّ خيْرٍ في اتِّباعِ مَن سَلَف وكلُّ شرٍّ في ابْتداعِ مَن خَلف

ويُحكى عن الإمام أحمد أنه قال : كنت يوما مع جماعة يتجردون ويَدخُلون الماء ، فاستعملت حديثَ رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ » ، فلم أَتجرَّدْ ، فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول : أبشرْ يا أحمد ؛ فإن الله تعالى قد غفَرَ لك باستعمال السنة ، فقلت : من أنت ؟ فقال : جبرائيل ، وقد جعلك الله تعالى إماما يُقتدى بك .

(**وقد**) لا حاجة إليه (**ولد سنة أربعَ وستين ومائةٍ**) من الهجرة (**وتوفي ببغداد**) يومَ الجمُعةِ صدرَ النهار في الربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين (**وهو ابنُ**) سبعٍ أو (**ثمان وسبعين سنة**) ترك المصنف هنا ذكْرَ تاريخِ الوفاة كما ترك ذكرَ مولِدِ أبي حنيفة ثمة ؛ والله أعلم بنيته .

وفضائلهم لا تعد ، ومناقبهم لا تحصى ، وفقنا الله تعالى لاتباعهم واقتدائهم .

ولما توفي أحمد صاح الناسُ ، وارتفعت الأصواتُ بالبكاء ببغداد ؛ حتى كأن القيامةُ قد قامت ، وكثُرَ عدد المصلين حتى أمر الخليفةُ المتوكل أن يَمسَحَ موضعَ المصلين ، فبلغ ألفيْ ألفٍ وخمسَمائة ألفِ رجلٍ على ما قاله الباذلي ، وأسلم من اليهود والنصارى يومئذ عشرة آلاف ، وقيل : عشرون ألفا .

وكان يقول للمبتدعة : بيننا وبيْنكم الجنائزُ . وقبرُه ظاهرٌ ببغداد يزار ويتبرك به .

ولما كان وضع هذا الكتاب لإرشاد الصبيان أشار المصنف إلى نبذة من سير المصطفى عليه السلامان ، وسير الخلفاء والأئمة على وفقِ أفهامِهم ، واتبعْنا أثره فلم نَزد في شرح أحوالهم إلا ما لا بد منه في فهم فضائلهم ، ولئن تفحَّصْنا جميع ما بلغنا من مناقبهم لما وسعته مُجلَّدات تبين مآثِرَهم ، كيف ولو أراد أحد حصرَ وضبطَ بيان خُلقِ رسول الله ﷺ مع آحاد أمته لَأعْياه ذلك وَلو بلّغ ما بلغ من بيان سَجيّته ، فلذلك أشار إلى عدم حصر آثار سيرهم بقوله : (**وفضائلهم لا تُعَدُّ**) ولا تستقصى (**ومناقبهم**) لا تحد و(**لا تحصى**) فمن أراد برد الغليل فليَتفحَّصْ مما فيه شفاءُ العليل (**وفقنا الله تعالى لاتِّباعهم واقتدائهم**) آمين .

ومما يجب الإيمان به في العقائد بين أهل السنة والجماعة : أن العالم . .

خَاتمَة : مِن عادة العلماء أنهم إذا فرغوا عن فنٍّ من أنواع مصنفاتهم يُورِدون خاتمةً تكون تتميما للكلام وتحسينا للمرام ، فهي علم لألفاظٍ ، لها تَعلُّق بما قبلَها كما أن الفاتحة لها تعلقٌ بما بعدَها . فلما ذكَر من أول الكتاب إلى هنا بعضَ ما يَجِب الاعتقادُ به في حقوق الأخيار والأشهاد ؛ ذَكر في الخاتمة بعضَ ما يجب الإيمان به من أصول الاعتقاد ، فقال :

(**ومما يجب الإيمانُ به**) أي : وبعض ما يَجب تصديقه (**في**) باب (**العقائد**) وهو : جمعُ عقيدة ، وهي ما يَعقِد عليه القلبُ من الأحكام أي : مما يجب على كل مكلَّف : عقد القلب والجزم به ؛ بأن ما أخبره المصنف إلى آخرِ الكتاب حقٌّ وصدق ومتَّفَقٌ عليه (**بين أهل السنة**) أي : طريقة النبي ﷺ (**والجماعة**) أي : طريقةِ الصحابة ، وهم الأشعريةُ أي : أصحابُ أبي الحسن علي من ذرية الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، وأبو الحسن هو الذي خالَفَ أوّلا أبا علي الجبائي رأسِ المعتزلةِ ، بعد ما كان تلميذا له أربعين سنةً ؛ فترَك مذهبَه ورجع إلى ما عليه جماعة الصحابة والتابعين . والماتريديةُ أي : أصحاب أبي منصور الماتريدي[1] ، و« ماتريد » - قرية من قرى سمرقند . وكِلا الفريقين على هُدى ونور ، وبينهُما اختلاف في بعض الأصول ، وأكثرُه لفظي ، والمحققون من الفريقين على أنه لا يَنْسِب أحدهما الآخَرَ إلى البدعة والضلالة ، وكلمةُ أهلِ الحق متفقة : على الخروج من عُهدة التكليف الإيماني بجزم العقيدة بما يُوافِق أَحدَ المذهبين .

فمما اتفق عليه السلفُ من المحدثين ، وأئمةِ المسلمين ، وأهل السنة والجماعة : (**أَنَّ العالَمَ**) هو في الأصل ما يُعلَمُ به الشيءُ كالخاتَم لِما يُختَم به ،

---

(١) هو : محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي ، من كبار العلماء ، وكان إمام المتكلمين ، وعرف بإمام الهدى ، وكان قوي الحجة ، دافع عن عقائد المسلمين ، ورد شبهات الملحدين . من كتبه : « التوحيد » ، « أوهام المعتزلة » ، « الرد على القرامطة » ، « مآخذ الشرائع » في أصول الفقه ، « تأويلات القرآن » ، « تأويلات أهل السنة » . توفي سنة ٣٣٣ هـ بسمرقند .

حادث ، والصانع قديم متصف بصفات قديمة ، . . . .

غلَبَ فيما يُعلَم به الصانعُ ، وهو ما سوى اللهِ تعالى (**حادث**) أي : موجود بقدرة الله تعالى بعد أن لم يكن ؛ لأنه متغيِّرٌ كما هو مشاهدٌ ، وكلُّ متغيِّرٍ حادث ، ولأنه محتاج إلى المؤثر كلَّ حينٍ ، وكل محتاج إلى الغير لا يكون قديما ؛ ولأنهم اتفقوا على أنه قابل للفناء أي : العدم الطارئ على الوجود ، وكل ما جاز عليه العدمُ يستحيل عليه القِدَمُ قطعا ، فثبت أنه محدَثٌ بإحداث الفاعلِ المختار إياه بقدرته وإرادتهِ .

قال العارف الشعراني نفعنا الله تعالى بأنفاسه : إن قيل : هل أطلع أحدٌ من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقْلِ أو الكشف أو الأدلة ؟ فالجواب : إنه لم يَبْلُغنا أن أحدا عرف مدةَ خَلْقِ العالَم على التحديد . قال الشيخ محي الدين ابن عربي[١] في « الفتوحات »[٢] : اعلم : أن عُمْرَ الدنيا لا يُحصى بآلافِ الألوف ؛ انتهى .

وإذا ثبت حدوثُه فلا بدَّ له من مُحدِثٍ ، فاتفقوا على أن له صانعا (**و**)أن (**الصانع قديمٌ**) إذ لو كان حادثا لَاحتاج إلى محدثٍ آخَرَ ؛ ولزِمَ التسلسُلُ ، وهو محال ، وأنه (**متَّصِفٌ بصفات**) لِما ثبَتَ بالدلائل العقلية مِن أنه : عالم ، قادر ، حي ، إلى غيرِ ذلك ، ومعلوم : أن كُلاًّ من ذلك يَدُلُّ على معنًى زائدٍ على مفهومِ واجبِ الوجود ، ولمَّا صح حَمْلُ المُشتق عليه ثبت له مَأخَذُ الاشتقاق ضرورةً ، فثبت له صفةُ العِلم ، والقدرة ، والحياة ، وغيرِ ذلك (**قديمة**) أزليةٍ

(١) هو : محمد بن علي بن محمد ابن العربي ، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي ، المعروف بمحيي الدين بن عربي ، الملقب بالشيخ الأكبر ، من أئمة المتكلمين في كل علم . وانتقل إلى إشبيلية ، فزار الشام ، وبلاد الروم ، والعراق ، والحجاز . له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، منها : « الفتوحات المكية » ، « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » ، « مفاتيح الغيب » ، « عنقاء مغرب » . ولد سنة ٥٦٠ هـ قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني في مدينة مرسية في الأندلس ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ في دمشق ، ودفن في سفح جبل قاسيون .

(٢) وهو كتاب « الفتوحات المكية » ، لمحيي الدين ابن العربي .

ليست عينه ولا غيره واحد لا شبه له ، ولا ضد له ، . . . .

لِامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى ، « قائمة بذاته » ؛ لأن معنى صفةِ الشيء ما يقوم به ، « مُنزَّهٌ عن النقص » لوجوب اتِّصافهِ بالكمال .

والصفاتُ القديمةُ الذاتيةُ ثمانٍ ؛ على ما ذكره ابن السبكي[١] في « جمع الجوامع »[٢] وهي : علم ، وقدرة ، وحياة ، وإرادة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، وبقاء .

ولا تُشْبِهُ صفاتِ المخلوقين ؛ لأن **عِلْمَه** - بلا ارتسام صورةٍ في قلب ولا دِماغ . **وحياتَه** - منزَّهَة عن الروح . **وقدرته** - بغير آلة على جميع الممكِناتِ . **وإرادته** - لجميع الكائنات لا يَتَخلَّف عن المراد أبدا . **وسمعَه** - بلا صماخ لكل خفيٍّ . **وبصره** - بلا حدَقَةٍ لكل موجود . **وكلامه** - منزَّهٌ عما يَعتري كلامَنا النفْسِيَّ من الخَرْس الباطني ليس بصوتٍ ولا حرف . **وبقائه** - مستمِرٌّ أبدا . وصفاتُنا بأضداد ذلك .

(**ليست**) تلك الصفات (**عينَهُ**) ضرورةً ، أن العِلم مثلا غيرُ العالِم (**ولا غيرَه**) إذ لا يجوز انفكاكُها عنه تعالى ، وإن الصانع (**واحدٌ**) إذ لا يَصدُق مفهومُ « واجب الوجود » في الخارج إلا على ذات واحدة ، وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] (**لا شِبْهَ له**) أي : لا شبيه له في ذاته وصفاته وأفعاله ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤] (**ولا ضِدَّ له**) قال في « القواعد الشمسية »[٥] : أن الشِّبهَ ، والمثل ، والنِّدَّ ، والضد ،

---

(١) هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر ، قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث . نسبته إلى سبك « من أعمال المنوفية بمصر » ، وكان طلق اللسان ، قوي الحجة ، انتهى إليه قضاء في الشام . ولد سنة ٧٢٧ هـ في القاهرة ، وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها ، وتوفي بها سنة ٧٧١ هـ . من تصانيفه : « طبقات الشافعية الكبرى » ، « جمع الجوامع » ، « معيد النعم ومبيد النقم » .

(٢) وهو كتاب « جمع الجوامع » ، لتاج الدين السبكي .

(٣) سورة الإخلاص : الآية ١ .

(٤) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٥) وهو كتاب « القواعد الشمسية في شرح العقائد العضدية » ، لمحمد بن نصر الله الدامغاني .

ولا نهاية له ، ولا صورة ، ولا حد ، ولا يحل في شيء ، ولا يقوم به حادث ، ولا تصح عليه الحركة والإنتقال ، ولا الجهل ، ولا الكذب ، ولا النقص ، وأنه تعالى يرى في الآخرة ، . . . .

والشريكَ ، ألفاظٌ مترادفة ، وقيل : النِدُّ والمِثْلُ الشريك في الذات ، والشبه والضد الشريك في الصفات والشريك في الأفعال ؛ انتهى (**ولا نهايةَ له ، ولا صورة ، ولا حدَّ**) لأنها مختصَّةٌ بالأجسام والله تعالى منزَّه عن الجسمية ؛ لأن الجسم مركَّبٌ والتركيب يَستلزِم الحدوثَ ، وهو مُحال عليه تعالى (**ولا يَحُلّ في شيء**) لا ذاتُه ولا صفاتُه لوجوب تنزهِه عن المكان ؛ لأنه تعالى كان ولا مكانَ ، والحلول : حصول الشيء في آخَرَ ؛ وإلا لكان تعالى مُفتقرًا إلى المحل ، وهو منزه عن ذلك ؛ لأنه غنيٌّ مطلقٌ ولا غني مطلَقٌ إلا هو (**ولا يقوم به**) أي : بذاته تعالى (**حادث**) لأن محلَّ الحوادث حادثٌ والله تعالى منزه عن ذلك (**ولا تَصِحُّ عليه الحركةُ والانتقال**) وإلا لزِم حدوثه ، كما استدل الخليلُ عليه السلام بأُفُولِ الكواكب على عدم ربوبيَّتِها ، وهو مُحال على الله تعالى ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[1] أي : أمْرُ ربك ، ومعنى : « يَنْزِلُ الله تَعَالَى » في الحديث[2] أي : ينظر إلى عباده بالرحمة (**ولا**) يَصِح عليه أيضا : (**الجهل ، ولا الكذب**) لأن كُلا منهما نقصٌ (**ولا**) يجوز عليه : (**النقص**) لِما أنه متَّصِف بصفات الكمال كما مر .

(**و**)مما اتفقوا أيضا : (**أنه تعالى يُرى في الآخرة**) من غيرِ مقابَلَةٍ ولا جهة أي : يَنكشِف انكشافا تامًّا لِأبصار المؤمنين بِأعْيُن رؤوسهم ، نعمةً من الله تعالى

---

(١) سورة الفجر : الآية ٢٢ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي آخرِ ثَلاث سَاعَات بَقِينَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الأولَى مِنْهُنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْن ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ لا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا أحَد إلا الأنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالصِّدِّيقُونَ ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ، وَلا خَطر عَلَى قَلْبِ بَشَر ، ثُمَّ يَهْبِطُ آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : ألا مُسْتَغْفِر يسْتَغْفِرُنِي فَأغْفِر لَهُ ، ألا سَائِلٍ يسْألُنِي فَأعْطِيَهُ ، ألا دَاعٍ يدْعُونِي فَأسْتَجِيبَ لَهُ ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ » . *

وليس في حيز ، وجهة ما شاء الله تعالى كان ؛ وما لم يشأ لم يكن ، ولا يحتاج إلى شيء ، ولا يجب عليه شيء ، كل المخلوقات كائن بقضائه ، وقدره ، وإرادته ، ومشيته ، لكن القبائح منها ليست برضاه ، وبأمره وبمحبته .

ولطفا للأبرار في دار القرار ، قال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] (و) إنه تعالى (ليس في حيِّز) أي : مكان (و)لا في (جهة) وإلا لزم قِدَمُهما ، وهو محال ، وقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] أي : استولى (ما شاء الله تعالى كان ؛ وما لم يَشأ لم يكن) هذه العبارة مأثورة من النبي ﷺ ، وفيه دليل على أنه مريد للكائنات ، فلا يَجري في مُلكِه وملكوته خير وشرّ ، نفعٌ وضر ، كفر وإيمان إلا بمشيتهِ وإرادته تعالى (و)أنه (لا يَحتاج إلى شيء) ضرورةً ، أنه الغني المطلَقُ والله غني عن العالمين (و)أنه (لا يجب عليه شيء) إذ لو وجب لكان بحكْم حاكم ، واللازم باطل (كل المخلوقات كائن بقضائه ، وقدره) القضاء والقدر بمعنًى خلافا لمن فرق أي : بتقديره الأزليّ ، قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3] ، فما قدَرُه في الأزل لا بد من وقوعه ، وما لم يَقْدِره فيه يستحيل وقوعُه (وإرادته ، ومشيته) هما بمعنًى أيضا ضرورةً ، أن الله تعالى غيرُ مكرهٍ وكل مُوجِدٍ لشيء بلا إكراه عليه فهو مريد ، ولمّا تُوُهِّم بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وكل مخلوق بإرادته ؛ فما بال العباد يُعاتِبون على القبائح ، استدرَك ورفع الوهْم بقوله : (لكنْ القبائحُ منها) أي : من المخلوقات (ليست برضاه) لأنه تعالى لا يَرضى لعباده الكفرَ والمعاصِيَ (و)لا (بأمرِه) أيضا ؛ إذ لا يَأمُر بالقبيح (و)لا (بمحبته) إذ لا يُحِبُّ إلا ما رَضِيَ عليه وأمر به ، فالرضى والمحبةُ غيرُ الإرادة والمشيّةِ ؛ لأن الرِّضى إرادةٌ من غير اعتراض ، والأخص غيرُ الأعمِّ ، وكذلك الأمرُ فإنه غيرُها ؛ إذ لو كان هو الإرادةَ لَوَقعَ المأموراتُ كلها ، واللازمُ باطل ؛ لأنه أمَر أبا جهل مثلا بالإيمان مع أنه غير واقعٍ لعدم تعلقِ إرادته به .

---

(١) سورة القيامة : الآيات ٢٣-٢٢ .
(٢) سورة طه : الآية ٥ .
(٣) سورة القمر : الآية ٤٩ .

وأن المعاد الجسماني ، وسائر ما ورد به السمع : من عذاب القبر ، والحساب ،

(و)مما اتفقوا عليه : (أنَّ المعاد) مصدرٌ ميميٌّ (الجسماني) أي : عَوْدُ الجِسْم بعد الإعْدام بأجْزائه وعَوارضِه حق ثابتٌ بإجماع أهل المِلل الثلاث : الحنيفية والنصرانية واليهودية ، والنصوص الصريحةِ الصحيحةِ ، فيَكْفُر مُنْكِرُه (و)أن (سائرَ ما ورد به السمعُ) أي : الشرعُ الذي ثبت بالسماع من السلف (مِن) بيان ما (عذاب القبر) للكافر والفاسق ، المراد تعذيبُه : بأن يُرَدَّ الروح إلى الجسد أو ما بقي منه ، ويعذَّب الروح مع البدن ، ومنه ضغْطَةُ القبر ، وهو الْتقاءُ حافتيْه على الميت ، لا ينجو منه طالحٌ ولا صالحٌ كما في الحديث.[1] ونعيمهِ : بأن يُنعَمَ لأهل الطاعة فيه بما يعلمه الله تعالى كتَوْسيعه ، وجعل قنديل فيه ، وفتْحُ طاقة من الجنة ، حق ثابت يجب الإيمان به للنصوص الدالة على ذلك مثلَ قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾[2] . وأما الأحاديثُ الواردة في كِلا القسمين فكثيرة ، تبلغ مبلغ التواتر مُبيَّنة في الكتب . وقيْدُ القبر جرْيٌ على الغالب ؛ إذ غيرُ المقبور كالغَريق والمأكول كذلك .

(و)ورد السمعُ أيضا : بفَعْلِ (الحساب) وهو توفيقُ الله تعالى عبادَه قبل الانصراف من المَحْشَر على أعمالهم ، خيرًا كانت أو شرا ، تفصيلا لا بالوزن ، إلا مَن استثنِيَ منهم كالسبعين ألفا الذين ورد النصُّ باستثنائهم ، فهو حق بالعقل والنقل ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾[3] ، والأحاديثُ في ذلك كثيرة ، وحكمتُه مع علْمِه تعالى بكل شيء : إظهار تفاوُتِ شرف أرباب الكمال وفضائح أرباب الضلال .

---

(١) ولو نجا منها غيرِ الأنبياء لنجا سعد بن معاذ الذي اهتز عرشِ الرحمن لموتِه ، وحضر جنازته سبعون ألفا من أعيان الملائكة . وفي الحديث : « لَوْ أَفْلَتَ مِنْهَا أَحَدٌ لأَفْلَتَ مِنْهَا هَذَا الصَّبِيُّ » . وورد : أن فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب ، « وَمَنْ قَرَأَ : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ بِهِ يَسْلَمَانِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ » ، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام . « رسالة ابن أبي زيد : ١/٣٠٥ » . *

(٢) سورة غافر : الآية ٤٦ .

(٣) سورة الإنشقاق : الآيات ٧-٨ .

والصراط ، والميزان ، وغير ذلك ، . . . .

(و)كذا ورد السمعُ : بوضع (**الصراط**) وهو : جَسْرٌ ممدود على مَتْنِ جهنَّم ، أَدَقُّ من الشعر ، وأحَدُّ من السيف ، يَعْبُرُه أهل الجنة على اختلاف دَرَجاتِهم ، وتزلّ به أقدام أهل النار ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، موجود ، قال تعالى : ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ الآية[1] ، والأحاديث فيه وفي كيفيتِه ، وطولِه ، وكيفية أحوال سالكيه كثيرةٌ ، رزقنا الله تعالى عُبورَه مع الفائزين ؛ آمين . ومن الحكمة فيه : أنْ يَظهرَ للمؤمنينَ مِن عظيم فضل الله تعالى النجاةُ من النار ، وتصيرَ الجنةُ أسَرَّ لقلوبهم بعدُ ، ويتحسَّرُ الكافرون بفوز المؤمنين .

(و)كذا ورد : بنَصْبِ (**الميزانِ**) وهو : ما يُعْرَف به مَقاديرُ الأعمال بأن يُوزَنَ صُحفُها به ؛ على نزاع فيه ، وله لسان يَنْطِق ، وكِفَّتانِ كَأَطْباق السموات والأرض ، وهو واحد على الأصح لجميع الأمم ، والعقلُ قاصِرٌ عن إدراك مَاهيّته وكيفيتِه ، وإنه موجود أو سَيُوجَدُ ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[2] ، إلى غيرِ ذلك من النصوص ، والحكمةُ فيه كما في الحساب . وفي وزن أعمال الكفار خلاف .

(و)كذا ورد في (**غير ذلك**) المذكور : من سؤال الملَكَيْن منكَرٍ ونكيرٍ للميت - إلا من استثنِيَ كالشهيد - بعد ردِّ روحِه إليه عن ربِّهِ ودِينه ونبيه فيُجيبُهُما بما يوافق ما مات عليه من إيمان أو كفر ، فهو حق ثابت بالعقل والنقل كقوله عليه السلامان : « إنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا » ، وغير ذلك ، فهو خاصٌّ بهذه الأمة على اختلاف فيه . وحكمتُه : إظهارُ ما كتمتْه العباد في الدنيا حين قهّرهمُ الشرعُ من كفرٍ وإيمان ليُباهِيَ الله تعالى الملائكةَ ، أو ليَفْضَحوا عندَهُم ، وفي كيفية السؤالِ والملكين أبحاث شريفة مبينة في « هداية المريد » فراجعه إن شئت المزيدَ .

---

(١) سورة يس : الآية ٦٦ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٨ .

. . . .

ومن البَعْث : وهو أن يَبْعثَ اللهُ تعالى الموتَى من القبور بأن يجمع أجزائَهُم الأصليةَ ، ويعيد الأرواح ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1] ، إلى غير ذلك من النصوص القطعيَّةِ .

ومن الحشر : وهو سَوْقُ جميع العباد الى محشرِهِم لفصل القضاء بينهم ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ ﴾ الآية[2] ، ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[3] ، إلى غير ذلك .

ومن إيتاء الكتاب : المثبَتِ فيه طاعات العباد ومعاصيهم ، للمؤمنين بأيْمانِهم ، والكفارِ بشمائلِهم ووراءِ ظهورِهم ، إلا مَن استثني كأبي بكر ﷺ ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا ﴾ الآية[4] ، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الآية[5] ، والحكمةُ فيه : ما يعلمَهُ الله تعالى .

ومن السؤال يوم القيمة : وهو إيقاف الله تعالى العبادَ بين يديه ، فيُعَدُّ على المؤمن ذنوبه فيُقِرُّ ؛ ويَظنّ أنه قد هلك فيَغفِر له ويُعْطي كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون - فينادي لهم على رؤوس الخلائِقِ : « هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » ، فهو حق ثابت بالسنة والإجماع .

ومن الحوض : وهو حوض نبينا ﷺ الذي يُعْطاه في الآخِرة ، تَرِدُه أمتهُ ، مَن شرب منه لا يَظماء أبدًا ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[6] ، على قول ، وقيل : هو الخيرُ الكثير ، والصحيح

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٦ .
(٢) سورة الكهف : الآية ٤٧ .
(٣) سورة ق : الآية ٤٤ .
(٤) سورة الإسراء : الآية ١٣ .
(٥) سورة الإنشقاق : الآية ٧ .
(٦) سورة الكوثر : الآية ١ .

حق ، وأن الكفار مخلدون في النار ، دون الفساق من المؤمنين ، . . . .

أنه : نهر في الجنة ؛ كما فُسِّر في الحديث ، وماؤه يَنْصَبُّ في الحوض ، ويُطلَق عليه : كَوْثَرْ ؛ لكونه يُمَدُّ منه ، وأما الأحاديث فيه فكثيرة متواترة . وأما حوض غيره من الأنبياء فلم يَثبت بالتواتر كما مر أولَ الكتاب .

ومِن هول الموقف : أي : شدائده ، وما يقع فيه مما يُذيبُ الأكبادَ ، ويُذْهِل المراضِعَ عن الأولاد ، خفف الله تعالى علينا آمين ، وكذا ما في القيمة من السرور لأهْل الإيمان ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[1] ، وقال : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[2] ، إلى غير ذلك من النصوص .

ومن الجنة والنار : وهما دار الثواب والعقاب ، للسعيد والشقي أبديين لا تَفْنَيان ، ولا يفنى أهلهما موجودتان الآن ، فهما حق ثابت بالآيات والأحاديث التي لا تحصى ، ومن غير ذلك مما ورد في الكتاب أو السنة : مما يَقع في البرزخ أو القيمة أو في الدارين ، فجميع ذلك (**حق**) مطابق للواقع ، يجب الإيمان به كما ورد ؛ وَصَل إليه أدراكُنا أو لا .

(**و**)مما اتفقوا عليه أيضا : (**أن الكفار**) والمنافقين (**مخلَّدون**) أي : دائمون (**في النار**) أعاذنا الله تعالى منه (**دُون الفسّاق من المؤمنين**) أي : الذين ارتكبوا الكبيرةَ ، أو أَصَرّوا على الصغيرة بلا مُكفّرٍ ولا موجِب للخروج عن الإيمان ، فإنهم لا يُخلَّدون فيها وإن ماتوا بغير توبة ، ودخلوها ؛ لأَنَّ الإيمان عمل صالح لا بُدَّ أن يَرى المؤمنُ جزائه ، قال تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[3] ، ولا يمكن أن يراه في الجنة قبل دخول النار لقوله تعالى : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[4] ، ولا في النار ؛ لأنها ليست دارَ جزاءِ خيرٍ ، فتعيَّن أنه بعد خروجه منها .

---

(١) سورة المزّمّل : الآية ١٧ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ .
(٣) سورة الزلزلة : الآية ٧ .
(٤) سورة الحجر : الآية ٤٨ .

وأن العفو ، والشفاعة حق ، وأن أشراط الساعة : . . . .

(و)مما اتفقوا عليه أيضا : (أن العفو) أي : عفو الله تعالى عن الذنوب الكبائر غيرَ الشِّرك إذا لم تكن عن استحلالٍ ؛ وإلا الْتَحق بالشرك ، والعفو عنه وإن جاز عقلا لكنه ممتنعٌ شرعا ، وكذلك العقابُ على الصغيرة حق جائز عقلا وشرعا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] ، إلى غير ذلك من النصوص . لكن انعقد إجماعُ العلماء على أنه لا بد سَمْعًا مِن نفوذ الوعيد في طائفة من جميع العصاة ، أقلُّها واحد كما ذكره بعض المحققين .

(و)أن (الشفاعة) – في حق أهل الكبائر – ثابتة للرسل والأخيار من المؤمنين ، مقدَّمًا منهم نبيُّنا ﷺ ؛ إذ قد صح عنه : « أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » – بكسر الفاء – أي : الذي يَقْبَلُ الشفاعة ، – وفتحها – أي : الذي تُقْبَلُ شفاعتُه ، وصح أيضا : أن له شفاعاتٍ كثيرةً ، منها : ما هي خاصة به كالشفاعة العظمى لفصل القضاء بين الخلق ؛ بعد أن تَبْرَأَ منها كل من سُئِل عنها كما مر أول الكتاب ، ومنها : ما هي مشترَكَة بين الأخيار ، وتفصيلُها في كتب العقائد وغيرها ، فكل ذلك (حق) ثابت بالآيات القطعية والأخبار الصحيحة ، قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[٢] . وقال ﷺ : « يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ : الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ » ، إلى غير ذلك من النصوص المتواترة مثل قوله ﷺ : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » ، والشفاعة في العُرف : سُؤالُ الخير لِلغَيْرِ .

(و)مما اتفقوا عليه أيضا : (أن أشراط الساعة) أي : القيمة ، جمعُ شرط – بالتحريك – وهو العلامة .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤٨ .
(٢) سورة المدثر : الآية ٤٨ .

من خروج الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، . . . .

اعلم : أن وقت قيام الساعة لا يعلم عن صحةٍ يقينٍ ، قال تعالى : ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٢] ، ولكن لها علامات ، منها : خفية ، مثلُ ما روي عنه ﷺ أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَثْرَةُ الْمَسَاجِدِ وَتَزْوِيقُهَا ، وَقِلَّةُ الْجَمَاعَاتِ ، وَتَطْوِيلُ الْمَنَارَاتِ » ، وغير ذلك مما بيَّنه الإخباريون . ومنها : جلية ، وهي كثيرة أيضا ، منها ما أشار إليه المصنف :

(**من خروج**) المسيح (**الدجال**) والمسيح - بفتح الميم وخفة السين وبحاء مهملة - سمي به[٣] : لمسْحِه الأرضَ أي : قطعِها في أَمَدٍ قليل ، فهو بمعنى فاعل ، وقيل : غير ذلك . والدجال فعّال - بالتشديد - من الدَّجل ، وهو التغطيةُ ، سمي به ؛ لأنه يُغطِّي الحق بباطلهِ ، وقيل : غير ذلك . وهو عدوُّ الله تعالى المُمَوَّه ، واسمه : صاف ، وكنيته : أبو يوسف - وهو يهودي - ابن صَيّاد على خلاف فيه . وقد صحَّتْ الأخبار : أنه مُقيَّدٌ مُغَلَّل في جزيرة من جزائر البحر ، أخبر تميم الداري - الذي رآه حين ركِب في البحر - رسولَ الله ﷺ بأحواله وأقواله . فخروجه قبل قيام الساعة حق ، صحت بذلك وبصفاته الأحاديث . فيَمْكُث في الأرض أربعين يوما ، يومٌ كَسَنَةٍ ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، والباقية كأيامِنا . وليس بين خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فتنةٌ أكبرَ من فتنتهِ كما ذكر تفصيلَها أهل التواريخ .

(**و**)من خروج (**يأجوج ومأجوج**) بعد هلاك الدجال ، وهم قومٌ من ولد يافث بن نوح ، مَسْكَنهم كما أخبر الله تعالى وراء السدِّ ، يَخْرُجون قبل قيام الساعة ، ولا يَطِيق أحد بقتالهم ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[٤] ، إلى غير ذلك .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٥ . سورة لقمان : الآية ٣٤ .
(٣) أو لكون إحدى عينيه ممسوحة أو لمسح الخير منه . *
(٤) سورة الأنبياء : الآية ٩٦ .

ونزول عيسى ، وطلوع الشمس من مغربها ، ودابة الأرض ، . . . .

(و)من (نزول) نبي الله المسيح (عيسى) عليه السلام من السماء عند المنارة البيضاء شرقِيَّ دمشق ، واضعًا كفيْهِ على أجنحة مَلَكين ، فيَطْلُبَ الدجالَ فيدرِكُه بجبل بالشام - على نزاع فيه - فيَقْتُلُه . ويمكث في الأرض سبع سنين أو تسعا أو أربعين ، روايات ، فيَضَع الجزيةَ ، ويقتلُ الخنزيرَ ، ويتزوَّجُ ، ويموت ، ويُدفَنُ عند قبر نبينا ﷺ ، كل ذلك حق ثابت بالأحاديث الصحيحة الكثيرة ، وبقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[1] ، أي : إن نزولَه من أشراط الساعة يُعلَم به دُنُوُّها ، وقُرِئَ : بفتح العين واللام - أي : علامة .

(و)من (طلوع الشمس من مغربها) أي : إذا قَرُبت الساعة تَطول الليلةُ التي تَطلُعُ الشمسُ صبيحَتَها من المغرب ، فيقوم المتهجدون فيفرغون من أورادهم فلا يَروْنَ أثرَ الصبح فيَسْتَأنِفونها ، فلما لم يروا أثره علِموا أنه يَحدث حادثٌ من الغيب ، فيلتجؤون إلى الله تعالى بالذكر والتلاوة ، فتَطلُعُ الشمس من المغرب ولم يكن لها نور - ويُشاهِدُها الناس كلُّهم - حتى إذا بلغتْ وسطَ السماء رجعتْ حيثُ طلعت ، ثم تَطلع من مشرِقها . وكذلك القمر . وقيل : تطلع من المغرب ثلاثةَ أيام ، فبعدَ ذلك يُغلَقُ باب التوبة فلا تُقبَلُ من أحد ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ الآية[2] ، أي : إنما يعتبر الإيمان إذا كان عن برهان ؛ وأما إذا كان عن عيان فلا ، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

(و)من خروج (دابة الأرض) من بينَ الصفا والمروة ، فيَرْتَفع في الهواء حتى يَراها الناس . تخرُج أولا في أيام المهدي لتَفْزَعَ الناس ، ثم في أيام عيسى عليه السلام لِتُطهِّرَ الأرض من المنافقين ، وتبقى أربعين يوما ، ثم بعد طلوع الشمس من مغربها لِتُمَيِّزَ المؤمن والكافر ، فتشير بالعصا فتبيضُّ وُجوه المؤمنين ،

(١) سورة الزخرف : الآية ٦١ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٨ .

حق ، . . . .

وتشير بالخاتم فتسودُّ وجوه الكافرين . وقصتها وصفتها في كتب التواريخ ، فهو حق ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[1] ، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

ومنها ما لم يُشر المصنف إليه :

كالإمام المهدي : فقد صح خبر : « لا يَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ ، أَقْنَى الأَنْفِ ، يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » ، وقصته مبسوطة في الكتب .

وكالدخان : الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ الآية[2] ، أي : يَملأ ما بين المشرق والمغرب ، يَمكُث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزُّكام ، وأما الكافر فهو كالسكران يخرُج من منخريه وأذنيه ودبره .

وكالخسوف الثلاثةِ : بالمشرق ، والمغرب ، وجزيرةِ العرب .

وكالنار : التي تخرُج من اليمن ، تَطْرُد الناسَ إلى المحشر أي : الشام ، إذ صح : « إِنَّهُ أَرْضُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ » .

وغيرِ ذلك مما أخبر به الصادق : كفتحِ قسطنطينية على يد المهدي . وهدْمِ الكعبة على أيْدي الحَبشةِ حتى لا يَبقى منها حجرٌ إلا وقُذِف في البحر . وهُبوبِ الريح الشديد كما في أيام عَادٍ ، ثم بعث الله تعالى الريحَ الطيِّبَةَ لأخْذ أرواح المسلمين ، ثم بقاء الناس بعد ذلك في الجاهلية مائةَ سنةٍ حتى لا يَبقى مَن يقول : الله ، ثم قيام الساعة على شِرار الناس ، فجميعُ ما ذكِر (حق) جائز

(١) سورة النمل : الآية ٨٢ .
(٢) سورة الدخان : الآيات ١٠-١١ .

والأنبياء كلهم حق ، وأولهم : آدم ، وآخرهم : محمد . . . .

في العقل ثابت في الشرع ، فيَجِب على كل أحد تصديقُه . ولو قال المصنف قبلَ حَقٌّ : وغير ذلك - لَسَلِم مِن إيهام الحصر عن البيانية ، لكن التصديقُ بهذه الأمور العِظام يُوجِب التصديق بغيرها مما ذكرنا آنفا .

واعلم : أن تفصيل أشراط الساعة وترتيبَها وضبطَها لا يَتَيَسَّرُ في مِثْل هذا المختصر ؛ لكنا أشرنا إلى ما هو المشتهِرُ مما وجدنا في كتاب مُعتَبَر ، فراجع كتب الحديث والتواريخ لتعلمَ أن أشراطَها الخفيّةَ قد بَدَتْ وخلَتْ ولم يَبقَ إلا ظهور الأشراط الجلية ، كيف وقد قال تعالى في كتابه المبين : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1] ، ومن بعدِ ما نَزَل وصل التاريخُ إلى : سبعةٍ وستين ومائة وألف ؛ فاعتبر يا أخي ولا تكن من الغافلين .

(**والأنبياءُ**) - لو أعاد لفظةُ « أنَّ » هنا لَاتَّسَقَ النظمُ ؛ لكن يجوز العطفُ على مدخول « أنَّ » والاستئناف (**كلهم**) - قد مر ذكرُ عددِهِم ووجه الإيمان بهم - (**حق**) معلوم من الدين بالضرورة ، فيجب تصديقُهم في جميع ما جاؤا به ، ويكفر منكره . وأما تخصيصُهُم الرسلَ بالإيمان في العقائد ؛ فليس لعدم وجوب الإيمان بغيرِهِم من الأنبياء ؛ بل لأن الرسل لمَّا باشروا بدعاءِ الناس إلى الشرع غَلَب في الناس تكذيبُهم فأمِروا بالإيمان بهم ، وهو يَستلزِم الإيمان بمن عداهم أيضا من الأنبياء ؛ لأن تصديقَ الخاص يُوجِب تصديقَ العام (**وأوَّلُهم آدم**) عليه السلام أبو البشر ، ثبتَتْ نبوّتُه بالكتاب الدالِّ على أنه أُمِرَ ونُهِيَ مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخَرْ ، وأما رسالته إلى بنيه ففيها خلاف فراجعه (**وآخِرُهم**) خاتم النبيين وسيد العالمين (**محمد**) المصطفى من الخلق أجمعين عليهما صلوات الحق المبين ، ثبتت نبوتُه بادِّعائهِ لها ، وإظهاره للمعجزات ، وتَحدِّيه بها ، وانقطاع مُعارَضَتِهِم وحُجَجِهِم ، ووجود تمام مكارم الأخلاق

---

(١) سورة محمد : الآية ١٨ .

. . . .

التي لا تَجتمِعُ إلا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه ، فدلَّ بذلك دلالةً قطعيَّةً على أن ما نقِل عنه من قول أو فعل أو عزْمٍ في كتاب أو سنةٍ أو أثر حق . ومن جملة ما نقل عنه في الكتاب : أنه خاتم النبيين ، ومبعوث إلى العالمين ، فثبت أنه آخِر الأنبياء . وأما عيسى عليه الصلاة والسلام : فيَنْزِل ويحكم بشريعته ، ومن ثَمَّة ورَد : أنه يُصلي وراءَ المهدي أوَّلَ ما نَزَلَ لإظهار تَابِعِيَّتِه لنبيّنا ﷺ ، وعلى سائر الأنبياء أجمعين ؛ هذا .

وإن هذا الشرحَ ممَّا خَطَر على قلبِ هذا الفقيرِ الفاتِرِ ، ونَتَجَ مِن نَبات فكره القاصِر مع إحاطةِ العوائِق الجِسمانية ، والوساوس الشيطانية ، والمخالَطَة بالأمور الظلمانية ، والمُؤانَسَة بأحوال الخَلقِ القاسيةِ للقلوب المُورِثَة لرينِ الذنوبَ ، فرحم الله تعالى مِن رجم[1] هذا الخائض في بحر التصنيف بلا خَوْفٍ من الغَرْق في موجه العَنيفِ ، جَرَّهُ إلى ذلك رحمةُ طلابِ الزمان لبقائِهم على ساحلِ بحر العرفان ، بشمايل سيِّدِ الإنس والجان ، ورحم الله تعالى مَن أصلح ما أفسدَه ، وشكَرَ ما أجهده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللهم ؛ كما وفقتنا لجَمعهِ وفِّقْنا للإخلاص فيه ، ونفِّعْ به لكاتبهِ وقارئهِ ، واختِمِ لنا بالحسنى بسِرِّ أسمائك الحسنى ، وصلِّ على أفضل خلقِك محمد صلاة توازي غَنائَه وتجازي عنائَهُ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين حمدا غزيرا .

تمَّ بحسن توفيقه : في شهر الله المبارك جمادى الأولى سنةَ السابعِ والستين بعد مائة وألفٍ[2] في جَامع أَقُوشَاه .

---

(١) وفي بعض النسخ : مَن رحم . *
(٢) ٠٥ - ١١٦٧ هـ ، التي يوافق في : ٠٣ - ١٧٥٤ م .

أهم المصادر والمراجع[1]

« أسد الغابة في معرفة الصحابة » – للعلامة علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، أعتني بتصحيحها : الشيخ عادل أحمد الرفاعي ، ط١ ، (١٤١٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

« أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = أشرف الوسائل في شرح الشمائل للترمذي » – للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤) ، تحقيق ودراسة : أبي الفوارس أحمد بن فريد المزيدي ، ط١ ، (١٤١٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« ألفية السيرة النبوية » المسماة « نظم الدرر السنية في السير الزكية » – للإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، المعروف بالحافظ العراقي ، (ت ٨٠٦ هـ) ، تحقيق وتعليق : السيد محمد بن علوي المالكي الحسني ، (ت ١٤٢٥ هـ) ، ط١ ، (١٤٢٦ هـ) ، دار المنهاج .

« إحياء علوم الدين » وبذيله « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار » – للعراقي (ت ٨٠٦ هـ) ، لحجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (ت ٥٠٥ هـ) ، بدون تحقيق ، (١٤٢١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« بجيرمي على الخطيب » المسماة « بتحفة الحبيب على شرح الخطيب » المعروف بـ« الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع » – للإمام العلامة محمد الشربيني الخطيب ، (ت ٩٧٧ هـ) ، نسخة جديدة منقحة مصححة إشراف مكتبة البحوث والدراسات ط١ ، (١٤١٩ هـ) ، دار الفكر ، لبنان .

« البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير » – للإمام ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد ، (ت ٨٠٤ هـ) ، لمحقق : مصطفى

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، سنة طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

أبو الغيط ، وعبدالله بن سليمان ، وياسر بن كمال ، ط١ ، (١٤٢٥ هـ) ، الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية .

« بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص السير والمعجزات والشمائل » – للعلامة الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري (ت ٨٩٣ هـ) ، عني به : أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني ، ط١ ، (١٤٣٠ هـ) ، دار المنهاج ، لبنان .

« تهذيب الأسماء واللغات » – للإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي ، (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق : عبده علي كوشك ، ط١ ، (٢٠٠٦ م) ، دار الفيحاء ودار المنهل ، سورية .

« تحفة المحتاج في شرح المنهاج » – للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، ضبطه وصححه وخرج آياته : عبد الله محمود محمد عمر ، ط١ ، (١٤٢١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« حاشيتا القليوبي وعميرة » على « كنز الراغبين » شرح « منهاج الطالبين » – للإمام شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي/ وللإمام شهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بـ« عميرة » ، (ت ٨٦٤ هـ) ، ط١ ، (١٤١٧ هـ) ، ضبطه وصححه وخرج آياته : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي » على « تحفة المنهاج بشرح المنهاج » – للإمام العلامة الشيخ عبد الحميد الشرواني ، (ت ١٣٠١ هـ) ، ضبطه وصححه : الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي ، ط٢ ، (١٤٢٨ هـ) ، دار الكتب العلمية .

« الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام » – للإمام عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١ هـ) ، علق عليه ووضح حواشيه : مجري به فصور به سير الشورى ، ط١ ، بلا تاريخ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« الزواجر عن إقتراف الكبائر » - للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه : أحمد عبد الشافي ، ط٢ ، (١٤١٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » - للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، (ت ٩٤٢ هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، (١٤١٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« سنن الترمذي = الجامع الصحيح » - للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

« سنن ابن ماجه » - للحافظ محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

« سنن النسائي = المجتبى » - للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، (ت ٣٠٣ هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

« كتاب السنن = سنن أبي داود » - للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد عوامة ، ط١ ، (١٩٩٨ م) ، مؤسسة الريان ، ودار القبلة ، والمكتبة المكية ، لبنان السعودية .

« السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » - للإمام علي بن برهان الدين الحلبي ، (ت ١٠٤٤ هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

« الشفا بتعريف حقوق المصطفى » - للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق : عامر الجزار ، بدون تاريخ ، دار الحديث ، القاهرة .

« صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط١ ، (١٤٢٢ هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

« صحيح مسلم = الجامع الصحيح » - للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (١٩٥٤ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

« الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة » - للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، اعتنى به وراجعه : كمال مرعي ومحمد إبراهيم ، ط١ ، (١٤٢٥ هـ) ، المكتبة العصرية ، لبنان .

« الطب النبوي » - لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، ط٤ ، (٢٠١٠ م) ، دار الرسالة العالمية ، دمشق - الحجاز .

« فيض القدير شرح الجامع الصغير » - للعلامة عبد الرؤوف المناوي ، (ت ١٠٣١ هـ) ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، ط٤ ، (٢٠٠٩ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« الفتاوى الحديثية » - للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، تحقيق : أحمد عناية ، ط١ ، (٢٠١٠ م) ، دار التقوى ، دمشق ، سوريا .

« القاموس المحيط » - للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، (ت ٨١٧ هـ) ، ط١ ، (١٩٩١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

« كشف الغمة عن جميع الأمة » - للإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، (ت ٩٧٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عناية ، ط١ ، (١٤٢٨ هـ) ، دار التقوى ، سوريا ، دمشق ، دار الرسالة ، داغستان ، محج قلعة .

« لواقح الأنوار القدسية في بيان قواعد السادة الصوفية » – للإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، (ت ٩٧٣ هـ) ، تحقيق : لجنةُ التراث في الدّار ، ط١ ، (١٩٩٩ م) ، دار البشائر ، دمشق .

« لسان العرب » – للإمام محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، (ت ٧١١ هـ) ، بدون تحقيق ، ط١ ، (١٩٩٢ م) ، دار صادر ، لبنان .

« المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » – للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني ، (ت ٩٢٣ هـ) ، تحقيق : صالح أحمد الشامي ، ط٢ ، (٢٠٠٤ م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

« المنح المكية » في شرح « الهمزية » المسمى « أفضل القِرى لقُراء أم القُرى » – للإمام أحمد بن حجر الهيتمي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : أحمد جاسم المحمد بوجمعة مكري ، ط٢ ، (١٤٢٦ هـ) ، دار المنهاج ، لبنان .

« الميزان الكبرى » – للأمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، (ت ٩٧٣ هـ) ، ضبطه وصححه وخرج آياته : الشيخ عبد الوارث محمد علي ، ط١ ، (١٤١٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

« المعجم الأوسط » – للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمود الطحان ، ط١ ، (١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .

« المعجم الكبير » – للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمود الطحان ، ط١ ، (١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .

« المستدرك على الصحيحين » – للحافظ محمد بن محمد الحاكم النيسابوري ، (ت ٤٠٥ هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

« المسند » – للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط١ ، (١٩٩٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

« مشكاة المصابيح » – للعلامة ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، (ت ٧٤١ هـ) ، تحقيق : الشيخ جمال عيتاني ، ط٣ ، (٢٠١٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

« المصنوع في معرفة الحديث الموضوع = الموضوعات الصغرى » – للإمام العلامة ملا علي القاري الهروي ، (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق : الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٥ ، (١٩٩٤ م) ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، سورية .

« هداية المريد لجوهرة التوحيد » – للإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ، (ت ١٠٤١ هـ) ، حققه : مروان حسين عبد الصالحين البجاوي ، ط١ ، (١٤٣٠ هـ) ، دار البصائر .

❊ ❊ ❊

قد تم خدمة هذا الكتاب المفيد

« وسائل اللبيب » إلى فهم « فضائل الحبيب ومناقب الطبيب »

للمؤلف العالم الكبير المحقق أبو بكر العيمكي الداغستاني

٢٧ رمضان ١٤٣٥ هـ التي يوافق ٢٤– ٠٧ – ٢٠١٤ ،

في عاصمة داغستان محاچ قلعة

تحت إشراف الإدارة الدينية لمسلمي داغستان .

محتوى الكتاب